مكتبة 181

أنجيلا مارسونز

الرواية بيعت منها أكثر من مليون نسخة في أول ستة شهور من صدورها وترجمت الى اكثر من 20 لغة.

صرخة صامتة

المحققة:
كيم ستون

جميرا للنشر والتوزيع
Jumeira Publishing House

ترجمة:
إيناس العباسي

صرخة صامتة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الكتاب: **صرخة صامتة**

المؤلف: **أنجيلا مارسونز**

ترجمة: **إيناس العباسي**

التصنيف: **رواية**

الناشر: **جميرا للنشر والتوزيع**

الطبعة الأولى: مارس (آذار) 2017

الرقم الدولي المتسلسل للكتاب: ISBN: 978 - 9948 - 23 - 284 - 1

جميرا للنشر والتوزيع
Jumeira Publishing House

مكتبة الرمحي أحمد   *telegram @ktabpdf*

أنجيلا مارسونز

ترجمة : إيناس العباسي

صرخة صامتة

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

شكر وامتنان

(صرخة صامتة) كانت في الأصل كُتباً عدّة عند كتابتها. لقد خطرت لي شخصية كيم ستون ورفضت أن تغادرني. في ذهني، وعلى الورق، نمت كامرأة قوية وذكيّة، وهي ليست مثاليّة طيلة الوقت لكنها شغوفة، وذات عزيمة، وهي شخص قد تودّون أن يكون إلى جانبكم.

أودّ أن أشكر أفراد فريق Bookouture لمقاسمتهم شغفي بـ«كيم ستون» وقصصها. تشجيعهم، وحماسهم، وإيمانهم بي كان مشجعاً، وغامراً، على حدّ سواء. امتناني لأوليفير، وكلير، وكيم، هو شعور أبدي. كما أنني أشعر بالفخر، وبشرف انتمائي ككاتبة إلى Bookouture.

كما أودّ أن أشكر، على وجه الخصوص، محرّرتي الرائعة كاشيني نايدُو التي رافقتني على امتداد رحلة طويلة، بالتشجيع، والإيمان بي، ومن خلال النصائح التي قدّمتها لي منذ أول محادثة بيننا، والتي حققت برفقة فريق Bookouture، أحلامي، وحوّلتها إلى حقيقة.

وأودّ أن أشكر كلّ كُتّاب Bookouture على ترحيبهم بي ضمن العائلة. كان الدعم مُذهلاً بحق. كما أشكر أيضاً، كارولين ميتشيل التي كوّنت هذا الحساب #bookouturecrimesquad.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أخيراً، أودّ أن أشكر عائلتي، وأصدقائي، لإيمانهم بكتابتي، وبحلمي. وشكر خاص لأماندا نيكول، وأندرو هايد، لدعمهما المتواصل.

أشكركم جميعاً من صميم قلبي.

أهدي الكِتاب إلى رفيقتي، جولي فورست، التي لم تتوقف أبداً عن الإيمان بموهبتي التي لم تسمح لي مطلقاً بأن أنسى حلمي.

افتتاحية

«رُولي ريجيس»، «بلاك كاونتري»[1]

سنة 2004

شكّل خمسة أشخاص نجمةً خُماسيّة حول تلّ محفور تشكّل. هُم فقط عرفوا بأنه كان قبراً.

كان الحفرُ في أرض مُتجمّدة تحت طبقات من الجليد، وبينما الثلج يتساقط، أمراً شبيهاً بمن يحاول نحت حجر. لكن سبق أن أخذ كل واحد منهم منعطفاً.

كانت حفرة بمقاس شخص بالغ وتستغرق وقتاً أطول.

مُرّرت المجرفة من قبضة إلى قبضة. كان البعض مُتردّداً، مُجبراً. وآخرون كانوا أكثر ثباتاً. لا أحد قاوم، ولا أحد تكلم.

كلهم كانوا يعرفون براءة الحياة التي سُلبت، لكن سَبق أن عُقد الاتفاق. ستُدفن أسرارُهم.

---

(1) «بلاك كاونتري» منطقة تقع في مقاطعة «ويست ميدلاندز» التي تقع وسط بريطانيا. وتحدها من الغرب «برمنغهام»

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

انحنت خمسة رؤوس باتجاه رقعة الأرض المتّسخة، مُتخيّلين الجسد المُوارى تحت التُراب الذي أصبح يتلألأ بالفعل، بجليد جديد.

وفي الوقت الذي غطت فيه رقائق الثلج رأس القبر، سرَت قشعريرة في أجساد أفراد المجموعة.

تفرّق الأشخاص الخمسة، وطئت آثار أقدامهم على درب نجمة نضرة وتفتّت في الثلج.

لقد تمّ التنفيذ.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الأول

«بلاك كاونتري»

في الوقت الحاضر

شعرت تيريزا وايت بشعورٍ لا تفسير له، بأن هذه الليلة ستكون ليلتها الأخيرة.

أغلقت التلفزيون فعمّ البيت الهدوء. لم يكن الصمت الطبيعي نفسه الذي يُخيّم عادة كل مساء، بينما تسترخي محاولةً النوم.

لم تكن تيريزا متأكدة مما تتوقع مشاهدته في نشرة الأخبار التي تبث في ساعة متأخرة من الليل. فقد سبق وأذاعوا عناوين الأخبار في أخبار المساء المحلية. ربما أملت وقوع معجزة، أو حصول تراجع ما في اللحظة الأخيرة.

منذ أول طلبٍ قُدِّم منذ سنتين، شعرت تيريزا بأنها كانت مثل سجين محكوم عليه بالإعدام. يأتي الحرّاس بشكل دوري ويأخذونها إلى كرسيّ الإعدام، ثمّ يعيدها القدر إلى أمان الزنزانة. لكن هذه المرّة كانت نهائيّة. عرفت تيريزا أنه لن يكون هناك المزيد من الاعتراضات، لن يكون هناك مزيد من التأخيرات.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تساءلت إن كان الآخرون شاهدوا الأخبار. هل شعروا بمثلما شعرت؟ هل كانوا ليعترفوا بأن مشاعرهم الأولى لم تكن مشاعر ندم، بل رغبة في حماية للنفس؟

هل كانت تيريزا لتكون شخصاً ألطف، لو كان لديها بعض من الضمير الحيّ مدفوناً تحت شعورها بالخوف على نفسها؟ لكن هذا الشعور لم يكن موجوداً.

لو لم تساير الخطة، لحُطمت، قالت في نفسها. كان اسم «تيريزا وايت» سيُذكر مصحوباً بالاشمئزاز، بدلاً من الاحترام الذي تتمتع به الآن.

لم يكن لتيريزا أي شك في أن الشكوى ستؤخذ على محمل الجد. صحيح أن المصدر كان مخادعاً لكنه كان قابلاً للتصديق. لكن هذا المصدر تمّ إسكاته مرة، وللأبد، وهذا شيء لم تكن تيريزا تملك حياله أي ندم.

لكن الآن، ومرّة أخرى، ومنذ السنوات التي تلت كريستوُود، كانت معدتها تنقبض لرؤية مشية مُشابهة، أو لون شعر مشابه، أو إمالة للرأس نفسها.

وقفت تيريزا، وحاولت التخلّص من الكآبة التي ظلّلتها. خطت خطوات واسعة باتجاه المطبخ، ووضعت صحناً واحداً، وكأس نبيذ في جهاز غسل الأواني.

لم يكن يوجد لا كلب لإخراجه، ولا قطّة لإدخالها. قامت بالفحص الأمني الليلي الأخير للمزلاج فقط.

مُجدداً، اعتراها شعور بأن الفحص كان بلا معنى، وبألا شيء كان قادراً على كبح الماضي. دفعت الفكرة بعيداً عنها. لم يكن هناك شيء لتخشاه. لقد تعاهدوا كلهم على ما اتفقوا عليه، واستمر هذا العقد قوياً طيلة عشر سنوات. خمستهم فقط كانوا يعرفون الحقيقة.

علمت تيريزا بأنها كانت متوترة جداً لكي تغرق في النوم مباشرة، لكن سبق أن دعت لعقد اجتماع مبكّر للموظفين عند الساعة السابعة صباحاً ولا تستطيع أن تتأخر عن هذا الاجتماع.

دخلت غرفة الاستحمام وتركت الماء ينساب، مضيفة كميّة سخية من رغوة الاستحمام المُعطّرة برائحة الخُزامى. على الفورغمرت الرائحة الغرفة. من المؤكد أن الاسترخاء مطولاً في حوض الاستحمام بمساعدة كأس النبيذ التي سبق أن شربتها، سيجلبان لها النوم.

كان المعطف المنزلي، ومنامة الحرير مطويين بعناية، وموضوعين أعلى سلّة الملابس، حين خطَت باتجاه الحوض.أغلقت عينيها، واستسلمت للماء الذي غمرها. ابتسمت لنفسها حين بدأ القلق يتبدّد. يبدو أنها أصبحت شديدة الحساسية.

شعرت تيريزا بأن حياتها قد انقسمت إلى قسمين: سبع وثلاثون سنة «ق.ك»، مثلما كانت تسمي حياتها قبل كريستوُود. كانت تلك السنوات ساحرة. كانت وقتها عزباء، وطموحة، وكل قرار يعنيها وحدها. لم تكن ترد على أحد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لكن السنوات بعدها اختلفت. لاحقَ شبح الخوف كل حركة من حركاتها، وأملى عليها تصرفاتها، وأثّر في قراراتها.

تتذكر أنها قرأت في مكان ما، أن الوعي لم يكن سوى شعور بالخوف من أن يتم القبض علينا. تيريزا كانت صادقة مع نفسها، وأقرت بأن الأمر كان صحيحاً بالنسبة إليها.

لكن سرّهم كان محفوظاً بأمان. يجب أن يكون كذلك.

فجأة، سمعت صوت تهشّم لوح من الزجاج. لكن الصوت لم يكن بعيداً. لقد كان عند باب مطبخها.

كانت تيريزا لا تزال مستلقية على نحو كامل في الحوض، بينما أصغت أذناها بشدة كي تلتقط أصواتاً إضافية. لم تكن الضوضاء لتلفت انتباه شخص آخر. فالمنزل التالي المستقل، يبعد عنها مئتي قدم، ويقع في الجهة الأخرى لسياج من أشجار السرو التي يبلغ ارتفاعها عشرين قدماً.

تكاثف صمتُ بيتها من حولها. وكان الهدوء الذي تلا الضجّة العالية مثقلاً بالتهديد. ربما لم يكن هذا أكثر من تخريب طائش. ربما صدر عن بعض طلبة كليّة «سانت جوزيف» الذين ربما قد عرفوا عنوانها. يا الله، كم أملت في ذلك.

تدفّق الدم في كل عروقها، نابضاً في صدغيها. ابتلعت ريقها في محاولة منها لتصفية طبلتي أذنيها.

بدأ جسدها بالتفاعل مع شعورها بأنها لم تعد وحدها على

الإطلاق. رفعت جسدها لوضعية الجلوس. كان صوت الماء عالياً بينما يُطرطَش على الحوض. انزلقت يدها على الخزف وتراجع جَنْبِها الأيمن في الماء.

الصوت القادم من أعلى الدَرج، بدّد أي موجة أملٍ بأن تكون المسألة عبارة عن تخريب طائش.

عرفت تيريزا أن الوقت نفد منها. في عالمٍ موازٍ، كانت عضلات جسدها تتفاعل مع التهديد الوشيك، لكن في هذا العالم، الاثنان، جسدها وعقلها، كُبِّلا بما لا يُمكن تجنّبه. وعَرفت تيريزا أنّ لا مكان تبقّى لديها للاختباء.

عندما سمعت صرير الدرج، أغلقت عينيها فترة وجيزة، وحاولت أن يبقى جسدها هادئاً. تشكّل داخلها إحساس بالحرية حين واجهت أخيراً، المخاوف التي لطالما طاردتها.

عندما أحسّت بالهواء البارد يندفع من الباب إلى داخل غرفة الاستحمام، فتحت عينيها. كان الشخص الذي دخل أسودَ، ومن دون ملامح، وبالقدر نفسه الذي قد يكون عليه ظل. كان يرتدي بنطلون خدمات، مع فرو أسود كثيف، وفوقهما معطف طويل، بينما يغطّي وجهه قناعٌ من الصوف. ولكن لماذا أنا؟ تساءل عقل تيريزا بغضب؟ فهي لم تكن الحلقة الأضعف.

هزّت رأسها. «لم أتكلم»، قالت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت الكلمات بالكاد مسموعة. كل حاسّة من حواسّها توقفت عن العمل، بينما كان جسدها مُستعداً للموت.

خطا الشكل الأسود خُطوتين نحوها. بحثت تيريزا عن دليل لكنها لم تجد واحداً. يمكن أن يكون أي واحدٍ من الأربعة.

أحسّت تيريزا بجسدها يخونها حين شعرت بالبول ينساب من بين ساقيها نحو الماء المُعطّر.

«أعدُ...لم أقم»...

تلاشت كلمات تيريزا بينما كانت تُحاول رفع جسدها إلى وضعية الجلوس. لكن فقاقيع الحمّام جعلت الحوض زلقاً.

أصبحت أنفاسها لاهثة، حادة ومتقطعة، بينما كانت تفكر في الطريقة الفُضلى لتتضرع بها من أجل حياتها. لا، لم تكن ترغب في الموت. لم يحن الوقتُ بعد. هناك أشياء كانت تريد القيام بها.

تراءت لها الصورة المفاجئة للماء وهو يغمر رئتيها نافخاً إياهما مثل بالونات حفلة.

مدّت يدها متوسلة، مُستعيدة صوتها أخيراً: «رجاءً...رجاءً... لا...لا أريد أن أموت»....

انحنى الشخص فوق الحمّام ووضع على كل ثدي يداً مرتدية قفازاً. أحسّت تيريزا بالضغط الذي يُمارس عليها لإجبارها على الغوص تحت الماء، وجاهدت لتجلس. كان عليها أن تحاول، وأن تشرح، لكن قوّة اليدين ازدادت. مرة أخرى حاولت أن تغادر وضعية الخمول،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لكن من دون جدوى. فالجاذبية والقوة الغاشمة جعلتا من المستحيل عليها الدفاع عن نفسها.

وبينما كان الماء يحيط بوجهها، فتحت فمها، وانفلتت شهقة صغيرة من بين شفتيها، بينما كانت تحاول للمرّة الأخيرة: «أقسمُ»....

قُوطعت الكلمات، وشاهدت تيريزا فقاعات الهواء تتسرّب من أنفها وتصل إلى السطح، بينما كان شعرها يسبح حول وجهها.

وَمَضت هيئة الشخص من الجهة الأخرى لحاجز الماء. بدأ جسد تيريزا يقاوم حرمانه من الأوكسجين، وحاولت أن تُهدىء من شعور الفزع الذي تصاعد داخلها. انسلخت ذراعاها، وقد انزاحت اليدُ ذات القفاز عن عظام صدرها لفترة قصيرة. تمكنت من رفع رأسها فوق الماء، وألقت نظرة عن قرب للعينين الباردتين، والثاقبتين. تمييزها للشخص الذي أمامها استنزف آخر نفس لها.

ثانية الارتباك القصيرة التي مرّت بها تيريزا كانت كافية لمهاجمها كي يستعيد سيطرته على الوضع. دفعت اليدان جسدها تحت الماء مُمسكتان بها بسرعة.

امتلأ عقلها بعدم التصديق، بالرغم من أن وعيها بدأ يخبُو.

أدركت تيريزا أن من المحال على شركائها في المُؤامرة، حتّى أن يتخيلوا ممّن يتوجب عليهم أن يخافوا.

الفصل الثاني

دارت كيم ستون حول دراجتها النارية «الكاواساكي النينجا» لتُعدّل من مستوى الصوت في جهاز الأيبُود خاصّتها. تراقصت مُكبرات الصوت مع النوتات الفضية لكونشريرتو الصيف لفيفالدي، بينما كانت تبث المكبرات مقطعها المُفضل، الذي يحمل عنوان «عاصفة».

وضعت مفتاح البراغي على طاولة العمل ومسحت يديها بخرقة بالية. حدّقت في درّاجة «الترايمف ثندربيرد» التي كانت تقوم بتجديدها على امتداد السبعة أشهر الماضية، وتساءلت لماذا لم تستولِ على انتباهها هذه الليلة؟

ألقت نظرة خاطفة على ساعتها. إنها الحادية عشرة ليلاً، تقريباً. كان بقية أفراد فريقها، على الأرجح، خارجين الآن، وهم يترنّحون، من حانة «ثي دوغ». وعلى الرغم من أنها لم تكن تشرب الكحول، إلا أنها كانت ترافق فريقها عندما تشعر بأنها تستحق هذا.

سحبت مفك البراغي، ثمّ جلست على ركبتيها بجانب «الترايمف».

لم يكن احتفالاً بالنسبة إليها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تراءى لها الوجهُ المُرتعب للورا بِيتس، بينما تمكنت من الوصول إلى داخل أحشاء الدراجة، ووجدت نهاية الجزء الخلفي من ناقل الحركة. وضعت رأس المفك فوق الصامولة[1] وأدارت المفك في حركة ذهاب وأياب.

ثلاثة أحكام إدانة بالاغتصاب ستُرسل «تيرِينس هَانت» بعيداً لفترة طويلة.

«لكنها ليست مُدّة طويلة بما يكفي»، حدّثت كيم نفسها.

فقد كان هناك ضحية رابعة.

أدارت المفك مرّة أخرى لكن الصامولة رفضت أن تنضغط. كانت قد جمّعت بالفعل العجلة المُسنّنة وشريحة الضغط الدائرية و«الراوتر». كانت الصامولة

قطعة البازُل النهائية التي يجب تثبيها، لكن هذا الشيء اللعين يرفض أن ينضغط قبالة شريحة الضغط الدائرية.

حدّقت كيم في الصامولة وبصمتٍ أرادتها أن تتحرك، كان عليها أن تفعل هذا لمصلحتها. لا شيء حدث حتى الآن. ركزت غضبها على ذراع مفك البراغي ومنحته دفعة عنيفة. تمزّق الخيط ودارت الصامولة بحريّة.

«اللعنة»، صرخت، مُلقية بالمفك عبر المرآب.

(1) جمعها صواميل، وهي دائرة معدنية يُثبت بها البرغي أو المسمار.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ارتعدت لورا بِيتس في منصة الشهادة بينما كانت تروي محنة جرِّها خلف كنيسة، واغتصابها بوحشية، بصفة متكرّرة لمدّة ساعتين ونصف الساعة. لقد شاهدوا بأعينهم كيف كان من الصعب عليها الجلوس. رغم مرور ثلاثة أشهر بعد الهجوم.

جلست الفتاة التي تبلغ من العمر تسع عشرة سنة، في قاعة المحكمة، بينما قُرئ كل حكم بالإدانة. وعندما حان دورُ قضيّتها تمّ التصريح بكلمتين، كلمتين غيّرتا حياتها للأبد:

ليس مذنباً.

ولماذا؟ لأن الفتاة كانت احتست بضعة مشروبات. لننسَ الإحدى عشرة غرزة التي امتدت على جسدها من الخلف للأمام، والضلع المكسور، والعين المزرقّة. من المؤكد أن الفتاة هي من طلبت حدوث هذا كله، فقط لأنها شربت بضع كؤوس لعينة.

كانت كيم تعي أن يديها بدأتا بالارتعاش بغضبٍ شديد.

اعتبر فريقها أن ثلاث إدانات من أصل أربع، لم تكن بالمسألة السيّئة. وبالفعل لم تكن كذلك. لكن هذا لم يكن جيداً بما فيه الكفاية. ليس بالنسبة إلى كِيم.

انحنت للأسفل لتفحص الضرر في الدراجة. لقد اقتضى منها الأمر نحو ستة أسابيع لتعثر على هذه المسامير اللعينة.

خفّفت من وضعية المفك، وأدارت البرغي مرة أخرى بين إبهامها وسبّابتها، في حين بدأ هاتفها المحمول بالرنين. أسقطت الصامولة

وقفزت على قدميها. إن ورود اتصال عند منتصف الليل، لا يحمل أخباراً جيّدة أبداً.

«المُحققة ستُون».

«لدينا جثة، سيّدتي».

طبعاً. وماذا يمكن أن يكون لدينا غير هذا؟

«أين؟».

«طريق هغلي، في ستووربريدج».

كانت كيم تعرف المنطقة. تقعُ جوارهم بالضبط، عند الحدود مع «وِيسْت مرسيا».

«سيدتي، هل يتوجب عليّ الاتصال بالمحقق براين؟».

صكّت على أسنانها. كانت تكره كلمة سيدتي. في سن الرابعة والثلاثين، لم تكن مُستعدة أن تُنادى سيدتي.

انبثقت في ذهنها صورة زميلها وهو يتعثر داخل سيارة أجرة خارج حانة «ثي دوغ».

«لا، أعتقد أنني سأتولى هذا»، قالت، منهية المُكالمة.

توقفت كيم ثانيتين، بينما كانت تُسكت الأيبُود. كانت تعلم أنه يتجب عليها أن تمحو من ذهنها نظرة الاتهام في عينيْ لورا بِيتس، سواء كانت نظرة حقيقيّة أو خياليّة، كانت كيم قد رأتها. ولم تكن تستطيع إخراجها من ذهنها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

يجب على كيم أن تعلم بأن العدالة التي تُؤمنُ بها قد خيّبت ظن أحدهم كان من المفروض عليها حمايته. كانت كيمْ أقنعت لُورا بِيتسْ بأن تثق بهما الاثنين، أن تثق بها، وبالنظام الذي تُمثله، ولم تستطع كيم أن تتخلص من الشعور بأن لورا قد خُذلت من كليهما.

الفصل الثالث

أربع دقائق منذ تلقيها للمكالمة الهاتفية، كانت كيم تقود سيارة «الجولف» موديل «جي تي أي» التي تبلغ من العمر عشر سنوات والتي كانت تستعملها حين تكون الطرقات مغطّاة بالجليد فقط، أو حين يكون إطلاق النار من فوق دراجتها النارية «النينجا» حركة غير مناسبة اجتماعيّاً.

كانت قد استبدلت بنطلونها الجينز المُمزّق والمُلطّخ بالزيت، والشحم، والغبار، ببنطلون أسود من القماش، و«تي-شيرت» أبيض. وانتعلت في قدميها حذاء طويلَ الرقبة أسود «فيرنيبيه»، يبلغ علو كعبه ربع بوصة. كان شعرها الأسود القصير يحتاج إلى القليل من التعديل. مشطته بسرعة بأصابعها وأصبحت مستعدة للذهاب.

عميلها لن يكون معنيّاً بمظهرها.

استدارت بالسيارة باتجاه نهاية الطريق. الآلة التي كانت تحت سيطرتها الآن، كانت مُختلفة. وعلى الرغم من أن السيارة كانت صغيرة الحجم، فقد توجّب على كيم التركيز عند المرور بين السيارات المركونة. كانت محاطة بكمية كبيرة من المعدن حولها، ما أشعرها بالثقل.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

على بعد ميل من المبنى المقصود، تسرّبت داخل السيارة، عبر فتحات المُكيّف رائحة حريق. وكلّما تقدمت كيم أكثر كلّما أصبحت الرائحة أقوى. من على بعد نصف ميل، تمكنت من رؤية خيط دخان، وقد وصل إلى أعلى مرتفعات «كلينت». ومن على بعد ربع ميل عرفت كيم أنها كانت متوجهة بالضبط إلى هناك.

كانت شرطة «ويست ميدلاندز» تحتل المرتبة الثانية فقط في الحجم، مقارنة بشرطة «ثي مِيت»، فقد كانت شرطة «ويست ميدلاندز» تهتم بأمور نحو 2.6 مليون ساكن. كانت «البلاك كاونتري» تقع على حدود شمال وغرب «برمنغهام» وقد تحولت إلى واحدة من أكثر المناطق الصناعية كثافة في البلاد، منذ العصر الفكتوري. ويعود أصل تسميتها «بلاك كاونتري» لظهور الفحم فيها، ما جعل التراب أسودَ على امتداد مساحات واسعة. وكانت مساحات المعدن الخام والفحم الموجودة فيها، الأكثر كثافة في بريطانيا العُظمى.

في الوقت الحالي، وعلى صعيد البطالة، تحتل المنطقة المرتبة الثالثة الأكثر ارتفاعاً في البلاد. وكانت الجرائم الصغيرة في ازدياد، بالتوازي مع السلوك المناهض للمجتمع.

كانت ساحة الجريمة تقع بالضبط خارج الطريق الرئيسي الرابط بين «ستووربريدج» و«هغلي»، وهي منطقة لم يكن من المألوف أن تجذب عدداً كبيراً من الخارجين عن القانون. كانت المنازل الأقرب للطريق بواجهات مُزدوجة، وأعمدة رومانية بيضاء وبرّاقة، ونوافذ حديدية سوداء. وكلما صعدت كيم على امتداد الطريق كانت المنازل المنتشرة بعيداً عن بعضها بعضاً، تبدو أكثر قدِما.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أزاحت كيم الشريط، وصفّت سيّارتها بين عربتي إطفاء. ومن دون أن تتكلم، أبرزت شارتها للشرطي الذي كان يحرس الشريط المُحيط بالمكان، أومأ الشرطي برأسه ورفع لها الشريط كي تتمكن من المرور من الأسفل.

«ما الذي حدث؟»، سألت أول ضابط مطافئ قابلته. صوّب إصبعه نحو بقايا أول شجرة صنوبر التي كانت تقع عند حافة العقار السكني. «بدأت النار من هناك، ثمّ انتشرت في أغلبية الأشجار قبل أن نصل إلى هُنا».

لاحظت كيم أنه من بين الثلاث عشرة شجرة التي شكلت خط العقار، شجرتين فقط، وكانتا الأقرب للبيت، لم تمسّهما النار.

«هل اكتشفتم الجسد؟».

أشار إلى ضابط مطافئ كان جالساً على الأرض، متحدثاً إلى شرطيّ. «الجميع تقريباً كان في الخارج ليشاهد المعمعة، لكن هذا المنزل ظلّ مظلماً. أكّد لنا الجيران أن سيارة «الرانج روفر» السوداء ملكها، وأنها كانت تعيش وحدَها».

أومأت كيم برأسها، واقتربت من ضابط المطافئ القابع على الأرض. كان يبدو شاحباً، ولاحظت ارتجافة طفيفة في يده اليمنى. أن تجد جثة لم يكن يوماً بالأمر المُمتع، مهما كان التدريب الذي سبق وتلقيته.

«هل لمستَ أي شيء؟»، سألت.

فكّر للحظة ثم هزّ رأسه. «كان باب غرفة الاستحمام مفتوحاً، لكنني لم أخطُ نحو الداخل».

توقفت كيم أمام الباب الأماميّ، ثم اتجهت إلى الصندوق الكرتوني على يسارها، وأخرجت غطاءً بلاستيكياً أزرق انتعلته في قدميها.

صعدت كيم الدرج، درجتين في كل مرّة، ودخلت غرفة الاستحمام. مباشرة انتبهت لمكان «كيتس»، الطبيب الشرعي. كان شخصاً صغيراً جداً، برأس أصلع، ومثيراً للضحك، بشارب ولحية تصل حتى نقطة تحت ذقنه. كان لديه شرف توجيهها خلال أول عملية تشريح لها، وقد حصل هذا منذ ثماني سنوات.

«مرحباً، أيتها المحققة»، قال، وهو ينظر حولها. « أين براينت؟».

«يا إلهي، لسنا ملتصقين ببعض».

«أجل، لكنكما مثل أكلة صينيّة. حلوة وحامضة.. لكنك من دون «براينت» حامضة فقط»....

«كيتس، إلى أي درجة، حسب رأيك، أنا مستمتعة في هذا الوقت من الليل؟».

«إحقاقاً للحق، إن حسّ الدعابة لديك ليس جلياً حقاً في أي وقت».

أوه، كم كانت تود أن تثأر منه. لو أرادت حقاً أن تفعل، لكانت علّقت بشأن طيّات سرواله الأسود التي لم تكن مستوية تماماً. أو

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كان يمكنها أن تشير إلى أن ياقة قميصه مهترئة قليلاً. حتّى إنه كان بإمكانها الإشارة إلى بُقعة الدم الصغيرة على ظهر معطفه.

لكن حالياً، استلقى جسد عارٍ بينهما، مُطالباً بانتباهها الكامل.

اقتربت كيم من حوض الاستحمام ببطء، حذرة من الانزلاق فوق الماء الذي انسكب، هنا وهناك.

كان جسد المرأة ممدّداً، ومغموراً بالماء جزئياً. كانت عيناها مفتوحتين، وشعرها المصبوغ بالأشقر منتشراً على سطح الماء، مؤطّراً وجهها.

وطفا جسدُها بحيث برز أعلى ثدييها مُبدّدَين انسجام سطح الماء.

خمّنت كيم أن المرأة في أواخر الأربعينات، لكنها حمت نفسها جيداً من علامات التقدم في العمر. بدت ذراعاها صلبتين، لكن لحمهما ترهّل داخل الماء. وكانت أظافرها مطلية بلون ورديّ ناعم، ولم يبرز أي شعر زائد على ساقيها.

كانت كميّة الماء على الأرض تدل على أن صراعاً قد وقع، وأن هذه المرأة قد دافعت من أجل حياتها.

سمعت كيم صوت خطوات تصعد الدرج بعنف.

«المحققة ستون، يا لها من مفاجأة».

أصدرت كيم صريراً بأسنانها، وقد ميّزت صاحب الصوت، والسخرية المنسابة من بين كلماته.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«المُحقق وارتُون، هذا من دواعي سروي».

كان الاثنان عملا معاً بضع مرات، ولم تخف يوماً ازدراءها له. كان واحداً من الضباط الذين يريدون تسلّق السلّم بأسرع وقت ممكن. لم يكن لديه أي اهتمام بحلّ القضايا، كان يهتمّ بإضافتها إلى سجلّه المهنيّ فقط.

كان آخر شعور له بالخزي حين ترقّت كيم، وأصبحت ضابطة تحقيقات، قبل أن يُصبح هو كذلك. ودفعته ترقيتُها المُبكّرة للانتقال إلى مركز «ويست ميرسيا»، وهو مركز شرطة أقل قوّة، والتنافس فيه أقل.

«ما الذي تفعلينه هنا؟ أظن أنك ستجدين أن هذه القضيّة تتبع مركز «ويست ميرسيا».

«وأظن أنك ستجد أنها تقع مباشرة على الحدود، وقد وصلتُ أولاً».

من دون وعي، خطت أمام الحوض. لم تكن الضحية تحتاج إلى المزيد من العيون الفضولية لتتجوّل فوق جسدها العاري.

«إنها قضيّتي، ستون».

هزّت كيم رأسها، وكتّفت ذراعيها. «لن أتزحزح، طُوم». رفعت رأسها. «نستطيع أن نجعل هذا التحقيق مُشتركاً. ولكن، بما أنني وصلتُ الأولى إلى هنا، فلذلك أنا من ستقود هذا التحقيق».

تلوّن وجهه الضئيل، واللئيم. لن يعمل تحت إمرتها إلا بعد أن تُقتلعَ مُقلتاه بملعقة صدئة.

ألقت عليه نظرة فاحصة من رأسه حتى قدميه: «وأول تعليماتي لك، يجب أن تدخل إلى مسرح الجريمة بحماية مناسبة».

نظر إلى الأسفل، نحو قدميها، ثمّ نظر إلى حذائه غير المُناسب. إنه أكثر تسرّعاً، وأقلّ سرعة، فكّرت كيم في داخلها.

خفضت صوتها. «لاتجعل هذا تنافساً مزعجاً، طُوم».

نظر إليها نظرة مملوءة بالازدراء قبل أن يستدير ويخرج من غرفة الاستحمام مثل الإعصار.

أعادت كيم توجيه انتباهها إلى الجثة.

«لقد فزتِ»، قال كِيتسْ بهدوء.

«ماذا؟».

تراقصت عيناه باستمتاع. «التنافس المزعج»، قال.

أومأت كيم برأسها موافقة. كانت تعرف هذا.

«هل نستطيع إخراجها من هنا؟».

«بعد أن نحصل على المزيد من الصُور الأقرب للقفص الصدري».

بعدما قال هذا، وجّه واحد من ضبّاط مخبر الأدلة الجنائيّة، آلة تصوير بعدسة بطول أنبوب عادم، نحو صدر المرأة.

اقتربت كيم أكثر، ورأت علامتين على كل ثدي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«تمّ دفعها للأسفل؟».

«أعتقد هذا. يظهر من الفحص المبدئي أنه لا وجود لإصابات أخرى. سوف أخبرك بالمزيد بعد التشريح».

«هل يمكن التخمين في كمّ من الوقت حدث هذا؟».

استطاعت كيم أن ترى أنه ما من دليل على أنهم فحصوا الكبد، فخمّنت أنهم استعملوا ميزان الحرارة المُستقيم قبل وصولها.

كانت تعرف أن أدنى درجة حرارة للجسم تصل الى 1.5 درجة مئوية في أول ساعة. ومن الطبيعي أن تتراوح بعد ذلك عند كل ساعة، بين 1.5 و 1.0 درجة. كما كانت تعلمُ بأن هذا التصوّر قد تأثر بعوامل أخرى كثيرة. ليس أقلّها أن الضحيّة كانت عارية، وغارقة الآن في ماء بارد.

هزّ كتفيه. «سأقوم بالمزيد من الحسابات لاحقاً لكنني، أستطيع القول إن هذا حدث في مدة لا تتجاوز الساعتين».

«متى يمكنك»...

«لديّ سيدة عمرها 69 سنة ماتت بعد أن نامت في أريكتها، وشابٌ عمره ست وعشرون سنة لديه إبرة مازالت عالقة في ذراعه».

«لاشيء مستعجلاً، إذاً؟».

نظر إلى ساعته: «منتصف النهار؟».

«الثامنة»، قالت محاجة إياه.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«العاشرة وليس قبلها»، تذمّر ثمّ أضاف «أنا إنسان، وأحتاج إلى الراحة من حين لآخر».

«ممتاز». قالت. هذا هو التوقيت بالضبط الذي كان في ذهنها. وسيمنحها فرصة تقديم ملخص للقضية لفريقها. ويكفيها كي تُكلف شخصاً بالحضور.

سمعت كيم المزيد من الخطوات على الدرج. واقتراب صوت أنفاس شخص يتنفس بصعوبة.

«الرقيب ترايفس»، قالت، من دون أن تستدير. «ما الذي حصلنا عليه؟».

« يفحص رجال الشرطة المنطقة بدقّة. لقد تمّ استجواب بعض الجيران. لكن أول شيء عرفوه كان حضور المطافئ. وقد تلقينا اتصالاً يطلب النجدة من سائق سيّارة كان مارّاً بالمكان».

استدارت كيم، وهزت رأسها بتفهم. كان أول ضابط وصل للمكان قد قام بعمل جيد، بحمايته لمسرح الجريمة من أيّ اقتحام، كي يتمكن فريق المباحث الجنائيّة من جمع البصمات والأدلة. وقد أحسن بتجميعه للشهود المحتملين. لكن المنازل المجاورة كانت بعيدة عن الطريق، وتفصلُ ما بينها مسافة ربع فدان.

«استمر»، قالت.

«كانت نقطة الدخول التي تسلل منها المهاجم هي لوحَ زجاجٍ

مُحطّم في الباب الخلفي، وقد ذكر ضابط المطافئ أن الباب الأماميّ لم يكن موصداً».

«اممم...مثير للاهتمام».

شكرَته، ونزلت للأسفل.

كان هناك تقني يُفتش الممر، بينما كان هناك تقني آخر يزيل الغبار خلف الباب ليأخذ البصمات. استقرّت حقيبة يد على طاولة الطعام العصريّة، ذات المقاعد العالية. لم تكن كيم تملك أدنى فكرة عن معنى القفل الذهبي الذي يحمل حرفاً كعلامة، فهي لم تستعمل أبداً حقائب يد، لكن هذه الحقيبة بدت لها باهظة الثمن.

دخل تقنيّ ثالث من قاعة الطعام المجاورة. وأومأ ناحية حقيبة اليد قائلاً: «لم يؤخذ شيء منها. بطاقات الائتمان والنقود سليمة لم تُمس».

حيّته كيم برأسها، وتوجهت خارج البيت. وعند المدخل نزعت الحذاء البلاستيكي ووضعته في صندوق ثانٍ. إذ يتوجب أخذ كل ملابس الاحتياط التي استعملوها في مسرح الجريمة، وفحصها لاحقاً، بحثاً عن أي دليل.

خطَت كيم من تحت الشريط. ظلّت في المكان سيارة إطفاء للمراقبة، ولضمان أن الحريق تم إخماده تماماً. فقد كانت النار ذكيّة، وتكفي جذوة واحدة لم يُنتبه إليها كي تُشعل النيران في المكان خلال دقائق قليلة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

صعدت كيم على السيارة والتقطت بعينيها صورة شاملة لمسرح الجريمة قبل وصولها.

كانت تيريزا وايت تعيش وحدها. ولا يبدو أن شيئاً تم أخذه، أو حتّى الإخلال به.

استطاع القاتل أن يغادر بأمان، وهو يعلم بأن اكتشاف الجثة لن يتم قبل الصباح التالي، وقد أضرم ناراً للتعجيل للفت انتباه الشرطة.

الآن لم يكن على كيم سوى التوصّل لمعرفة لماذا.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الرابع

عند السابعة والنصف صباحاً، ركنت كيم دراجتها النارية «النينجا» في مركز شرطة «هيلزأوين»، مباشرة خارج الطريق الدائري الذي أحاط المدينة بمركز تسوّق صغير، ومعهد. كان مركز الشرطة يقع على مرمى حجر من محكمة الصلح.

كانت البناية ذات الطوابق الثلاثة باهتة، وغير مُرحّبة، مثلها مثل أي بناية حكوميّة أخرى. واصلت كيم طريقها إلى مكتب المحققين من دون أن تُوجّه لأحد تحيّة صباحيّة، وبالمثل لم تُوجَّه لها تحيّة. تعلم كيم بأن لديها سمعة امرأة باردة، سمعة امرأة خرقاء اجتماعياً، ومن دون مشاعر. ولم تكن هذه الأحاديث التافهة خلف ظهرها تزعجها.

كالمعتاد، كانت كيم أول من وصل لمكتب المحققين. شغّلت جهاز القهوة على الفور. كانت الغرفة تحتوي على أربعة مكاتب في مجموعتين متواجهتين. كل مكتب يعكس شخصيّة صاحبه، بشاشة كمبيوتر، وحاملات الملفات غير المتطابقة.

ثلاثة مكاتب تم استعمالها من قبل ثلاثة مستعملين دائمين، بينما كان المكتب الرابع شاغراً منذ أن قُلص عددهم منذ بضعة أشهر. كانت كيم تجلسُ هناك عادة أكثر من مكتبها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانوا يشيرون دائماً إلى المساحة التي تحمل اسم كيم، بتسمية «الوعاء». لم تكن سوى مساحة عند الزاوية اليمنى للغرفة، مُجرّد مساحة مفصولة عن البقيّة بحاجز صُمّم من لوح جصيّ وزجاج.

كانت مساحة اعتادت كيم استعمالها بصفة عرضية في «توجيه أدائها الوظيفي»، وما عدا ذلك فإن مكتبها معروف بأنه تصميم قديم الطراز بشكل واضح.

«صباح الخير، جُوف»[1]، حيّتها شرطيّة المباحث وُود، بينما كانت هي تنزلق لتجلس على مقعدها. وبالرغم من أن ستايسي كانت نصف إنجليزية ونصف نيجرية، فإن قدميها لم تطأ مكاناً خارج المملكة المتّحدة على الإطلاق. كان شعر ستايسي المشدود بإحكام أسود اللون، بقَصّة قصيرة، ويتمايل مع كل حركة من رأسها. وقد تناسبت قَصّة شعرها مع بشرتها الناعمة التي كان لونها شبيهاً بلون الكراميل.

كانت مساحة عمل ستايسي منظمة، وواضحة. وأي شيء لم يكن في حاملة الملفات المُصنفة، كان مُكدساً أمامها في أكوام دقيقة على امتداد الحافة العلوية لمكتبها.

وغير بعيد عنها، كان الرقيب برايانت الذي غمغم بـ«صباح الخير جُوف»، يتجه للـ«وعاء». كان جسمه البالغ من الطول ست أقدام يبدو نظيفاً، بحيث فكّرت كيم في أنه يبدو كأن أمّه ألبَسته ملابسه لأجل مدرسة يوم الأحد[2].

---

(1) ينادي المقربون من كيم ستون بهذا الاسم المختصر.

(2) تقصد الكاتبة الكنيسة كتعبير مجازي، فضّلنا الاحتفاظ بالتعبير نفسه الذي استعملته الكاتبة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

على الفور، وضع سترته على ظهر مقعده. وفي نهاية اليوم ستتدلّى ربطة عنقه للأسفل، والزر الأعلى من قميصه سيكون مفتوحاً، وسيطوى كُمّا قميصه أدنى مرفقيه.

شاهدته كيم يلقي نظرة خاطفة على مكتبها، باحثاً عن أثر لكوب القهوة. وحين رأى أنها قد تناولت مسبقاً قهوتها، ملأ الكأس المكتوبة عليها «أحسن سائق سيارة أجرة في العالم»، التي كانت هدية مُقدّمة له من ابنته التي تبلغ من العمر تسعة عشر عاماً.

كان نظامه في ترتيب ملفّاته لا يمكن لأي أحد سواه أن يفهمه، لكن، وبالرغم من ذلك، كانت كيم تحصل على أي قطعة ورق تريدها خلال بضع ثوانٍ. بينما تستقر على مكتبه صورة مؤطّرة له مع زوجته، تم التقاطها في ذكرى زواجهما الخامسة والعشرين. وضمّت محفظته صورة ابنته.

لم يكن النقيب كيفن داوسُون، العضو الثالث في فريقها، يحتفظ بصورة أي شخص مميّز على مكتبه. ربما كان يريد وضع صورته الشخصية على المكتب أمامه على امتداد أيام عمله، حيث كان هو نفسه الشخص الوحيد الذي يشعر تجاهه بمودّة عظيمة.

«آسف، لقد تأخرت، جُوفْ»، قال داوسون، بينما انزلق ليجلس على مقعده قبالة وُود، وهكذا اكتمل فريقها.

رسميّاً، لم يكن متأخراً. فالدوام لن يبدأ قبل الثامنة صباحاً، لكنها كانت تحب أن تجتمع بهم باكراً لتقدم لهم مُلخّصاً بالمعلومات،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

خاصّة عند بداية قضيّة جديدة. لم تكن كيم تحب أن تمسك بجدول حضور، والأشخاص الذين فعلوا هذا قضوا وقتاً قصيراً ضمن فريقها.

«مرحباً، ستايسي، هل ستجهزين لي القهوة، أم ماذا»؟ سأل داوسون، بينما كان يفحص هاتفه المحمول.

«بكل تأكيد، كِيف، كيف تفضلّها، حليب، قطعتي سكّر، وهل تفضّل أن أقدمها لك على ركبتك؟»، سألته بعذوبة، بلهجة «البلاك كاونتري» القويّة.

«ستايس، هل ترغبين في قهوة؟»، سألها، منتفضاً، وقد أدرك جيداً أنها لم تلمس المعدات الخاصة بتجهيز القهوة، «لابد أن تكوني متعبة بعد أن حاربت السَحرة طيلة الليل»، سخر منها، مُلمّحاً إلى إدمان ستايسي للعبة الأونلاين «World of Warcraft».

«في الواقع، كِيفْ، لقد تلقيتُ سحراً قوياً من كاهنة رفيعة المستوى، ويُمكن لهذا السّحر أن يحول رجلاً ناضجاً إلى شخص شديد الهيجان، لكن على ما يبدو أن شخصاً آخر قد تمكن منك أولاً».

أمسك داوسون ببطنه، وأطلق ضحكة استهزاء.

«جُوفْ»، نادى براينت من فوق كتفه. «الأطفال يلعبون مُجددا»، ثم التفت إليهما ولوّح بإصبعه. «أنتما الإثنان انتظرا فحسب، حتى تعود أمّكما إلى المنزل».

أدارت كيم عينيها، وجلست في المكتب الشاغر، متحمّسة كي تبدأ: «أوكي، براينت، وزّع المعلومات. كيفْ توجّهْ للوح الكتابة».

أخذ كيفْ قلم التعليم، ووقف إلى جانب لوح الكتابة الأبيض الذي احتلّ كامل الحائط الخلفيّ.

وبينما كان برااينت يُقسّم أوراق العمل، تكلّمت كيم مستعرضة الأحداث التي حصلت في وقت سابق من فجر ذلك الصباح.

«ضحيّتُنا هي تيريزا وايت، عمرها سبع وأربعون سنة، تحظى باحترام كبير، وتعمل ناظرة في مدرسة خاصة للصّبيان في ستوربريدج. غير متزوجة، وليس لديها أطفال. كانت تعيش حياة مريحة من دون إسراف، ولم يكن لها أعداء، حسب ما نعرف.

سجّل كيفْ المعلومات على شكل نقاط تحت عنوان «ضحيّة».

رنّ هاتف برااينت. تحدث لوقت قليل قبل أن يغلق السمّاعة، ويومىء باتجاه كيم. «وودي يطلبك».

تجاهلته. «كيف، سجّل عنواناً رئيسياً آخر، سمّه «جريمة». لا يوجد سلاح قتل، لا سرقة، وإلى حد كبير لا توجد آثار بصمات أو أدلة».

«العنوان الرئيسي التالي «.الدافع»، يُقتل الناس عادّة من أجل شيء فعلوه، أو شيء يفعلونه، أو شيء ينوُون فعله. وبقدر ما نعرف، لم تكن ضحيتنا مشغولة بالقيام بأي نشاط خطر».

«امم...جُوف، رئيس المباحث يطلبك».

ارتشفت كيم جرعة أخرى من فنجانها. «ثق بي، برااينت، سيحبّني أكثر عندما أكون قد شربت قهوة. كيف، تشريح الجثة عند

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

العاشرة. ستايس، اكتشفي كل شيء تستطيعين الوصول إليه حول ضحيتنا. براينت، اتصل بالمدرسة وأعلِمهم بأننا قادمان».

«جُوفْ»..

أنهت كيم مشروبها. «اهدأ يا ماما، ها أنا ذاهبة».

صعدت الدرج إلى الطابق الثالث، درجتين في كل مرّة وطرقت الباب برفق قبل أن تدخل.

كان رئيس المباحث «وُود وارد» رجلاً ثقيل الوزن في منتصف خمسيناته. منحته أصوله المختلطة بشرته البنيّة الملساء. كانت بدلته السوداء، وقميصه الأبيض مجعّدين في كل المناطق. ونظارات القراءة التي وضعها أعلى أنفه غطّت قليلاً العينين المتعبتين اللتين تختفيان خلفها.

لوّح لها، وأشار إلى كرسيّ، متيحاً لها أن تلقي نظرة شاملة على الخزانة الزجاجيّة التي تحمل مجموعته من نماذج السيّارات.

ضمّ الرف السفليّ مجموعة مختارة من نماذج السيّارات البريطانيّة الكلاسيكيّة، لكن الرف الأعلى عرض تاريخ سيّارات الشرطة التي تم استعمالها عبر العقود. هناك MG TC من الأربعينات، وسيارة فورد موديل Anglia و Black Maria وجاغوار موديل XJ40 التي تموقعت وسط المجموعة بفخر.

وعلى يمين الخزانة، صورة فوتوغرافية لوودي مصافحاً طوني بلير، مثبة بإحكام على الحائط، وعلى يمينها صورة فوتوغرافية

لابنه الأكبر باتريك، مرتدياً زيّه العسكري، التُقطت قبل أن يُرسل إلى أفغانستان. وقد ألبس الزِيّ نفسه، لدفنه لاحقاً، بعد خمسة عشر شهراً.

أنهى وُودي المُحادثة الهاتفيّة، والتقط مباشرة، الكرة المُخفّفة للتوتر من على سطح مكتبه. ضغطت يدُه اليُمنى الكرة المطّاطيّة، وخففته على التوالي. وأدركت كيم أن وُودي يستعمل هذه الكرة كثيراً حين تكون قريبة منه.

«ما الذي لدينا حالياً؟».

«القليل جداً، سيّدي. كنا نستعرض الخطوط الرئيسيّة للتحقيق، عندما استدعيتني».

ابيضّت مفاصله حول الكرة لكنه تجاهل سخريّتها.

مالت عيناها إلى ما وراء أذنه اليمنى، حيث وُضع على الحافة الداخلية لنافذته، نموذج سيارة رولز رويس موديل فنتوم، ولاح خارج النافذة بناءٌ لم يطرأ عليه تقدم منذ أيام.

«حسب ما سمعتُ، حصل صدام بينك وبين المُحقق وارتون».

هكذا إذاً، دُقت طبول الغابة. «تبادلنا المزاح فوق الجثة».

هناك شيء خطأ بخصوص نموذج السيّارة، شيء ما لم يكن يبدو صحيحاً. فقد بدت لها قاعدة العجلات طويلة جداً.

ضغط على الكرة بطريقة أشد، « تواصل معي رئيس المباحث

الذي يعمل «وارتون» تحت إمرته. قُدّمت شكوى رسميّة ضدّك، وهم يريدون تولي القضيّة».

رفعت كيم عينيها. ألا يمكن لوارتون، ابن عُرس هذا، أن يحارب في معاركه بنفسه؟

قاومت رغبتها الملحة في الاتجاه عبر الغرفة والتقاط نموذج سيّارة الرولز رويس لإصلاح الخطأ، لكنها تمالكت نفسها.

أزاحت عينيها بعيداً، والتقت نظرتها بنظرة مديرها. «لكنهم لن يحصلوا على القضيّة، هل سيفعلون، سيّدي؟».

أدام النظر إليها لدقيقة بدت طويلة. «لا، ستون، لن يحصلوا عليها، ومع ذلك فإن شكوى رسمية ضدّك لا تبدو شيئاً جيداً في ملفك، وبصراحة بدأتُ أشعر بالتعب قليلاً من تلقي هذه الشكاوى». حوّل الكرة إلى يده اليُسرى. «لذلك، أشعر بالفضول حيال الأشخاص الذين ستنشئين صداقات معهم خلال هذه القضيّة».

شعرت كيم بأنها مثل طفل يُطلب منه أن يختار صديقاً مفضلاً جديداً. كان التقرير الأخير حول أدائها قد ركّز على منطقة واحدة تحتاج لتطويرها، ألا وهي التصرّف بلطف مع الآخرين.

«هل لديّ الخيار؟».

«من الذي ستختارينه؟».

«براينت».

ارتسم على شفتيه ظل ابتسامة، «أجل، يمكنك أن تختاري».

إذا لم يكن هناك أي اختيار مطلقاً، فكرت. كان وجود براينت معها في التحقيق يخفف من الضرر، وبوجود جيرانهم من مركز الشرطة متجسّسين ومتشمّمين وراءها، لم يكن وودي يقوم بأي مجازفات، كان يريد لكيم أن تكون تحت عنأية شخص راشد ومسؤول.

كانت على وشك أن توجه لمديرها نصيحة تقنيّة صغيرة توفر عليه ساعات من إعادة فك هيكل نموذج سيارة الرولز رويس، لكنها غيّرت رأيها بسرعة.

«هل من شيء آخر، سيّدي؟».

أعاد وُودي وضع الكرة المقاومة للتوتر على المكتب، وخلع نظارته.

«أبقيني على اطلاع».

«بالطبع».

«أوه، و يا ستون»...

استدارت عند الباب، « اتركي فريقك يحظَ بالقليل من النوم الآن، ومُجدداً. ليسوا مثلك، يتم شحنهم عبر مفتاح usb ».

غادرت كيم مكتبه، متسائلة كم تطلب من وودي ليحصل على تلك الجوهرة الصغيرة، نموذج سيارة الرولز رويس.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخامس

لحقت كيم بكورتناي، موظفة الاستقبال في المدرسة، عبر أروقة مدرسة «القديس جوزيف» في طريقهما إلى مكتب القائم بأعمال المدير. وراقبت كيم متعجبة، قدرة المرأة على التحرك بسرعة وهي ترتدي حذاء ارتفاع كعبه أربع بوصات.

تنهّد براينت، بينما كانوا يمرّون بالفصول، فصلاً إثر فصل.

«أليس هذا أفضل أيام حياتك؟».

«لا».

استدارا ناحية ممرّ طويل في الطابق الثاني، حيث تم ارشادهما إلى مكتب شُوّهت ألوان المستطيل الموجود على بابه، المستطيل الذي كان يحمل لوح الاسم الذي تمّ انتزاعه بالفعل.

نهض الرجل الذي كان جالساً خلف المكتب. كان يرتدي بذلة باهظة الثمن، وربطة عنق زرقاء بلون السماء من الحرير الفاخر. بينما يوحي اللون الأسود لشعره المُمّلس أنه صُبغ حديثاً.

مدّ يدهُ عبر المكتب. بينما ابتعدت كيم، مُتفحصّة محتويات الجدران. لقد تمّ انتزاع كل شهادة، أو تذكار يحمل اسم «تيريزا وايت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

صافح براينت اليد الممدودة.

«شكراً لاستجابتكم لطلبنا، سيد وايتهاوس».

«أنت نائب مدير المدرسة، حسب ما أفهم»، أشارت كيم.

أومأ برأسه، وجلس».ستتم ترقيتي إلى منصب نائب مدير المدرسة، ولو أمكنني تقديم أي مساعدة في التحقيق»....

«أوه، أنا متأكدة أنك سوف تفعل» قاطعته كيم. كان هناك شيء مُخادع في أسلوبه في التعامل. شيء تمّ التدرب عليه مُطولاً. حقيقة كونه بالفعل انتقل إلى مكتب «تيريزا وايت» وأزال كل آثار تدل على وجودها، يُعتبر أمراً مثيراً للاشمئزاز. وخمّنت كيم أنه قد قام بالفعل بتحديث سيرته المهنيّة.

«نريد لائحة بأسماء كل الموظفين. من فضلك، احرص على أن تكون اللائحة حسب الترتيب الأبجدي».

دلّ شكل فكّه على أنه لم يستجب بشكل جيّد للتعليمات. تساءلت كيم للحظة إن كان هذا الحال مع كل النساء، أم معها هي فقط.

أخفض عينيه. «طبعاً. سأطلب من كورتناي أن تجهز لكم هذا فوراً. جهّزت غرفة عند أسفل الممر ستكون أكثر من كافية لتلبية حاجتكم لإجراء الاستجوابات».

نظرت كيم حولها، ثمّ هزّت رأسها، «لا، أظن أننا سنكون بخير هنا».

كان فمه مفتوحاً كي يجيب، لكن السّلوك الحسن نبّهه أن عليه أن يجهّز الهدوء الكامل في محيط العمل.

جمع «وايتهاوس» بعض الأشياء التي تعود ملكيّتها له من على المكتب، وتوجّه رأساً إلى الباب، «ستكون كورتناي معكم سريعا».

وبعد أن انغلق الباب خلف نائب مدير المدرسة، ضحك براينت ضحكة مكتومة.

«ماذا؟»، سألت، وهي تجلس على الكرسيّ وراء المكتب.

«لا شي، جُوف».

حرّك أحدَ الكراسي إلى جانب المكتب وجلس.

قيّمت كيم موضع الكرسيّ المتبقي من أجل الاستجوابات.

«حرّك ذاك الكرسيّ إلى الوراء قليلاً».

حرّك براينت الكرسيّ بحيث يكون أقرب إلى الباب، بحيث يكون منفصلاً، ومن دون أي حائط للاستناد إليه. الآن يمكنها مراقبة لغة جسد من ستقوم باستجوابهم.

سُمعت طرقة خفيفة على الباب. صرخ كلاهما «ادخل»، في الوقت نفسه.

دخلت كورتناي، وبيدها قصاصة ورق، ولاحت ابتسامة على شفتيها تحاول الانفلات. هكذا إذاً، السيد «وايتهاوس» لم يكن يتمتع بشعبيّة كبيرة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«السيد أديلنغتون في الخارج، متى ما كنتم جاهزين».

أومأت كيم برأسها موافقة، «من فضلك دعيه يدخل».

«هل يمكن أن أقدم لكم أي شيء آخر؟ قهوة، شاء؟».

«يمكنك بكل تأكيد. قهوة لكلينا».

توجّهت كورتناي صوب الباب، بينما تناهى إليها صوت كيم «شكراً، كورتناي».

أومأت كورتناي برأسها، وأمسكت بالباب وأبقته مفتوحاً لأول شخص ستجرى معه مقابلة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السادس

بحلول الساعة السادسة مساء، أي بعد اثنتي عشرة محادثة متطابقة، ضرب رأس كيم المكتب. كان هناك شعور بالرضا لوقع صوت رأسها على الخشب.

«أعرف ما الذي تقصدينه، جوف»، قال براينت، «يبدو كأننا وجدنا حياة قديسة حقيقية في المشرحة».

أخذ براينت علبة حلوى النعناع الخاصة بالسّعال من جيبه، عدّها، كانت خمس حبّات، تناولها كلها.

قبل سنتين أصاب براينت التهاب صدري، ما دفع الطبيب لأن يأمره بالتخلي عن عادته بتدخين ثلاثين سيجارة في اليوم. وكجهد للتخلص من السّعال الذي يمزّقه، أصبح براينت يتناول الحلوى من دون توقف. اختفى التدخين لكن تشكّلت بدلاً منه عادة إدمان حلوى السّعال.

«أنت حقاً تحتاج إلى التوقف عن تناول هذه الحلوى، تعلم هذا؟!».

«إنه ذلك النوع من الأيام جوفّ».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ومثل مُدخّن مُحنّك، كان يتناول المزيد عندما يكون مُتوتراً، أو عندما يشعر بالملل.

«من التالي؟».

تطلع براينت في القائمة. «جُوانا وايد»، أستاذة اللغة الإنجليزيّة. أدارت كيم عينيها حين انفتح الباب. خطت امرأة ترتدي طقماً يتكوّن من بنطلون أسود، وقميص حريري ليلكيّ اللون. كان شعرها الأشقر الطويل مربوطاً للخلف على شكل ذيل حصان، كاشفاً عن فكّ قويّ مربّع الشكل، وزينة وجه خفيفة.

جلستْ من دون أن تمدّ يدها للمصافحة، وعاكست ساقها اليمنى فوق اليسرى. واستقرّت يداها بوضوح في حضنها.

«لن نأخذ الكثير من وقتك سيّدة وايد. نحتاج فقط لنطرح عليك بعض الأسئلة».

«آنسة».

«عذراً؟».

«أنا آنسة، أيتها المحققة، ولستُ سيّدة، لكن من فضلك ناديني جُوانا».

كان الصوت منخفضاً ومُسيطَراً عليه، مع أثر خفيف للكْنة الشماليّة.

«شكراً، آنسة وايد. منذ متى تعرفين المديرة وايت؟

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ابتسمت الأستاذة، « لقد تم توظيفي من قبل المديرة وايت منذ ثلاث سنوات تقريبا».

«كيف كانت علاقة العمل بينكما أنتما الاثنتين؟».

ثبّتت الآنسة وايد نظرتها على كيم، وأمالت رأسها قليلاً، «تسألين بجديّة أيتها المحقّقة وليس من باب المزاح؟».

تجاهلت كيم التلميح، وبادلتها النظرة.

«من فضلك، أجيبي عن السؤال».

«بالتأكيد. ربطتنا علاقة عمل معقولة. هذا لا يعني أنه لم يكن في هذه العلاقة صعود وهبوط، وأعتقد أن هذا يحدث بين أغلبية الإناث. كانت تيريزا مديرة مُتزمّتة في معتقداتها، وقناعاتها».

«بأي طريقة؟».

«لقد تطوّرت طرق التعليم منذ الوقت الذي كانت فيه تيريزا تدرس. أصبحت هناك حاجة للإبداع، حاجة لغرس المعرفة في العقول الصغيرة والخصبة. كلنا حاولنا تبنّي ثقافة مُخالفة، لكن تيريزا كانت تؤمن بأن كتاب التعليم الهادئ، والمُنضبط هو الوسيلة الوحيدة للتعليم، وأن أي شخص يجرّب أمراً مختلفاً سيتمّ توجيهه بطريقة لائقة.

وبينما كانت جُوانا وايد تتحدث، قيّمتها كيم من خلال لغة جسدها، واستنتجت أنها منفتحة الذهن، وصريحة. كما أنّها لاحظت أيضاً أن المرأة لم تنظر لبراينت ولو مرّة واحدة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل يمكنك أن تُقدمي لي مثالاً؟».

«منذ بضعة أشهر استعمل أحد طلبتي في ورقة الامتحان الاختصارات الأكثر شُيوعاً، والمُعتمدة في التواصل عبر الرسائل النصيّة الهاتفيّة، وعبر الفيسبوك. فأرسلتُ طلبتي الثلاثة والعشرين إلى خزاناتهم كي يجلبوا هواتفهم المحمولة. ثمّ أمرتُهم بقضاء الدقائق العشر التالية في إرسال الرسائل النصيّة لبعضهم بعضاً، بطريقة سليمة لغويّاً وبلغة إنجليزية سليمة نحوياً، متضمّنة التنقيط المناسب. هذا الإجراء أشعرهم بالتواطؤ، الكامل واستوعبوا كلهم المغزى».

«والذي كان؟».

«كان المغزى يتمثل في أن وسائل التواصل لا تتمّ ترجمتها. ولم يتكرّر فعلهم هذا من وقتها».

«وتيريزا وايت، ألم تكن سعيدة بهذا؟».

حرّكت الآنسة وايد رأسها بالنفي. «إطلاقاً. رأت أنه يتوجب أيقاف الصبي المعنيّ بالأمر، وأن هذا الإجراء سيوصل رسالة واضحة لجميع الطلبة. تجرأتُ على مخالفتها الرأي، فقامت تيريزا بتسجيل ملاحظة بعدم اتباعي الأوامر في ملفي».

«ليست هذه الصورة التي حصلنا عليها من بقيّة أعضاء فريق العمل هنا، آنسة وايد».

هزّت المرأة كتفيها باستهجان، « لا أستطيع الحديث نيابة عن أي شخص آخر، ومع ذلك أستطيع القول إن هناك أساتذة هنا

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

استسلموا. طرُقهم للوصول إلى العقول اليافعة لم تعد ناجحة، لذلك يعملون بتثاقل إلى أن يحين موعد تقاعدهم. اكتفوا بما همْ عليه، وأن يظلوا من دون إلهام، وألا يكونوا مُلهمين. في المقابل، أنا، لست كذلك».

مرّة أخرى أمالت رأسها، وجاهدت كي لا تسمح لابتسامة صغيرة بالظهور على فمها، «إن تعليم مراهقي اليوم تقديرَ جمالِ ورقّة اللغة الإنجليزية يمثل تحديّاً حقيقيّاً. لكنني، أؤمن بصفة راسخة، بأن على كل واحد منا ألا يهرب أبداً من التحديّات. ألا توافقينني الرأي، أيتها المحققة؟».

سعَل براينت.

وجّهت لها كيم ابتسامة صغيرة في المُقابل. كانت ثقة المرأة، وحوارها المنفتح مثل دفقة هواء منعش بعد اثنتي عشرة إجابة مُتطابقة.

«ما الذي يمكنك أن تخبريني به حول تيريزا كامرأة؟».

«هل تودّين مني أن أقول ما تتوقعين مني قوله، وأن أقدم لك المرثية السليمة إدارياً، المُخصصة للميّتة حديثاً، أم عليّ أن أكون صادقة؟».

«سيتم تقدير صراحتك».

أعادت الآنسة وايد معاكسة قدميها من جديد، «كمديرة للمدرسة، كانت تيرزا مُندفعة، ومركّزة على العمل. كامرأة، أشعر بأنها كانت شخصاً أنانيّاً. كما ستلاحظين هذا من مكتبها، لا توجد

أي صورة لأي شيء، أو لأي شخص مهم بالنسبة إليها. لم تكن تبالي بحجز طاقم الموظفين هنا حتى الثامنة، أو التاسعة مساء».

«جزء مهم من وقتها كانت تقضيه في مراكز الـspa، وفي التسوق لشراء ملابس موقّعة من المصمّمين، وفي حجز رحلات مُكلفة».

قام براينت بتسجيل مجموعة من الملاحظات.

«هل هناك شيء آخر تشعرين بأنه من الممكن أن يساعد في التحقيقات؟».

هزّت المرأة رأسها بالنفي.

«شكراً لوقتك، آنسة وايد».

مشت المرأة باتجاه المكتب، وأخرجت بطاقة تحمل بياناتها قائلة :»ها هو رقمي. رجاء لا تتردّدي في الاتصال بي في حال رأيت من الممكن أن أقدّم أي مساعدة إضافية». لم يكن لدى كيم أي خيار سوى أخذ البطاقة.

«شكراً، آنسة وايد، لقد كنت مفيدة للغاية».

وضعت البطاقة في جيب سترتها، «هل هناك المزيد؟».

«لا، لقد كانت الأخيرة».

نهضا من مكانيهما، «هذا يكفي بالنسبة لليوم. اذهب للبيت وخذ قسطاً من الراحة»، قالت كيم.

كان لديها شعور بأنهم سيحتاجون إلى الراحة في الأيام المقبلة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السابع

حسناً يا جماعة، أرجو أنكم قد حظيتم جميعاً ببعض الراحة، وقبّلتم أحبّاءكم، وودعتموهم».

«أجل، لا حياة اجتماعية في المستقبل القريب»، تذمّر داوسون، «وهذا لا يمثل أي تغيير بالنسبة إلى ستايسي، لكن بالنسبة إلى بقيّتنا فنحن نتملك حياة حقيقية».

تجاهلته كيم. للوقت الحالي فقط، «الإدارة تريد منا حلّ هذه القضية بنهاية هذا الأسبوع».

تنهّد داوسون، «ماذا لو لم يحصل قاتلنا على مذكرة التوقيف «جوفْ؟». سأل، وهو يتفحّص هاتفه المحمول.

«إذاً بحلول يوم الجمعة القادم سأقوم بأيقافك، وثق بي سأجعل هذا أمراً مثيراً للغثيان».

ضحك داوسون.

استعادت جديّتها، «استمر في ازعاجي «كيفْ» ولن يظلّ الأمر مجرّد مزحة. الآن، ما الذي تحصّلنا عليه من تشريح الجثة؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أخرج مفكّرته، «الرئتان ممتلئتان بالماء، قطعاً تمّ إغراق الضحيّة. كدمتان فوق صدرها. لا يوجد أثر لاعتداء جنسي، لكن سيكون من الصعب الجزم بهذا».

«أي شيء آخر؟».

«أجل، كان لديها دجاج كورما»[1] للعشاء».

«رائع، وهذه معلومة ستفتح آفاقاً كبيرة في القضية».

هزّ داوسون كتفية، «لا يوجد لدينا الكثير حقاً، «جوفْ»

«براينت؟».

حرّك بضع قطع ورقيّة، لكن كيم كانت تعرف لو أن لديه معلومات، فستكون موجودة مسبقاً في رأسه.

«تمّ فحص المنطقة مجدداً بالأمس، لكن لا أحد من الجيران رأى، أو سمع شيئاً. كان بعض الجيران يعرفون تيريزا بصفة عارضة، لكنها وعلى ما يبدو لم تكن شخصاً يحب تناول القهوة في الصباح. كما لم تكن شخصاً اجتماعياً على أي صعيد».

«أوه حسناً، لدينا دافع. قتل لنقص في روح التواصل».

«جوفْ» هناك ناس قُتلوا لأسباب واهية أكثر من هذا، أجابها براينت. كان عليها أن تمنح الاحتمال فرصة أخرى للتفكير. فقبل ثلاثة أشهر، حققوا في جريمة قتل ضحيّتها ممرّض قُتل من أجل علبتي بيرة، وبعض الفكّة في جيبه.

---

(1) طبق هندي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أي شيء آخر؟».

التقط براينت ورقة أخرى، «لاشيء من مكتب الأدلة الجنائية بعد. من الواضح أنه ليس لدينا أي دليل، أو بصمات وتحليل الألياف بدأ الآن».

فكرت كيم في مبدأ التبادل التي أطلقها «لوكارد». ارتكزت النظريّة على فكرة أن مرتكب الجريمة سيجلب معه شيئاً إلى مسرح الجريمة، وسيغادر حاملاً شيئاً من المكان. ويمكن استعمال كلا الشيئين كأدلة للطبّ الشرعي. من الممكن أن يكون أي شيء، بداية من شعرة وصولاً إلى نسيج بسيط. كان الفن يتمثل في إيجاد هذا الشيء. وفي مسرح جريمة مثل التي لديهم، شقة عمّتها الفوضى من قبل ثمانية رجال إطفاء، وغرفة استحمام غمرتها المياه، فإن أي دليل قد يكون موجوداً لن يرفع يده معلناً عن حضوره تلقائياً.

«هل من بصمات؟».

حرّك براينت رأسه بالنفي.

«كل ما نعرفه أن سلاح الجريمة تمثل في يدين اثنتين، وبالتالي فسيكون من المستبعد أن نجدهما مرميتين في مكان ما».

«لا يوجد شيء أيضاً في هاتفها. كل المكالمات الواردة والصادرة كانت من معهد القدّيس جوزيف، أو موجهة إلى مطاعم محليّة. وقائمة أرقامها ليست طويلة إلى تلك الدرجة.

«لا يوجد لديها أصدقاء، أو عائلة على الإطلاق؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«من المؤكد أنه لا يوجد أحد اهتمت تيريزا بالمحافظة على التواصل معه. وقد طلبتُ فحص تسجيلات هاتفها المنزلي، وحاسوبها المحمول. ربما نجد شيئاً».

تذمّرت كيم، «هكذا إذاً! تسلّمنا القضيّة منذ ست وثلاثين ساعة، وليس لدينا أي شيء إطلاقاً. لا نعرف أي شيء حيال هذه المرأة».

نهض براينت، «امنحيني دقيقة فقط، جُوف»، قال مغادراً الغرفة.

أدارت عينيها، «حسناً، بينما براينت يعيد توزيع بودرة الزينة على أنفه، دعونا نلخص ما قيل». نظرت إلى اللوح الذي لم تُسجل عليه سوى بعض المعلومات الإضافية مقارنة بما كان مسجلاً عليه في اليوم السابق.

«لدينا امرأة في أواخر الأربعينات. كانت طموحة ومجتهدة في عملها. لم تكن على وجه الخصوص اجتماعية، أو تحظى بشعبيّة. عاشت وحدها، من دون حيوانات أليفة، أو روابط عائليّة. لم تكن متورّطة في أي نشاط خطر، وعلى ما يبدو لم تكن لديها هوأيات أو اهتمامات، أياً كان نوعها».

«يُحتمل أن الوضع ليس كذلك»، قال براينت وهو يجلس على كرسيّه، «على ما يبدو كانت مهتمّة إلى حد كبير بعملية حفر أثريّة، والتي سُمح بإجرائها مؤخراً في مكان ما من منطقة « رُولي ريجيس». [1]

---

(1) أحد الأحياء التي تقع في بلاك كاونتري.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«وكيف تعرف هذا؟».

«انتهيت تواً من الحديث مع كورتناي».

«من كورتناي؟».

«كورتناي التي جلبت لنا القهوة طيلة نهار الأمس. سألتها إن كانت ضحيّتنا تحدثت إلى شخص مختلف في الأسابيع القليلة الماضية. وقد ذكرت كورتناي أن تيريزا وايت طلبت منها أن تحصل لها على رقم هاتف البروفيسور «ميلتون» من كليّة (وُوسْتَرْ)».

«لقد شاهدت شيئاً في الأخبار المحليّة بخصوص هذا الموضوع»، قالت ستايسي، «كان البروفيسور يحاول الحصول على إذن بالعمل في ذلك الموقع منذ فترة طويلة جداً. لقد تحوّل المكان إلى مجرّد حقل مهجور منذ احترق مأوى الأطفال القديم لكن هناك شائعات تقول إنه توجد في المكان عملات نقديّة مدفونة. كان البروفيسور يحارب الرفض والاعتراضات طيلة سنتين، لكنه حصل أخيراً على الموافقة هذا الأسبوع. احتل هذا الخبر عناوين الأخبار الوطنية بسبب المعركة القضائيّة الطويلة».

وأخيراً، أحسّت كيم بارتعاشات الإثارة. إبداء تيريزا للاهتمام بنشاط محليّ كان بالكاد دخاناً منبعثاً من مسدس، لكن هذه المعلومات كانت أكثر مما كان لديهم قبل عشر دقائق.

«حسناً، أنتما الاثنان اهتمّا بموضوع التنقيب. براينت اذهب وشغّل سيارة «الباتموبأيل».

تنهّد داوسون تنهيدة ثقيلة.

التقطت كيم سترتها، وتوقفت عند مكتب داوسون.

«ستايسي، ألا تحتاجين إلى الذهاب حالاً لدورة المياه؟».

«لا، جُوف، أنا بخير»...

«ستايسي، غادري الغرفة».

لقد تمّ اختراع اللبّاقة والدبلوماسيّة من قبل أشخاص يملكون الكثير من الوقت.

«كيِفّ، ضع هاتفك لدقيقة وأصغ إليّ. أعلم أنك تمر بظروف صعبة حالياً، لكنك حقاً أوقعت نفسك في هذه المتاعب. لو كنت نجحت في كبح رغبتك الحيوانية لبضعة أسابيع إضافيّة لكنت الآن في عناق حبّ مع حبيبتك، وطفلتك المولودة بدلاً من العودة للإقامة في غرفة لدى والدتك».

لم تكن لدى كيم عادة استعمال أسلوب الرقة مع أعضاء فريقها. يكفيها أنها تعاني مشكلة في استعمال الرقة مع عامة الناس.

«كان خطأ غبيّاً نتيجة للسكر في حفلة شباب»....

«كيفّ، ومن دون إهانة، هذه مشكلتك وليست مشكلتي. لكنك إذا لم تتوقف عن الاستياء مثل بنت صغيرة في كل مرة لا تعرف بها طريقك الخاص، فإن ذلك المكتب هناك لن يكون المكتب الوحيد الشاغر. هل نفهم بعضنا بعضاً؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حدّق به طويلاً. ازدرد لعابه ثم أومأ برأسه موافقاً.

من دون أي كلمة إضافيّة، غادرت كيم الغرفة، ونزلت الدرج. كان داوسون مُحققاً موهوباً، لكن الخط الذي كان يتبعه بالفعل كان رقيقاً جداً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن

للمرة الثانية خلال أيام، مشت كيم في مناخ التوقعات الساذج الذي ينبعث عادة من المُؤسّسات التعليميّة.

توجّه براينت صوب مكتب الاستقبال، بينما وقفت هي جانباً. بينما كانت مجموعة من الشبّان على يمينها يضحكون بخصوص شيء ما في هاتف محمول. استدار أحدهم ناحيتها، ممرّراً نظرته على امتداد جسدها، ثبّتها على صدرها. ثم رفع رأسه وابتسم.

قامت كيم بما فعله نفسه، وثبتت نظرتها عند بنطلونه الجينز الرفيع الـ«سكيني»، وقميصه ذي الفتحة على شكل حرف الـ V وشعره المقصوص المسرّح مثل تسريحة المغني جوستين بيبير.

التقت عيناها بنظرته، وابتسمت باستهزاء كأنها تردّ عليه بالمقابل.«لن يحدث هذا أبداً، أيتها الكعكة الحلوة».

عاد مباشرة للمجموعة، وهو يدعو ألا يكون أصدقاؤه قد شاهدوا هذه المحادثة البصريّة.

«يوجد شيء غير سليم هنا». قال براينت. «بدا على موظفة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الاستقبال الارتباك حين طلبت منها الالتقاء بالروفيسور. هناك شخص قادم للقائنا لكنني لا أعتقد أنه سيكون هو».

فجأة، بدأت مجموعات الطلبة تتموّج متفرّقة مثل البحر الأحمر، عندما اقتربت امرأة فارعة الطول يبلغ طولها أربع أقدام، وتنتعل كعباً عالياً. مشت بينهم بسرعة. كان حجمها صغيراً، لكنها عبرت بينهم مثل رصاصة، من دون أن تلتفت لشيء. بحثت عيناها الثاقبتان في المكان ثم استقرت عليهما.

«اللعنة، لنختبىء»، قال برراينت، بينما اتجّهت رأساً صوبهما.

«المحققان؟»، قالت، مقدّمة يدها.

هجمت على أنف كيم رائحة عطر يحمل شذا زهر التفاح. كات خصلات الشعر المجعّدة التي غزاها الشيب مشدودة بإحكام، ملتصقة برأسها، واستقرت على أنفها نظارات كأنها «دأيم أيدنا»، سترغبُ في استعادتها[1].

صافح برراينت اليد المعروضة. لكن كيم لم تفعل، « وأنتِ من تكونين؟»

«السيدة بيرسون، مساعدة البروفيسور ميلتون».

حسناً، من الواضح أن البروفيسور كان مشغولاً جداً لكي يلتقي بهما. إذا لم يعلما أي شيء عن مساعدته سيضطران للإلحاح.

---

(1) تقصد الكاتبة هنا أن هذه النظارات بنفسجيّة مصمّمة عدساتها على شكل عيني قطة، وهذا نسبة لشخصية كوميدية مسرحية أسترالية، وهي سيدة لون شعرها بنفسجي، كانت ترتدي مثل هذه النظارات.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل يمكننا أن نطرح عليك بضع أسئلة حول المشروع الذي يعمل عليه البروفيسور ميلتون؟». سأل برواينت.

«بسرعة كبيرة»، أجابت. لم توجه لهما دعوة بالذهاب لمكان آخر كي يتحدثوا بخصوصيّة أكبر. كان من الواضح أن المرأة ستمنحهما القليل من الوقت.

«هل البروفيسور مهتم بعملية تنقيب؟».

أومأت السيدة بيرسون برأسها موافقة، «أجل، تمّ الحصول على الإذن منذ بضعة أيام».

«ما الذي يبحث عنه بالضبط؟». سأل براينت.

«عملة معدنيّة بالغة القيمة، أيها المُحقّق».

رفعت كيم حاجبها. «في حقل من ضواحي «رُويلي ريجيس»؟

تنهدت السيدة بيرسون، وتحدثت كمن يتحدث إلى طفل ضائع. «من الواضح أنكم تجهلون ثراء منطقتنا. هل سمعتم من قبل عن كنز» ستافوربدشاءر»؟

نظرت كيم إلى براينت. كلاهما حرّك رأسه نفياً.

لم تقم السيدة بيرسون بأي محاولة كي تخفي امتعاضها. من الواضح أن الناس خارج نطاق الأكاديمية كانوا غير مثقفين.

«إنه واحد من من أهم الاكتشافات العظيمة في وقتنا الحاضر، تم اكتشافة منذ بضع سنوات في حقل بمنطقة «ليشفيلد». أكثر من

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ثلاثة آلاف ونصف قطعة من الذهب التي قُدرت قيمتها بأكثر من ثلاثة ملايين باوند. وأخيراً تمّ العثور على كنز من الدنانير الفضيّة يعود تأيخها إلى السنة 31 قبل الميلاد، تم اكتشافها في «ستُوك» في «ترينت».

كانت كيم مهتمة بالموضوع «من يحصل على المال؟».

«حسناً، لنأخذ الاكتشاف الجديد في «بريدون هيل»، في «وُورستيشير». وجد رجل في جهاز للكشف عن المعادن ذهباً رومانياً يحتوي على عملات نقدية، وكلاهما هو والمُزارع حصلا على أكثر من مليون ونصف المليون».

«ما الذي يجعل البروفيسور يعتقد أنه يوجد شيء في منطقة «رُوولي»؟

هزّت السيدة بيرسون كتفيها باستهجان «خرافة محليّة، أسطورة حول معركة وقعت في تلك المنطقة».

«هل تلقّى أخيراً اتصالاً من امرأة تُدعى تيريزا وايت؟».

فكّرت المرأة للحظة. «أجل، أظن هذا. اتصلت بضعة مرّات، وأصرّت على التحدّث للبروفيسور ميلتون. أعتقد أنه عاود الاتصال بها ذات مساء».

حسناً، اكتفت كيم من هذا. هناك شيء ما هنا، ولم يعد يكفيها التحدث للقرد. كانت تحتاج لعازف الموسيقى الذي يشغل هذا القرد كي يخبرها بمحتوى تلك المُكالمة.

«شكراً لمساعدتك، سيّدة بيرسون، لكنني أعتقد، وبغض النظر

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حجم انشغال البروفيسور، أننا نحتاج إلى أن نتحدّث إليه فورا».

بدت السيدة بيرسون حائرة ثم غاضبة. «الآن لديّ سؤال لك أيتها المحققة. ألا يتحدث الناس لبعضهم بعضاً؟».

«عذراً؟»، سأل براينت.

«حسناً من الواضح أنكما لستما من وحدة الأشخاص المفقودين، وإلا لكنتما تعلمان».

«نعلم ماذا، سيدة بيرسون؟».

تنحنحت المرأة بصوت مرتفع قبل أن تعقد ساعديها أمام صدرها، «لا أحد شاهد البروفيسور ميلتون، أو سمع معلومات عنه منذ أكثر من ثماني وأربعين ساعة».

الفصل التاسع

أغلقت نيكولا أدامسون عينيها إزاء نذير الشؤم الذي غمرها حين وضعت المفتاح في قفل شقتها الفخمة التي تقع في الطابق الأعلى من المبنى. وعلى الرغم من لمستها الرقيقة بدا كأن صوت المفتاح في القفل يتموّج حول المكان في الرّدهة، مثلما تفعل أغلبيّة الأشياء في الساعة الثانية والنصف صباحاً.

من الممكن أن تخرج»ميرا دونز» الساكنة في الشقة «ج» 4 في أي لحظة لترى من يقوم بكل هذه الضجّة. وتستطيع نيكولا أن تقسم أن المُحاسبة المتقاعدة كانت تنام وراء الباب الأمامي.

وكما توقعت، سمعت نيكولا الصوت المألوف لمزلاج جارتها يُسحب عبر الجزء السفلي من الباب، لكنها نجحت في دفع نفسها إلى داخل شقّتها قبل أن ترصدها المرأة الوحيدة التي تمثل لجنة الحيّ.

حتى قبل أن تضغط نيكولا على زر الإنارة، استطاعت أن تشعر باختلاف في بيتها. لقد تم اقتحامه واحتلاله. وبالرغم من أن المكان مازال ملكها، لكن يتوجب عليها أن تتقاسمه، مُجدّداً.

خلعت حذاءها، ومشت بهدوء عبر غرفة الجلوس، متوجهة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

صوب المطبخ. وبالرغم من وجود الضيف في الغرفة الشاغرة حاولت أن تحافظ على عاداتها، وعلى روتينها الخاص، وعلى حياتها.

أخذت طبق لازانيا من الثلاجة ووضعتها في المايكروويف. كان العمل يجعلها دائماً تشعر بالجوع، وهذا ما كان عليه روتينها: العودة من النادي، تسخين وجبة طعام بينما تستحم، ثم تناول القليل من الطعام مع كأس من النبيذ الأحمر قبل الذهاب للنوم.

ولم يكن اضطرارها لتقاسم بيتها، ليغير هذا. ومع ذلك، مشت على أطراف أصابعها عبر الحمّام. كانت متعبة، وليس لديها مزاج لأي نوع من الدراما.

حالما دخلت نيكولا الحمّام تنفست الصّعداء. كل باب أغلقته خلفها كان معركة خاضتها وفازت فيها. تخيّلت نفسها داخل لعبة كمبيوتر، حيث كان هدف اللعبة تنظيف كل غرفة، بينما تُسابق العدُو.

لم يكن هذا عدلاً، وبّخت نفسها بينما كانت تلقي بملابسها في كومة بجانب المشى المخصص لل«دُش». كان عليها أن تُعدّل مؤشر حرارة الماء، وهذا ما أزعجها. حتّى الأسبوع الماضي، لم يكن من الضروري القيام بأي تعديل. كان سهمُ المؤشر ليكون حيثُما تركته.

أغمضت عينيها، وتركت وجهها يتواجه مع بخار الماء. لسعات الماء الساخن على بشرتها، منحتها إحساساً جيداً. ابتعدت عن رذاذ المرش، ودفعت رقبتها إلى الخلف. وخلال ثوانٍ، بللت قوّة الماء شعرها الأشقر الطويل تماماً. وصلت يدها خلف الرف الحديدي لكنها، وجدت الفراغ. اللعنة، لقد وُضعت زجاجة الشامبو على الأرضيّة مرة أخرى.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

انحنت للأسفل والتقطتها. تسبّبت قوة الضغط في اندفاع سيل من الشامبو على زجاج الدش. كظمت غيظها مرّة أخرى. إن تقاسم بيتها مع شخص آخر يجب ألا يكون صعباً جداً، لكنه كان كذلك بامتياز. وهذا ما يتوجب عليها القيام به طيلة حياتها.

تستطيع أن تشعر بالضغط في كتفيها. وهذه الليلة لم تكن ليلة جيّدة بالنسبة إليها.

عملت في نادي «الروكسبيرغ» منذ خمس سنوات، أي منذ عيد ميلادها العشرين، وأحبّت كل دقيقة من عملها. لم تكن تهتم إن كان الناس يفكرون في أن عملها سيئ السمعة، أو مهين. كانت تحب الرقص، وتستمتع بعرض جسمها، وكان الرجال يدفعون الكثير من المال لمشاهدتها. لم تكن تقوم بالتعرّي، ولم يكن هناك لمس. لم يكن ذلك النوع من النوادي. كان هناك نوادٍ أخرى وسط «برمنغهام»، وكل راقصة في كل واحد من تلك النوادي كانت تتمنى العمل في «الروكسبيرغ». وبالنسبة إلى نيكولا سيكون النادي الوحيد الذي ستودّ دائما أن تعمل فيه. وقد خططت لتتقاعد من الرقص عندما تبلغ الثلاثين لتتابع بعدها اهتمامات أخرى. ورصيدها في البنك يدعم هذا المُخطّط.

خلال آخر خمس سنوات، أصبحت نيكولا الراقصة الأكثر شعبية في المكان. وكانت تتلقى في الليلة بمعدل ثلاث طلبات لرقص خاص. ويكون ذلك مقابل 200 باوند للمرة، ولم يكن هذا مبلغاً يُستخف به.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت تعرف أن بعض المتعصّبات لقضايا المرأة يعتبرنها مخالفة لمبادئ المسيح، وكردّ فعل حيال هذا تكتفي نيكولا باللامبالاة. حيث تتمثل حريّة المرأة بالنسبة إليها في حق الاختيار، وقد اختارت أن ترقص، ولم تكن تفعل هذا لأنها مدمنة مخدرات تافهة، بل لأنها كانت تستمتع بالرقص.

حتى حين كانت طفلة كانت تستمتع بعرض رقصها. لقد كافحت من أجل هذا التفرّد، وهذا التميز، ومن أجل هذه الفرادة التي تجعل الناس يلاحظونها.

لكنها الليلة شعرت بالاستياء من أدائها. لم يتم تقديم شكاوى من زبائنها، فاضت كؤوس الكريستال، وتم طلب قنينتين من «الدُوم بيرينيون» من قبل آخر زبون لها، ما جعل مديرها رجلاً سعيداً جداً.

لكن نيكولا كانت تعرف أن عقلها الليلة لم يكن حاضراً بصفة كاملة في عملها. فهي لم تشعر بأن روحها وعقلها وجسدها خاضعة الخضوع الكامل للرقص. بالنسبة إليها مثّل هذا فرقاً مثل الفرق بين أحسن ممثلة وأحسن مساعدة.

غسلت شعرها من البلسم، ثم خرجت من تحت الدش. نشفت جسدها، ولفّته في معطف الحمام، مستمتعة باحساس النسيج الدافىء على جلدها. ربطت الحزام حول خصرها، وخرجت من الحمّام.

تجمّدت في مكانها. للحظة نسيت. فقط للحظة.

«بيث»، قالت وهي تستردّ أنفاسها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«من غيري؟».

توجهت نيكولا صوب المطبخ. «آسفة إن كنتُ أيقظتك»، قالت، وهي تخرج اللازانيا من المايكروويف. أخذت طبقين ووزعت الوجبة.

وضعت طبقاً أمام الكرسيّ الخاص بها، والطبق الآخر قبالتها.

«لست جائعة»، قالت بيث.

حاولت نيكولا ألا تنكمش أمام لهجة القوية لبيث التي تميزت بلهجة البلاك كاونتري. عندما كانتا طفلتين كان عليهما أن يتحدثا بتلك الطريقة، لكن بيث لم تقم بأي مجهود لتتغيّر.

«هل أكلت اليوم؟»، سألت نيكولا، ثم وبّخت نفسها بصمت. تراها ستتخلص يوماً من كونها الأخت التوأم الأكبر؟ حتى لو كانت المسألة تتمثل في بضع دقائق؟

«أنتِ لا ترحّبين بوجودي هنا، أليس كذلك؟».

نظرت نيكولا للأسفل، للباستا. فجأة تبدّدت شهيّتها. لم يفاجئها السؤال المباشر لأختها، وسيكون من العبث أن تكذب. بيث تعرفها تقريباً جيداً بقدر ما كانت تعرف نفسها.

«ليس الأمر أنني لا أريدك هنا، المسألة أنه مضى وقت طويل ليس إلا».

«وخطأ من هذا، يا أختي العزيزة؟».

ابتلعت نيكولا ريقها، وأخذت طبقها إلى حوض المِغسلة. ولم تتجرأ على النظر. لم تكن تستطيع مُواجهة الاتهام والألم.

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

«هل لديك مُخطّطات لأجل الغد؟»، سألت، مُحوّلة الحديث إلى موضوع أقل إثارة للمشكلات.

«بكل تأكيد. هل ستعملين مجدداً ليلة الغد؟».

لم تقل نيكولا شيئاً. كان من الواضح أن بيث تعترض على أسلوب حياة نيكولا. «لماذا تهينين نفسك هكذا؟».

«أنا أستمتع بما أقوم به»، أجابت نيكولا مدافعة. وكرهت حقيقة أن صوتها قد ارتفع درجة.

«لكن لديك شهادة في علم الاجتماع. هذه خسارة رهيبة».

«على الأقل لديّ شهادة»، ردّت نيكولا، وندمت فوراً على كلامها. كان الصمت بينهما ثقيلاً.

«حسناً، لقد أبعدتِ عني ذلك الحلم، ألم تفعلي؟».

كانت نيكولا تعرف أن بيث تلومها بسبب انفصالهما، لكنها لم تسأل نفسها أبداً لماذا.

حدّقت نيكولا في حوض الأواني، متشبّثة به بإحكام. «لماذا عدت؟».

تنهّدت بيث بقوة. « إلى أي مكان آخر يمكنني الذهاب؟».

أومأت نيكولا مؤيّدة برأسها بصمت، ثم هدأ الجو بينهما.

«سيعود كل شيء من البداية من جديد، أليس كذلك؟»، سألت بيث بهدوء.

استشفت نيكولا الوهن والألم في صوت أختها، وهذا جعل قلبها يؤلمها. هناك بعض القيود لأيمكن كسرها.

أصبح الطبق المتّسخ غير واضح أمام عينيها اللتين غشيتهما الدموع، وأثقلت عليها السنوات التي قضتها من دون أختها.

«وكيف ستقومين بحمايتي هذه المرة، يا أختي الكبرى؟».

مسحت نيكولا عينيها ثم استدارت، متجّهة نحو أختها التوأم كي تحتضنها، لكن باب غرفة النوم كان أغلق بالفعل.

أفرغت نيكولا محتوى الطبق الثاني. تكلّمت بهدوء عبر الغرفة الشاغرة . «بيث، مهما كان السبب الذي تكرهينني لأجله، أنا آسفة. آسفة جداً، جداً». مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل العاشر

عند السابعة صباحاً، وقفت كيم أمام شاهدة القبر وهي تلف السترة الجلديّة حول نفسها بإحكام. كانت أعلى «الرولي هيل» الذي حدّته مقبرة «بُووك لاين»، وحيث عوت الريح من حولها. كان اليوم هو السبت، وقد اعتادت كيم تخصيص هذا اليوم كوقت للعائلة، سواء كان هناك قضية جديدة، أم لا.

مازالت القبور الحجريّة تحمل بقايا هدايا الكريستماس التي تركها الأحياء الذين يشعرون بالذنب، أكاليل تحوّلت إلى هياكل من الأغصان، بينما تقصّفت ورود «البونسيتيا»، وذبلت الورود بسبب الطقس. بينما تألقت طبقة من الجليد على قمّة الحجر الإمبراطوي الأحمر».

منذ اللحظة التي وجدت فيها كيم القبر يعلوه صليب خشبي بسيط معلّماً المكان، قامت كيم بادخار أكثر ما يمكنها توفيره من وظيفتها، واشترت الحجر. تم تثبيت هذ الحجر يومين بعد عيد ميلادها الثامن عشر.

حدّقت كيم في الحروف الذهبيّة القليلة، كان هذا فقط ما تمكنت من الحصول عليه وقتها، بكل بساطة اسم وتاريخين. وكالعادة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت مصدومة بسبب المسافة القليلة بين السنتين المنقوشتين، لم يعش أكثر من رمشة عين.

قبّلت كيم أصابعها ووضعتها بإحكام فوق الحجر البارد. «تصبح على خير، ميكي الحُلو، نم جيداً».

لسعت الدموع عينيها، لكنها تحكمت فيها. كانت الكلمات نفسها التي قالتها مباشرة قبل آخر نفس غادر جسده الهش، جسده المهزوم.

أعادت كيم وضع الذكرى بأمان في صندوق بداخلها، وارتدت خوذتها. دفعت دراجة «الكواساكي نينجا» حتى بوّابة الخروج.

كان هناك بعض من قلة الاحترام، بخصوص تشغيل محرك سعة 1400 سنتيمتر مربع داخل المقبرة. بعد خروجها وابتعادها متراً عن المقبرة، شغلت كيم دراجتها النارية.

عند سفح الجبل قادت كيم دراجتها حتى منطقة صناعية نُصبت أمامها لافتة «مسموح». كان هذا المكان شهادة صارخة للتاريخ الصناعي للمنطقة، ومنطقة قاحلة ومناسبة، يمكنها أن تجري منها الاتصال الهاتفي.

أخرجت كيم هاتفها. لم تكن هذه محادثة لتجريها بجانب قبر «ميكي». لم تكن لتسمح بأن يُلوث مكان راحته الأخيرة من قبل الشر. كان يتوجب عليها أن تحميه، حتى في الوقت الحاضر.

تم الرد على الاتصال عند الرنة الثالثة.

«الممرضة تايلور، من فضلك».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

انقطعت المكالمة بضع ثوان قبل أن تسمع الصوت المألوف.

«مرحبا ليلي، معك كيم ستون على الخط».

كان صوت الممرّضة دافئاً. «مرحبا كيم، من اللطيف أن أتلقى اتصالاً منك. وقد فكّرت في أنك ربما قد تتصلين اليوم».

قالت الممرضة الكلام نفسه الذي تقوله في كل مرة، والذي لم يتغير ولا مرّة. قامت كيم بإجراء هذا الاتصال شهرياً طيلة آخر ست عشرة سنة.

«كيف حالها؟».

«حظيت بكريستماس هادئ، وبدا عليها أنها استمتعت بالجوقة الموسيقية الكنسية التي زارت»...

«أي مواقف عنيفة؟».

«لا، ليس في الوقت الحاضر. علاجها مستقر».

«هل من شيء آخر؟».

«لقد سألت عنك مرة أخرى بالأمس، على الرغم من أنه ليس لديها أيّ إدراك بالتواريخ تقريباً. كأنها تعرف متى ستتصلين». توقفت الممرضة عن الكلام. «أنت تعرفين، إذا ما حصل، وأردت يوما أن تأتي و»....

«شكراً لوقتك، ليلي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لم تقم كيم بزيارتها أبداً ولن تفعل هذا أبداً. كانت المِصحّة النفسيّة «غرانتلي» قد أصبحت بيتاً لوالدتها منذ كان عمر كيم ست سنوات، وكان هذا هو المكان الذي تنتمي إليه.

«سأخبرها أنك قد اتصلت».

شكرتها كيم مُجدداً وضغطت على زر «إنهاء». تعاملت الممرضة مع اتصالات كيم الشهريّة على أنها اتصال للاطمئنان على حال والدتها، وبدورها لم تخبرها كيم بخلاف ذلك.

كيم فقط كانت تعرف أنها كانت تتصل، فقط لتتأكد أن القاتلة، تلك العاهرة الشريرة مازالت تقبع بأمان خلف القضبان.

الفصل الحادي عشر

«حسناً قدّموا لي آخر المعلومات يا جماعة. «كيفَ» ما الذي نعرفه»؟

«البروفيسور ميلتون طلّق أخيراً للمرة الثالثة. نوعاً ما مثل المذيع الشهير «سأيمون كَوِيلّ»، كل زوجاته السابقات لا يملكن شيئاً سيئاً ضده، يذكرن الأشياء الجيدة حوله فقط. لا أطفال بيولوجيين من صلبه، لكن لديه خمسة أربّاء. ولم يُلاحظ أن لديه عداوات.

«متى افتُقد؟».

«يوم الأربعاء كان آخر يوم شوهد فيه. مساعدته في الكليّة أعلنت بلاغاً بالفقدان عندما لم يظهر يوم الخميس صباحاً. ولم يتواصل مع أحد من أفراد عائلته، وهذا على ما يبدو غريب جداً».

«أي شيء يشير إلى أنه سبق وفعل هذا من قبل؟».

حرّك داوسون رأسه نفياً: « بالاستماع إلى زوجاته السابقات يبدو كأنه تجسيد لغاندي، دمث ولطيف». عاين كيف ملاحظاته. «آخر زوجة سابقة تحدثت إليه يوم الثلاثاء مساء، وكان متحمساً لكونه حصل أخيراً على إذن السماح للقيام بالتنقيب».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«بحثت بخصوص هذا الموضوع «جُوف»، عرضت ستايسي. « الطلب الأصلي الذي قدّمه البروفيسور ميلتون كان قبل سنتين. وقد كان هناك أكثر من عشرين اعتراضاً على المشروع، اعتراضات بيئية، اعتراضات سياسية، اعتراضات ثقافية. ولم أحصل على شيء آخر ما عدا هذا حتى الآن».

«واصلي المحاولة، ستايس. براينت، هل نعرف بالضبط متى تحدثت ضحيتنا للبروفيسور؟».

أخرج براينت قطعة من الورق. أرسلت لي كورتناي عبر الفاكس سِجل الهاتف. تحدثا لمدة اثنتي عشرة دقيقة يوم الأربعاء نحو الساعة الخامسة والنصف».

شبكت كيم ذراعيها. «حسناً، كل ما لدينا هو التالي: جرت مكالمة هاتفية بين ضحيتنا وبروفيسور جامعي مساء الأربعاء، والآن واحد منهما ميت والآخر مفقود».

سُمع طرق على الباب. هناك شرطي واقف عند الباب:

«ماذا؟»، صرخت بحدّة. كانت تكره المقاطعات خلال الاجتماعات.

«سيّدتي، هناك سيّد في مكتب الاستقبال يريد التحدث إليك».

نظرت إليه كيم كأنه فقد عقله.

«أعلمُ، سيّدتي، لكنه يصرّ على أنه سوف يتحدث إليك فقط. ويقول إنه بروفيسور»....

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت كيم خارج مقعدها. «براينت، تعال معي»، قالت وهي متوقفة عند الباب. «ستايس، جدِي أي شيء يمكنك الحصول عليه بخصوص قطعة الأرض هذه».

توجهت إلى الخارج، واستعملت الدرج. حافظ براينت تقريباً على سرعتها نفسها.

في مكتب الاستقبال، سلّم عليها رجل بلحية رماديّة كاملة، وشعر على شكل أسلاك.

«بروفيسور ميلتون؟».

توقف عن فرك يديه كي يصافحها. أخذت كيم يده لوهلة، ثم أفلتتها.

«من فضلك تعال من هنا».

دلّته كيم عبر الممرّات على غرفة المقابلات رقم 1.

«براينت، اتصل بمكتب المفقودين وأعلمهم أننا وجدناه كي لا يخسروا المزيد من الوقت. هل هناك أي شيء يمكننا أن نقدمه لك؟».

«كأس شاء حلو».

أومأ براينت برأسه، وأغلق الباب خلفهما.

«الكثير من الناس قلقوا بشأنك، بروفيسور».

لم تقصد أن تبدو كلماتها كأنها توبيخ، لكنها تكره أي إهدار لوقت الشرطة. كانت المصادر قليلة بما يكفي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أومأ برأسه متفهماً، «أنا آسف، أيتها المحققة. لم أعرف ما عليّ فعله. تحدثت فقط للسيدة بيرسون منذ ساعات، وأخبرتني بزيارتك. وقالت إنه يمكنني الوثوق بك».

تفاجأت كيم بأن العجوز الشمطاء كوّنت عنها هذا الرأي.

«أين كنت؟»، سألته. لم يكن هذا السؤال الذي كان يجب أن تسأله، لكن لو كان براينت بجانبها لكان حثّها على توخي الحذر. كان من الواضح أن الرجل يرتعد، وقد عادت يديه مثل المغناطيس الواحدة للأخرى.

«كنت في «بارماوث، في فندق. كان يتوجب علي أن أبتعد».

«لكنك يوم الأربعاء كنت فوق القمر من شدة فرحك، حسب ما ذكرته لنا السيدة بيرسون».

عاد براينت للغرفة حاملاً كؤوساً مصنوعة من الستايروفوم. جلس ودفع إحدى الكؤوس باتجاه البروفيسور.

واصلت كيم، « هل تحدثت لامرأة اسمها تيريزا وايت في ذلك اليوم؟».

بدا على البروفيسور ميلتون الارتباك. «أجل، ذكرت لي السيدة بيرسون أنك سألتِ بخصوص هذا، لكنني لست متأكداً من صلة هذا الموضوع بما حدث لي أخيرا».

لم تكن كيم تملك أدنى فكرة عما حصل له أخيراً، لكنها كانت تعلم بأن تيريزا وايت ظهرت ميتة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل يمكنك أن تخبرنا لماذا اتصلت بك تيريزا وايت؟».

«بكل تأكيد. سألتني إن كنت أقبل بمشاركة أي متطوعين في المشروع».

«وما الذي قلته؟».

هز رأسه نفياً: «لا، أنا أقبل فقط المتطوعين الذين أنهوا على الأقل سنة في الجامعة. الآنسة وايت عبّرت عن اهتمام بموضوع علم الآثار، لكنها لم تنه أي بحث، وبكل تأكيد لم تكن لتستطيع إنجاز واحد قبل أن يبدأ مشروع التنقيب نهاية شهر فبراير».

شعرت كيم بالخيبة. هذا لن يقودهم للكشف عن قاتل. كانت محادثتهما من دون فائدة.

«هل هناك شيء آخر؟»، سأل براينت.

تمهّل البروفيسور قليلاً. «سألتني من أي جهة سنبدأ التنقيب، وهذا ما وجدته غريباً بعض الشيء، في إطار تلك المحادثة».

أجل، فكّرت كيم. لقد كان هذا غريباً قليلا. «وما الذي حدث بعدها؟»، سألت، متابعة من آخر تعليق له.

ابتلع البروفيسور ميلتون ريقه :»عدت للمنزل من العمل، ولم تقم «تيس» بتحيّتي كما اعتادت أن تفعل».

نظرت كيم إلى براينت. لقد قال داوسون إن البروفيسور كان أعزب من جديد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«عادة، تنام في المطبخ، قريباً من إناء الماء خاصّتها، لكنها فور وضعي المفتاح في القفل، تكون أمامي محرّكة ذيلها».

آه، هذا منطقي أكثر، فكّرت كيم.

«لكنها لم تفعل هذا يوم الأربعاء. ناديتها بينما كنت أتحرّك في المطبخ، لكنها لم تأت. وجدتها بجانب السرير»، ابتلع ريقه، «كانت تهتز بتشنج على الأرضيّة. كانت عيناها زجاجيّتين وملتمعتين حتى إنني ولبضع ثوانٍ لم أرَ الملاحظة. رفعتها، وقدت سيارتي باتجاه الطبيب البيطري" بأسرع ما يمكن، لكن كان الوقت قد تأخر. ماتت في نفس الوقت الذي وصلت فيه هناك. قال وهو يُجفف عينه اليمنى.

فتحت كيم فمها لتسأله عن الملاحظة لكن براينت قاطعها.

«آسفون جداً لسماع هذا، بروفيسور. هل كانت مريضة؟».

حرك البروفيسور رأسه بالنفي، «إطلاقا. كان عمرها أربع سنوات فحسب. لم يحتج الطبيب البيطري إلى فحصها. استطاع أن يشمّ رائحة مضاد التجمد (يُستعمل في السيارات) في تنفسها. على ما يبدو، الكلاب يحبّون هذه المادة لأن مذاقها حُلو. لقد سُكبت هذه المادة الكيميائيّة في إناء الماء الخاص بها، وقد شربت منه الكثير».

«قلت إن ملاحظة كانت موجودة؟»، حثّه براينت بلطف على الحديث.

احمرّت عيناه، «أجل، النذل الذي فعل هذا شبكها بدبوس في أذنها».

جفلت كيم. «هل تتذكّر ما كان مكتوباً عليها؟».

التقط سترته. «الملاحظة موجودة لديّ هنا. انتزعها الطبيب البيطري من أذنها».

أخذت كيم الملاحظة. ما من فائدة لأخذ البصمات عنها الآن. سبق أن أمسكها البروفيسور، وبالمثل فعل الطبيب البيطريّ. فتحت كيم الورقة وفردتها على الطاولة. كانت كتابة بسيطة مرقونة بالأسود على ورقة بيضاء وقرأت:

«أوقف عملية التنقيب، أو ستكون زوجتك رقم 3 هي التالية».

«حتى إنني لم أعد للبيت. أخجل من الإقرار بأنني كنت مرتعباً، ومازلت كذلك. من تراه يقوم بهذا، أيتها المُحققة؟».

ارتشف البروفيسور آخر رشفة من الشاء. «حتى إنني لا أعرف إلى أين يمكنني الذهاب».

«السيّدة بيرسون» اقترحت عليه كيم. لقد لاحظت كيم التعبير على وجه المرأة حين تحدثت عن البروفيسور. ستكون تلك المرأة مثل كلب «بولدوغ» صغير، ولن تسمح لأحد بالاقتراب من البروفيسور.

نهضت كيم وأخذت الملاحظة، بينما صافح براينت يد الرجل، وعرض عليه أن يوصله بسيارته إلى أي مكان يريد أن يذهب إليه.

قبضت كيم بإحكام على الملاحظة، وتوجهت عائدة إلى المكتب.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لم تستطع أن تمنع نفسها من أن تشعر بأنه يوجد في مكان ما في الخارج، علبة عملاقة من الديدان، وبأنها سُلمت فقط «فتّاحة العلب».

«حسناً كِيفْ، أعتقد أننا سنحتاج للقهوة الطازجة. ستايس، ما الذي وجدته بخصوص تلك الأرض؟».

«تبلغ مساحة هذه الأرض نحو فدان، وتقع مباشرة قرب المحرقة المخصّصة لغحراق الجثث في رُولي. إنها في طرف منطقة سكنية بُنيت في منتصف الخمسينات. وقبل تطوير المساكن كانت موقعاً لمصنع الفولاذ».

دخل برراينت للغرفة بينما كان يتحدث في هاتفه. «شكراً كورتناي. لقد قدّمت لنا مساعدة رائعة».

«ماذا؟» سأل برراينت، بينما استقرت عليه ست أعين فضوليّة.

«كورتناي؟» سألت كيم. «هل هناك شيء أحتاج لنقله إلى زوجتك؟».

ضحك برراينت، بينما كان يخلع سترة بدلته. «أنا رجل متزوج وسعيد، جوف. زوجتي قالت هكذا».

«ماذا بشأن هذه المكالمة؟».

رفع برراينت حاجباً. «بمتابعة منطقك للماضي والحاضر والمستقبل، سألت كورتناي إن كان لديها حريّة النفاذ للتاريخ المهني لتيريزا وايت. وستقوم بإرسال نسخة منه بالفاكس».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ضع هذه الفتاة على لائحة الكريستماس. إنها بهذا ستجعلنا نربح ثروة من الوقت بتجنب سلسلة من التصريحات».

استدارت كيم نحو ستايسي، محاولة أن تتخيّل قطعة الأرض، «انتظري، هل أنتِ تتحدثين عن ذلك الحقل المجاور مباشرة للمحرقة؟ ذلك الحقل حيث يُقام المعرض السنوي الخاص بالسفر؟».

أدارت ستايسي الشاشة، وأشارت بإصبعها. صورة من جوجل للأراضي ملأت الشاشة. «انظري، هناك شيء مُسيّج على حافة الطريق، لكن ما عدا هذا إنها قطعة نفايات من الأرض.

حماسة كيم أصبحت الآن خارج نطاق السيطرة. كل حاسة من حواسها الآن في أقصى حالة من حالات الطوارئ.

«ستايس، ابحثي عن اسم كريستوود، واحصلي لي على كل معلومة يمكنك الحصول عليها. لديّ جملة من الاتصالات عليّ القيام بها».

أخذت كيم نفساً عميقا عندما جلست على مقعدها الخاص. بدأت بضع قطع من الأحجية تستقر في مكانها. ولأوّل مرة في حياتها، تمنّت أن تكون مخطئة.

الفصل الثاني عشر

استدار طوم كورتيس مبتعداً عن النافذة. لم يكن ضوء النهارعادة يمنعه من النوم بعد ثماني ساعات من العمل في بيت الرعاية. كان العمل مُرهقاً جداً فقد كان طوم يحمل كبار السن البدناء ويضعهم في السرير، يلمس بصاقهم، ويمسح مؤخراتهم.

كان قد تجنب بالفعل تحقيقين داخليين، لكنه مرتاب بخصوص التحقيق الثالث. سيكون أكثر إشكالية. لقد كانت ابنة مارثا براون تزورها مرة كل أسبوع، وعندما زارتها آخر مرة كانت متأكدة من أنها لاحظت الكدمة.

بقية طاقم العمل غضّ النظر عمّا يحدث. كان من المستحيل ألا يفقد صبره الآن. أن يكون الرجل الوحيد ضمن طاقم العمل فإن هذا يعني أنه يحصل غالباً على مناوبة الليل، ولا يكفي هذا، فقد كان يجد أنهم تركوا له العمل الأثقل. كان أضعف من أن يتذمّر. لو كان صادقاً في الإجابات التي قدّمها في استمارته بخصوص وضعه الصحي لما حظي بعمل أبداً.

لكن لم يكن ضميره ما حرمه من النوم. فهو لم يشعر بأي تعاطف مع كبار السن الذين كانوا تحت رعأيته، وإن كان أقرباؤهم يشعرون

بالإهانة، فبإمكانهم أن يأخذوهم للمنزل ويمسحوا مؤخراتهم المقرفة بأنفسهم.

لا، لم يستطع النوم بسبب هاتفه المحمول الذي لم يتوقف عن الرنين. وبالرغم من أنه أطفأ الهاتف نهائياً إلا أنه لا يزال بامكانه سماع رنينه داخل رأسه.

استدار وتمدّد على ظهره، أحسّ بالسعادة لمغادرة زوجته وابنته البيت في وقت سابق من ذلك النهار. فاليوم سيكون يوماً آخر من أيامه المظلمة.

كانت الأيام المظلمة تعصف به من فترة لأخرى، على امتداد آخر سنتين وسبعة أشهر وتسعة عشر يوماً. كان يشعرُ خلال تلك الأيام بحاجة مُلحّة للشرب. خلال تلك الأيام لم يكن يشعر بأن حياته تستحق أن يُضحي بالتوقف عن الشرب.

عندما غادر طوم معهد تعليم الطبخ لم يخطط أبداً أن يكون مستقبله مختصراً في تغيير حفاظات الكبار في السنّ. عندما تخرّج، لم يتوقع أنه حين يتقدم به العمر، سيعمل برقبة محنية لإدخال وإخراج هؤلاء المُسنّين الذين يعانون أمراض الشيخوخة، يقودهم من أسرّتهم ثم يعيدهم إليها. لم يحلم بأن يطعم بيده مجموعة من الناس الممتلئين بالصمال الجيفي[1] قبل أن يتلاشى نفسهم الأخير.

في سنّ الثالثة والعشرين عانى طوم أول أزمة قلبية، وقد حولته

---

(1) المرحلة التي تسبق عادة تحلل جثة الميت حيث يتخشب الجسد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

إلى عاطل عن العمل في مجال الطبخ. ساعات العمل الطويلة، والمُثقلة بالتوتر لم تكن لتمنح شخصاً يعاني مرض القلب الاحتقاني، حياة طويلة.

ذات يوم كان يقدم طبخاً راقياً ضمن مطبخ فرنسي في «ووتير ايدج» في «بيرمينجهام»، وفي اليوم التالي كان يحضّر برغر بلحم الديك الرومي والبطاطا المُجمّدة لمجموعة من الأطفال الذين كانوا من دون فائدة.

أخفى إدمانه عن زوجته طيلة سنوات. أصبح فناناً في الأكاذيب، والخداع. وفي اليوم الذي هوى فيه جراء تعرضه لجلطة قلبية ثانية، كُشفت أكاذيبه عندما نصحه الطبيب بالانتباه لأن النوبة التالية ستكون على الأرجح الأخيرة.

لم يتناول أي مشروب منذ ذلك اليوم.

أخذ هاتفه وفتحه. وعلى الفور بدأ الهاتف بالرنين. ضغط على زر الإنهاء ليقطع المُكالمة، حيث وصل رصيده الإجمالي من المكالمات التي لم يرد عليهاإلى سبع وخمسين مكالمة خلال ثلاثة أيام. لم يعرف الرقم، ولم يظهر أي اسم على شاشة الهاتف، لكن طوم عرف من الذي كان يتصل.

كان من الممكن أن يقضي المتصل وقته بطريقة أفضل. تماماً مثلما حاول الوصول إلى تيريزا. كان من الواضح أنها فتحت فمها، وتحدث إلى أحدهم، ولذلك توجب قتلها.

ارتاب طوم بأن يكون الترخيص بعملية التنقيب قد جعلهم كلهم متوترين بشدة، لكنه لم يكن يحتاج لمعاينة الاتصالات. سيحافظ على أسرارهم اللعينة، بقدر ما حافظوا هم على أسراره. لقد أبرموا اتفاقاً بينهم. يعلم بأن الآخرين اعتبروه الحلقة الأضعف في سلسلة الخداع تلك، لكنه لم يضعف بعد.

كانت هناك أوقات، خاصة في الأيام المعتمة، راودته فيها الرغبة في التحدث، كي يخلص نفسه من السّم. كان سيتمكن من إخراس هذه الأفكار بسهولة أكبر بالشراب.

سافر عقله للوراء، مثلما يفعل كل يوم. اللعنة، كان يتوجب عليه أن يقول لا. كان يتوجب عليه أن يواجه بقيّة المجموعة ويقول لا. بدا له سوء تصرفه تافهاً مقارنة بتبعات إذعانه.

ذات مرة وجد نفسه أمام الحائط خارج مركز شرطة «أولد هيل». طيلة ثلاث ساعات ونصف الساعة وقف هناك، وهو يطرد القصّة من ضميره. يومها نهض، ثم جلس، ثم سار بضع خطوات، ثم عاود الجلوس. بكى، نهض. ثم مشى مبتعداً.

لو كان قوياً بما يكفي ليقول الحقيقة فمن الممكن أن يخسر زوجته. كامرأة وكزوجة، لو حصل وعرفت حصّته من الوقائع ستمرض من جراء تصرفاته. وكان الجزء الأسوأ يتمثل في أن طوم لم يكن يستطيع لومها على ذلك.

ألقى بالأغطية عنه. ما من معنى لمحاولته النوم، فقد كان مستيقظاً تماماً. توجه صوب الطابق السفلي. كان يحتاج لقهوة، وفضّل

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أن تكون أكثر تركيزاً. توجه صوب المطبخ وتوقف مُتجمّدا عند طاولة الطعام.

حدّقت به قارورة شراب «جوني وولكر بلو» مع ملاحظة.

الرؤية المبهرة للسائل البني المُذهّب، جعلت لعابه يسيل. البطاقة الملتصقة على القارورة والمشيرة إلى احتوائها على نسبة أربعين في المئة كحول، دلّت على أن القارورة يبلغ ثمنها أكثر من مئة باوند. كانت واحدة من أجود وأقدم أنواع الويسكي، كانت كريستالة في عالم الويسكي. تجاوب جسده معها. كان كأنه استيقظ في صبيحة الكريستماس. أبعد عينيه عن القارورة واتجه نحو الملاحظة.

«نستطيع القيام بهذا على طريقتك، أو على طريقتي، لكن يجب القيام به. استمتع».

انزلق جالساً على الكرسي، وعيناه مثبتتان على أفضل أصدقائه وأسوأ أعدائه.

كان واضحاً ما الذي أراده المُرسل. كانوا يتمنون له الموت. لقد تحرر من خوفه. لطالما عرف أن يوم الحساب سيأتي، سواء في هذه الحياة، أو في الحياة اللاحقة.

فكّ طوم سدّادة القارورة فوصلت الرائحة أنفه فوراً. كان يعرف أن تناوله للمشروب يمكن أن يقتله. لن تفعل هذا الرشفة الأولى... كان مدمناً على الكحول، ولا وجود لوهم اسمه رشفة واحدة. لو أخذ رشفة واحدة، أو كأساً واحدة فسينهي القارورة، وهذا سيؤدي إلى موته.

إذا ما اختار هذه الطريقة للموت فلن يتعذب أحد سواه. ستظن زوجته أنه ضعف ببساطة أمام رغبته في الشرب، وستكون هكذا آمنة. مع قليل من الحظ يُحتمل ألا تعرف أبداً ما الذي قام به في الماضي. ولا حاجة لابنته أن تعرف بالموضوع أبداً.

رفع القارورة ببطء، وأخذ أول جرعة. توقف فقط لثانية قبل أن يرفع القنينة مجدداً إلى شفتيه. هذه المرة لم يتوقف إلى أن أصبحت النار لا تُطاق في صدره.

هزّته النتائج مباشرة. بعد أكثر من سنتين خسر فيها جسده قدرته على التحمّل، واشتعل الكحول عبر عروقه في طريقه نحو عقله. أخذ جرعة كبيرة أخرى وابتسم. هنالك طرق أسوأ للموت.

تجرّع جرعة أخرى، وضحك بينه وبين نفسه. لا مزيد من تحميم كبار السن. لا مزيد من الحفاضات القذرة. لا مزيد من مسح اللعاب.

رفع القنينة إلى فمه، مرسلاً بالسائل داخل جوفه. التهب جسده، وشعر بأنه مُنتشٍ. كان الشعور شبيهاً بمشاهدة فريقك المفضل لكرة القدم وهو يهزم الفريق المنافس.

لن يخفي بعد الآن ما فعله. لا مزيد من الخوف. لقد كان يقوم بالشيء المُناسب.

تساقطت الدموع على وجنتيه. في داخله شعر طوم بأنه سعيد، بأنه في سلام، لكن جسده كان يخونه.

استراحت القنينة على فمه، بينما ارتاحت نظرته على صورة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لابنته وهي تطعم الماعز في حديقة حيوانات «دُودلي» في عيد ميلادها السادس.

حدّق بالصورة بعينين نصف مغمضتين. لم يكن يذكر ذلك العبوس على وجهها، ولا الأسئلة في عينيها.

«أنا آسف، حبيبتي»، قال للصورة «حصل هذا مرة واحدة فقط، أقسم بهذا».

لم يتغير التعبير على وجهها. هل أنت متأكد؟

أغمض عينيه كمواجهة للاتهام، لكن صورة وجهها ظلت تتموج داخل عينيه.

«حسناً، ربّما حصل هذا أكثر من مرة، لكن هذا لم يكن خطئي، حبيبتي. لقد جعلتني أفعل هذا. لقد أغوتني. لقد شاكستني. لم أستطع الامتناع. لم يكن هذا خطئي».

«لكنك كنت راشداً؟».

أغلق طوم عينيه أمام الهجوم المُشمئز لطفلته. شقت دمعة طريقها، وانزلقت على وجنته.

«أرجوك أن تفهميني، كانت أكبر بكثير من سن الخامسة عشرة. كانت ذكيّة ومُسيطرة، وأنا استسلمت، وحسب. لم يكن خطئي. لقد قامت بإغرائي، ولم أتمكن من الدفاع عن نفسي.

«كانت طفلة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

سحب طوم شعره كي يخفف من الألم، «أعلم، أعلم، لكنها لم تكن طفلة. كانت فتاة محتالة عرفت كيف تحصل على ما أرادت».

«لكن ما فعلته لاحقًا لا يُغتفر. أبي، أكرهك».

الآن بكى جسده بأكمله. لن يرى أبداً طفلته الصغيرة الجميلة مرة أخرى. لن يرى «أيمي» تكبر لتتحول إلى سيدة يافعة، ولن يكون حولها ليحميها من الصبيان. لن يقبّل أبداً تلك الوجنتين الناعمتين مرة أخرى، أو يشعر بيدها الصغيرة في يده.

سقط رأسه للأمام وتساقطت دموعه على ساقيه. عبر نظرته المغبشة بالدموع نظر إلى قدميه، وتوقفت نظرته عند الخف البيتي الذي اشترته له «أيمي» بمناسبة عيد الأب. كان خفاً مرسوماً عليه وجه هومير سيمبسون، شخصيته المفضلة.

لا، صرخ عقله. يجب أن تكون هناك طريقة أخرى. لم يكن يريد أن يموت. لم يكن يريد أن يخسر عائلته. عليه أن يجعلهم يفهموا.

ربما بإمكانه التوجه إلى الشرطة ويعترف بما اقترف. لم تكن المسألة كما لو كان وحده. لم يكن حتى صاحب القرار. هو سأير المسألة فقط، لأنه كان صغيراً وخائفاً. كان ضعيفاً وغبياً، لكنه اللعنة، لم يكن قاتلاً.

بكل تأكيد سيُعاقب، لكن مشاهدة ابنته وهي تكبر تستحق هذا الثمن.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

جفف طوم دموعه وركز نظره على القنينة. كان قد شرب نصفها. يا إلهي، صلّى لكي لا يكون الوقت قد فات.

وبينما كان يعيد وضع القنينة على الطاولة، شعر برأسه يُجذب بعنف، وقد سُحب شعره للخلف.

وقعت القنينة على الأرض، بينما كان طوم يحاول فهم ما يحدث. شعر بالنصل البارد للمعدن تحت أذنه اليسرى، وبساعد يحيط بعنقه. حاول أن يستدير لكن نصل الشفرة مزّق بشرته.

شاهد يداً ترتدي قفازاً تتحرك من اليسار إلى اليمين تحت ذقنه.

وكان هذا آخر شيء رآه.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثالث عشر

غيرت كيم مكان جهاز الاستقبال بعد الاتصال الثالث. أملت أن تكون مخطئة، وأنها لم تكن على وشك إهدار الوقت الثمين لبعض الشخصيّات المُهمة. لو كانت مخطئة، ستتقبّل بسعادة توبيخاً قاسياً من وُودي. لكنها لن تحصل على أي إحساس بالرضا إذا ما كانت محقة في هذه القضية.

أحدهم لم يكن يريد لتلك الأرض أن تُحفر.

«ما الذي تحصّلتِ عليه، ستايس؟»، سألت كيم وهي تجلس على حافة المكتب الشاغر.

«آمل بأنك تجلسين مرتاحة، جُوفْ. تُعد البناية التي مازالت قائمة هناك جزءاً من منشأة أكبر تم انشاؤها سنة 1940. وبالعودة لذلك الوقت، صُممت كي تستقبل المضطربين عقلياً من الجنود العائدين من الحرب. أرسل المعاقون جسدياً إلى مستشفيات مختلفة في المنطقة، لكن أسوأ المُتضررين نفسياً تم إرسالهم إلى «كريستوود». حقيقة، كانت تُمثل وحدة سكنية آمنة للجنود الذين لن يستطيعوا العودة أبداً إلى المجتمع. ونحن نتحدّث هنا عن آلات القتل التي لم يكن لها زر «التوقف».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

في أواخر السبعينات كان عدد قاطني المبنى نحو خمسة وثلاثين شخصاً، حيث إن هناك من انتحروا، أو ماتوا لأسباب طبيعية. ثم تم استعمال المكان لاحقاً كإصلاحية للجُنح.

صّرت كيم على أسنانها. كانت هذه الكلمة، كلمة إصلاحية، التي عفا عليها الزمن، كلمة تجلب لها مختلف الدلالات.

«واصلي».

«هناك بعض قصص الرعب الحقيقية التي انتشرت في الثمانينات عن سوء المعاملة وانتهاك الحرمات. فُتح تحقيق، لكن لا اتهامات تم إثباتها. مُبكراً في التسعينات تم تحويل المكان إلى بيت للأطفال، تحديداً للبنات، لكنه استمر في حمل شهرة أيواء المراهقات المضطربات.

وجراء التخفيضات في الميزانية، وإصلاحات المبنى ألغي دور المبنى تدريجياً بحلول الألفيّة الجديدة وفي سنة 2004 حدث حريق أدى إلى إخلاء المكان نهائياً».

«هل من شخص تأذى؟».

حرّكت ستايس رأسها نفياً «لا يوجد أي معلومات تشير إلى ذلك؟».

حسناً كيفُ، ستايس، ابدآ بتجهيز قائمة بأعضاء فريق العمل، أريد أن أرى.»....

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أسكتها صوت جهاز الفاكس العائد للحياة. كلهم عرفوا معنى هذا، وتوقعوا ما سيُذكر في الفاكس.

التقط براينت الوثيقة وتفحّصها بسرعة. وقف بجوار مكتب ستايسي وقدّم لها السيرة المهنية لتيريزا وايت.

«ها نحن ذا يا رفاق، أظن أن لديكم أول واحد».

تبادلوا النظرات في ما بينهم جميعاً،.. ها هي الاحتمالات بدأت بالظهور.

ثم.. رنّ.

الفصل الرابع عشر

يا إلهي، جُوف، هلا أبطأت. هذه ليست دراجة «كاواساكي غولدوينغ»

«من الجيد معرفة هذا لأنه لا يوجد شيء كهذا».

«هل تعلم بأننا تأخرنا جداً لإنقاذه»؟

أبطأت كيم عندما اقتربت من إشارة ضوؤها أصفر، لكنها فكرت في أنها ستكون أسرع منها، فتجاوزتها لشارع «بيدمور». أخذت طريقها بين السيارات على الطريق المُزدوج الذي امتد بجوار مركز تسوق «ميري هيل».

«ولا تستعملين صفارة الإنذار عند قيامك بهذا؟».

«أوه براينت استرخ. لم أتسبب بقتلنا بعد». ومنحته نظرة جانبية، «وأنت تحتاج إلى أن تقلق أكثر بخصوص الجرح العميق على ذراعك اليسرى». كانت كيم قد التقطت خلال الاجتماع الجرح البليغ من خلال قماش كم قميصه.

«إنه مجرد خدش».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل لعبت الرجبي الليلة الماضية؟».

نكس رأسه.

«عليك فعلاً أن تتخلى عن هذه الرياضة. إما أنك كبير في السن لتلعبها، أو بطيء جداً في اللعب. وإلا فإنك ستؤذي نفسك بهذه الطريقة».

«شكراً على هذا جُوف».

«كل جرح تصاب به أسوأ من الجرح الذي سبقه، لذلك فإن الوقت قد حان بالتأكيد لتتوقف».

اضطرت كيم أن توقف السيارة عند الإشارة الضوئية التالية. لفّ برماينت يده اليسرى على المقبض المتدلي من سقف السيارة مستعرضاً إياها.

«لا أستطيع القيام بهذا. رياضة الرغبي هي «اليانغ»× خاصّتي.

«الـ..ماذا؟».

«إنها اليانغ خاصّتي «جُوفْ». إنها تؤازرني. زوجتي تجعلني آخذ حصص رقص كلاسيكي معها كل أسبوع. أحتاج إلى الرغبي كي أحقق توازني».

عاينت كيم حركة المرور أمامها التي تبدأ عند الخط الداخلي للطريق، وتجاهلت نفير السيارات الذي تردّد خلفها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«إذاً، فأنت تتواثب حول حلبة الرقص، ثم تعانق رجالاً مشعرين آخرين كي تحصل على توازنك الداخلي؟».

«في لعبة الرغبي، يسمّى هذا تشابكاً بالأكتاف يا جوفّ».

التفتت، ونظرت إليه وهو يكتم ابتسامته. «ما لا أفهمه حقاً، لماذا قدمت لي هذه المعلومة طواعية؟ كان عليك أن تعرف أن هذا كان خطأ؟».

أراح رأسه الى الخلف على المقعد، وأغلق عينيه وتأوّه «أجل بدأت ألاحظ هذا الآن». ثم استدار نحوها. «ستحتفظين بهذا بيننا جوفّ»؟

حركت رأسها نفياً «لا تجعلني أقدّم وعوداً لا أستطيع الحفاظ عليها». أجابته بصدق.

«إذاً من الذي كنت تتصلين به منذ قليل؟ سألها مغيّراً الموضوع.

«البروفيسور ميلتون».

«من أجل ماذا؟».

«فقط للتأكد من أنه وصل إلى بيت السيّدة بيرسون بأمان».

عندما بدأت العربات في التقدم ببطء دفعت كيم بالسيارة إلى الأمام. ضغطت على الفرامل عندما تفرّعت الحارات الثلاث في الطريق إلى حارتين. أمسك برواينت بالمقبض.

«حسناً ما الذي نعرفه»؟

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«رجل في أواخر الثلاثينات، وحنجرة مقطوعة. من الممكن أن يكون هذا انتحاراً، كما يمكن أن يكون هذا حادثاً غير مقصود».

حوّلت كيم عينيها. كان المزاح الأسود ضروري للمحافظة على سلامة العقل، لكن أحياناً فقط...

«إلى أين الآن؟».

«اتجهي إلى اليسار، وتجاوزي المدرسة، وسنرى المكان من هناك».

استدارت كيم بحدّة عند الزاوية، ما جعل براينت يصطدم بباب الركاب. قادت السيارة حتّى التل، ثم توقفت.

الشُرفة المُربعة توصل مباشرة إلى الغرفة الأمامية، حيث كان هناك محقق جالساً بارتياح على الأريكة مواجهاً لأنثى شديدة الاضطراب. مشت كيم مباشرة عبر غرفة الطعام المفتوحة على المطبخ.

«يا للمسيح»، همست.

«لا إنها مجرد شائعة» قال كيتس.

كان الرجل مازال جالساً على كرسيّ غرفة الطعام. كانت أطرافه متراخية مثل أطراف خرقة دمية. جرى تمزيق رأسه من الخلف، كانت قمّة رأسه تستقر تقريباً ما بين كتفيه. تذكّرت كيم مباشرة الصور المتحركة. كانت الزاوية التي يلامس فيها الرأس الكتفين تقريباً مستحيلة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت قوانين الفيزياء تجعل التفسير المنطقي للأمر أن الرجل قد وقع على البلاط. لكن زاوية من الجزء الخلفي لعنقه أعلى الكرسي حافظت عليه جالساً في مكانه، كان رأسه منحنياً مثل صنارة صيد.

كان الجرح الغائر يبدو أصفر، مثل أنسجة دهنيّة مزقتها شفرة، فجّر الدم على الحائط المقابل، ونزف على صدره، مُشكلاً مريلة مريعة. كان قميصه وبنطاله الرياضي قد ارتويا بالدم وختقتها تقريبا الرائحة .

«يا للمسيح»، قال براينت من الخلف.

حرك كيتس رأسه. «يحتاج أحدكما لتغيير قاموس كلماته».

تجاهلته كيم، بينما كانت تحتفظ بالمشهد في ذاكرتها. وقفت أعلى الجثة ونظرت للأسفل. كانت عينا الرجل مفتوحتين على وسعهما. وحمل وجهه أقصى تعبير عن الرعب.

رأت زجاجة الويسكي الفارغة على الأرضية. «كحول في هذا الوقت؟»، سألت.

«أظن أن نصف محتوى الزجاجة في جوفه والنصف الآخر على السجاد. هذه خسارة فظيعة. تباع قارورة «جوني والكير بول» بأكثر من مئة باوند».

«براينت، اذهب»....

«أنا في طريقي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

استدار برباينت عائداً نحو الردهة. كان يجيد التعامل مع النساء المضطربات أكثر مما كانت كيم تفعل. بصحبتها كنّ غالباً ما يضطربْن، ويبكين أكثر.

مشت حول الجسد، متفحّصة المشهد من كل زاوية. لا شيء في المنطقة القريبة قد بُعثر، ولا يبدو أن صراعاً قد حدث في المكان.

حامت حولها بدلة بيضاء:

«أيتها المحققة، «كيجان» مؤدب جداً كي يطلب منك الابتعاد، لكنني لست كذلك». قال كيتس. «تراجعي للخلف كي يتمكن من القيام بعمله».

صوّبت كيم نظرة حادة على كيتس، لكنها خطت إلى الخلف في ركن الغرفة. لاحظت بارتياح أن ثنية الساق اليمنى لسرواله كانت تتهدل للأسفل، لكنها لعنت القليل من اللياقة التي تملكها التي جعلتها تحتفظ بملاحظتها على شفتيها.

التقط «كيجان» صوراً رقمية، ثم أخرج كاميرا صالحة للاستعمال مرة واحدة فقط، وكرّر العملية نفسها.

«محفظته في الأعلى، بالتالي لم تكن عملية سطو»، اقترح كيتس، واقفاً إلى جانبها.

عرفت كيم هذا مسبقاً.

«نوع السكين؟».

«يمكنني القول إن مقبضه بلاستكي، وهو سكّين مطبخ طوله سبعة إنشات يستعمل عادة لقطع الخبز».

«وصف مفصل لفحص أوليّ؟».

هزّ كتفيه باستهجان. «أو يمكن أن يكون هذا الوصف خاصاً بالسكين المغطى بالدماء والموجود في الحوض».

«تم قتله بسكين الخبز خاصته»؟

«أيتها المحققة، لا أودّ أن ألزم نفسي وأقدّم فرضيّات بصفة مبكرة لكن»، ثم خفض صوته وانحنى نحوها، « سأغامر بتخمين أن تلك اللعبة القذرة لها علاقة بالأمر».

أدارت كيم عينيها بنظرة يأسٍ. رائع أصبح الجميع اليوم كوميديين.

«طريقة الدخول؟».

«باب الفناء. يبدو أنه تركه مفتوحاً للسماح للقط بالدخول والخروج».

كم من الجيّد مشاهدة حملة «البيت الآمن» وقد نجحت!

اقتربت كيم أكثر من باب الفناء. كان هناك تقني يقف في الخارج يمسح الغبار عن المقبض. عاينت كل إنش من فناء الدار.

توقفت نظرتها عند نقطة ما، ثم انحنت إلى الأسفل.

قيّمت الحديقة الخلفية، مزيج من الألواح والحصى. سياج نظيف أحاط بها.

«كيتس، من كان من الفريق موجوداً في منزل تيريزا وايت تلك الليلة؟».

ألقى نظرة سريعة على الفنيّين الموجودين. « إنه أنا نفسي».

حسناً، هذا يعني أنه لم يكن سواهما، هما الإثنان.

«هل ترتدي الحذاء نفسه؟».

«أيتها المحققة، إن حذائي»...

«كيتس، أجبني وحسب».

توقف بضع لحظات، متجهاً ناحيتها.

«لا، لست أرتدي الحذاء نفسه».

وهي كذلك لم تكن ترتدي الحذاء نفسه.

«انظر»، قالت مشيرة بإصبعها لنقطة معينة.

حدّق بالشيء، لقد كان جزءاً من ورقة من شجرة golden conifer ولم يكن طولها أكثر من إنش.

التقت عيونهم في الوقت نفسه الذي توصّلا فيه لتداعيات هذا الاكتشاف.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«إن الويسكي قطعة من البازل جوفٌ»، قال براينت، وهو يظهر إلى جانبها. «الرجل كان مُنقطعاً تماماً عن شرب الكحول. كان منضبطاً نحو عامين». وصرّحت الزوجة بأن القنينة لم تكن موجودة في البيت هذا الصباح، وأنه لم يكن ليترك البيت في هذه الحالة. أيضاً، مازال لديه المبلغ من المال نفسه في محفظته الذي كان موجوداً فيها عندما غادرت البيت. ومازالت تفحص أرجاء المكان».

وقفت كيم وأخذت قلم تعليم للأدلة من الحقيبة التقنيّة. «لماذا قد يُحضر القاتل الويسكي؟».

رفع براينت كتفيه باستهجان، «لا أدري، لكن رجلنا كان يعاني قصوراً احتقانياً في القلب بالتالي الويسكي كان على الأرجح كافياً».

كانت كيم حائرة. أحضر القاتل قنينة كحول، بطريقة ما كان واعياً أنها من المحتمل ستكون قاتلة لطوم كورتيس، لكنه مع ذلك قطع رأسه. هذا غير منطقيّ.

«يمكن أن يكون القاتل قد أوصل القارورة فحسب، وغادر الموقع لكن هذا لم يكن كافياً. لماذا»؟

«هذا المريض النفسي ربما أراد إرسال رسالة»؟

«إما أن القاتل كان يعرف حالة قلبه المرضية، لكنه مع ذلك أراد إضافة لمسته الشخصيّة، أو أنها كانت وسيلة لإخضاعه، كي يُصبح عمله أسهل».

نفض براينت رأسه، بينما رنّ هاتف كيم المحمول.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ستون تتكلم».

«جوفْ، ما هو الاسم الكامل لضحيتك؟».

«طوم كورتيس...لماذا»؟ سألت، مصغية إلى أنفاس داوسون اللاهثة. انقبضت معدتها لإدراكها ما الذي كانت على وشك سماعه.

«لن تصدقي هذا، لكن قبل عشر سنوات كان هناك رئيس طهاة في مأوى الأطفال في كريستوُود. وكان اسمه طوم كورتيس».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخامس عشر

«شكراً للسماح لي بالقيادة في طريق العودة، جُوف. أعصابي لن تتحمل قيادة أخرى شبيهة بجولة في القطار الدوار بمدينة الملاهي».

«حسناً، هذا ليس فيلم driving miss daisy وأنا أريد العوة للمركز قبل عطلة نهاية الأسبوع المقبل».

قاد براينت نحو «هيلز أوين»، وأخرجت كيم جوالها. أعادت طلب رقم اتصلت به في وقت سابق.

«بروفيسور ميلتون...نعم...مرحباً. بخصوص محادثتنا في وقت سابق، هل كل شيء على ما يرام»؟

«قمت بإجراء بعض الاتصالات، أيها العزيزة، وأعتقد أنني أستطيع المساعدة بخصوص طلبك».

«أقدّر هذا، لكن يبدو أننا الآن لدينا جسداً مرتبطاً بهذه القضية، وعلينا الاستعجال كضرورة قصوى».

سمعت استنشاقه الحاد للهواء. «سوف يكون منجزاً. أيتها المحققة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

شكَرَته، وأنهت المكالمة.

«حول ماذا كان كل هذا؟».

«لا تهتم، فقط واصل القيادة».

وعندما كان برايئت يدخل السيارة إلى الموقف، اتصلت كيم مقدماً بمركز الشرطة كي تطلب إجراء اجتماع قصير مع وُودي، وحين دخلت المبنى، توجهت مباشرة إلى مكتبه في الطابق الثالث.

طرقت كيم باب وُودي، ودخلت قبل أن يسمح الدخول.

«ستون، يجب أن يكون هذا الأمر جيداً. لقد كنت مشغولاً وسط»....

«سيّدي، قضية تيريزا وايت مُعقدة أكثر ممّا ظنّنا في البداية».

«كيف ذلك؟».

أخذت كيم نفساً عميقاً. «حسب الطريقة التي قُتلت بها، ضحيتنا قامت بإجراء اتصال بالبروفيسور ميلتون الذي تلقى لتوه تصريحاً بالتنقيب في مساحة من الأرض في رولي ريجيس».

«في البداية طلبت الالتحاق بالمشروع كمتطوعة ولكن طلبها رُفض. ثم في ما بعد أصبحت مهتمّة بالأرض المعنية».

«ما أهميّة هذه الأرض؟».

«إنها موقع لمأوى أطفال قديم».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل تقع بعد الفرن الخاص بحرق الجثث؟».

أومأت كيم برأسها موافقة. «تيريزا وايت، وطوم كورتيس، كانا كلاهما من الموظفين السابقين. منذ بضعة أيام، تلقى البروفيسور إذناً بالسماح بالتنقيب في الأرض، ومن وقتها أصبحت حياة البروفيسور مهدّدة، وقُتل كلبه. واثنان من الموظفين السابقين في كريستوُود قُتلا».

حدّق وُودي في بقعة على الحائط خلفها. كان يقرأ فعليا العناوين.

«سيّدي، أحدهم لا يريد التنقيب في تلك الأرض».

«ستون، لا تندفعي بسرعة. هناك الكثير من السياسة مرتبطة بهذه المسألة».

«ستكون المعدات في الموقع غداً».

ضغط على فكّه بتوتر. «ستون، تعرفين أن هذا مستحيل. توجد تصاريح مختلفة نحتاج إلى الحصول عليها أولاً».

«مع فائق احترامي، سيّدي، هذا القلق يعنيك ولا يعنيني. مع زخم الأحداث الخاصة بهذه القضية ليس لدينا حقاً رفاهية الانتظار مطولاً».

تأمّل في كلماتها لحظة. «أول عمل تفعلينه غداً صباحاً هو التواجد في الموقع، ولا أريد أن يتم الحفر، لا أريد أن تضرب أي مجرفة تلك الأرض إلى أن تحصلي على تأكيد مني».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لم تقل كيم شيئاً.

«ستون، هل نفهم بعضنا بعضاً»؟

«بكل تأكيد، سيّدي. مهما كان ما تقوله».

نهضت، وغادرت الغرفة.

الفصل السادس عشر

انزعجت بيثاني آدامسون من الضجيج المفاجئ في سكون الرّواق. صلصلت الشبكة المعدنية بين المصعد والطابق المُبلّط تحت وقع عُكّازها.

تحرّكت على امتداد الممر، باحثة عن مفاتيح الشقة. وبيد واحدة حاولت أن تُميّز مفتاح الدخول. لكن حزمة المفاتيح سقطت على الأرض، معدناً مقابل معدن. أرسلت بعض الشتائم، بينما انحنت لاسترجاع المفاتيح. تفجّر ألم من ركبتها حتى فخذها. أطبقت يدها حول المفاتيح لكنها لم تفعل هذا الا بعد أن سمعت مزلاج الباب يُسحب في باب البقرة العجوز.

وبينما استقامت بيث، شعرت بتدفق موجة من الهواء الدافئ تصلها من باب جارتهم المفتوح.

«هل كل شيء على ما يرام هناك؟»، سألت.

لم يكن هناك قلق في السؤال، لمحة تأنيب فقط.

كان طول ميرا دُونز يبلغ نحو خمس أقدام، وكانت تنتعل خفاً مصنوعاً من الفراء. ولاح الجزء العاري من جلدة قدمها مُتقشراً

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وجافاً. شكرت بيث الله أن تلك المرأة كانت مرتدية ثوباً كامل الطول. طوت ذراعيها المكتنزتين فوق ثدييها الكبيرين والمرتخيين للأسفل مثل أذني كلب. وكشّر وجهها المُجعّد معبراً عن الامتعاض.

واجهتها بيث مُباشرة. قد تكون نيكولا تخشى البقرة العجوز، لكنها هي لم تكن كذلك.

«سيدة دُونز، لقد تعرضت حالاً للاغتصاب ونُهبتُ من قبل ثلاثة أشخاص لكنني أشكرك لاهتمامك».

كشرت المرأة. «هناك ناس يحاولون النوم، تعرفين».

«لديك فرصة أفضل للنوم إن لم تكوني مُتكئة على الباب».

تلوّى وجه المرأة ليصبح مثل وجه كلب بولدوغ يمضغ زنبوراً.

«تعرفين، قبل أن تنتقلي للسكن هنا، كان هذا الطابق مكاناً محترماً حدّ المثالية، والآن انظري إلى ماذا تحول بكل هذه الجدالات والضجيج على مدار الساعات»....

«سيدة دُونز. إن الساعة بالكاد العاشرة ونصف، وقد التقطت مفاتيحي».

احمرّ وجه المرأة. «حسناً...حسناً...كم من الوقت تعتزمين البقاء؟».

«أجل، هناك مقيمة أخرى لا ترغب في وجودها هنا. حسناً، يا لسوء الحظ اللعين.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

على الأرجح سأبقى لفترة. لقد أضافت نيكولا اسمي في عقد الإيجار».

مشاهدة الرعب على وجه المرأة كان أمراً يستحق عناء الكذب.

«أوه، لا، لا، سأتحدث مع أختك حول»....

كانت هذه السيدة الفضولية الشبيهة بحقيبة قديمة على وشك أن تُفقدها أعصابها.

«بحق الجحيم ما هي مشكلتك»؟

«الضجيج العالي آخر الليل يفزع السكان الفرديين، أيتها الشابة».

«من تظنين أنه قد يتمكن من الدخول إلى بيتك. لديك ثلاثة أقفال، ورمز للمفتاح لحمايتك». نظرت بيث للمرأة من الفوق إلى الأسفل. «وبصراحة، لا أعتقد أن هناك لديك الكثير لكي تخافي عليه».

ابتعدت السيدة دُونز عن الباب. «لا أستطيع التعامل معك. سأتحدث إلى نيكوليتا. إنها أكثر لطفاً منك».

أخبريني أمراً لا أعرفه مسبقاً»، فكّرت بيث.

واصلت التحديق بالمرأة العجوز حتى انغلق الباب نهائياً. سمحت لنفسها بابتسامة صغيرة. هذا الحوار الصغير صنع بهجة ليلتها.

أصدرت صلصلة بالمفاتيح بضع مرّات إضافية قبل أن تدخل الشقّة.

وضعت بيث عُكازّها على حافة الأريكة وجلست. فركت رُكبتها. كاد البرد يقتلها.

التقطت الخف المنزلي الذي كان قريباً من الصوفا. كان الجلد البنيّ في الأعلى ناعماً وليّناً، والفراء فاخراً ودافئاً. خلعت بيث حذاءها المُسطّح، وأدخلت قدميها في الخف باهظ الثمن. لم يكن ملكها، لكن نيكوليتا لم تكن لتُمانع. لطالما تقاسمتا الأشياء. هذا ما يفعله التوائم.

نهضت وانتشر الألم من ركبتها على امتداد قدمها.

طرقت باب نيكوليتا بلطف. لا جواب. ما الذي كانت تتوقعه. بكل تأكيد لم تكن أختها العاهرة في البيت. كانت في الخارج ترقص، وتعرض جسدها مقابل المال.

فتحت الباب ودخلت. كالعادة، خطفت الغرفة أنفاسها. كانت الغرفة التي لطالما حلمتا بها كطفلتين عندما وُضعتا جنباً إلى جنب في كريستوُود.

كان يجب أن تحتوي غرفتهما على أغطية ورديّة ووسائد متجانسة. ومظلّة تحيط بالأسرّة، وقد ثبتها رباط جميل. حلمتا بخزانة ثياب سحرية بقدر نارينيا[1]. كما يجب أن تكون الرفوف مملوءة وتحتوي على دببة محشُوّة وكرات الثلجية. واللمبات الصغيرة تعلق أعلى كل سرير. غرفتهما المُتخيّلة كانت لتكون سحريّة وخفيفة

(1) إشارة لفيلم نارينيا، حيث يتمكن أربعة أطفال من السفر عبر خزانة سحريّة إلى أرض نارينيا

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ومملوءة بالأشياء التي ستكون ملكاً لهما، وكانتا ستغرقان في النوم وهما تلعبان لعبة الظلال على الحائط.

تقدّمت بيث أكثر داخل الغرفة. مررت يدها على طول الرف، واستقرت على دب القطيفة البنيّ الوحيد المستقر عند آخر الرف. فتحت باب الخزانة التي كانت على شكل مقصورة صغيرة، ودخلت.

كانت ثياب نيكوليتا، وملابسها الداخليّة، وأحذيتها مُكدّسة ومرتبة حسب اللون. وقد خصّصت جارُورين للمجوهرات. احتوى الجارور الأوّل على القطع الثمينة والرقيقة، وقد خزّنت في علبها الأصليّة. ميّزت بيث واحداً من كارتييه، واثنين من دي بيرز. واحتوى الجارور الثاني على قطع أثقل، وذات طابع أكثر جرأة، خمّنت بيث أنها الخاصة بعمل نيكوليتا. أغلقت الجارور بسرعة، وابتعدت. لم ترغب في أن تفكر في أختها وهي في العمل.

طاولة زينة فصلت خزانة الملابس عن دولاب الأحذية. وسلسلة وحيدة من اللمبات الصغيرة صُفّفت على الحافة العلوية للمرآة.

عادت بيث إلى غرفة النوم، وجلست على السرير ذي الأعمدة. لقد كانت غرفة لأميرة، تماماً مثلما خطّطتا. لقد كان هذا المكان الذي تعاهدتا أن تعيشا فيه معاً للأبد، وللأبد، للأبد.

لقد كانت الغرف التي حلمتا بها، باستثناء أنه يوجد سرير واحد فقط.

سرير فقط لتستمتع به الأخت التي حصلت على كل شيء.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ما فعلته نيكولا لم يثر غضب بيث، ولو قليلاً، مقارنة بغضبها من رفض أختها الإقرار بما فعلته.

إنكارها المثير للشفقة لماضيهما كان يثير حنقها، أكثر وأكثر، كل يوم يمرّ. ما من اعتذار من الممكن أن يخفف عنها هذا الشعور.

لقد حطّمت افعال نيكولا كل فرصهما في أي حياة مشتركة، وما زالت تدّعي جهلها بالحقائق.

«لا أعرف لماذا تكرهينني. لا أعرف ما الذي فعلته. لا أعرف كيف آذيتك». إنها مُستمرّة في الإنكار.

مهما احتجّت نيكولا، كانت بيث تشعر بأن الحقيقة داخل قلبها.

في مكان ما عميقاً بداخلها، كانت نيكولا تعرف.

الفصل السابع عشر

يا إلهي، براينت، هل ستستمر في فعل هذا؟».

كان يتحرك من قدم إلى أخرى. انخفضت درجة الحرارة خلال الليل إلى ثلاث درجات تحت الصفر، وحافظت الأرض على طبقة صلبة من الثلج تسرب بردها عبر أحذيتهم وداخل عظامهم.

نفخ هواء دافئاً بين يديه. «بالنسبة إلى البعض منا، أولئك الذين ليسوا مصنوعين من معدن التيتانيوم، فإن هذا البرد يكفي لتجميدنا».

«تشجع»، قالت كيم، وهي تمشي متجهة نحو حافة الموقع.

كان الموقع في حد ذاته يبلغ مساحة ملعب كُرة قدم. كان يرتفع بلطف نحو صفّ أشجار حجبت الطرف الشمالي من مبنى المجلس. وكان هناك في الجهة الغربية طريق يفصل الموقع عن فرن إحراق الجثث. وتقع أطلال مبنى كبير في الجزء الجنوبي الأقرب للشارع، خلف موقف حافلات، وعمود كهرباء. أطلّ الطابق العلوي من المبنى على منازل ذات شرفات، من الجهة الأخرى للشارع. وشكّل سياجاً علوه ست أقدام، محيطاً مُحكما حول المبنى، حاجباً الرؤية عن الطابق السفلي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حملقت في الجهة الغربية، وحركت رأسها. كم كان مريحاً للأطفال الذين تم التخلي عنهم، الأطفال الذين تم استغلالهم، الأطفال الذين تم تجاهلهم، كم كان مريحاً أن يطلّوا من نوافذهم على حقل مُخصص للموتى.

هناك أوقات كان يُرعبها فيها عدم حساسية الدولة. هذا المبنى أصبح شاغراً، وكان هذا كل ما يهم في الموضوع.

تنهّدت وألقت بقبلة صامتة إلى قبر ميكي، الذي يستلقي الآن خلف ستار من الضباب، منعزلاً عن بقية العالم مئتي قدم من كل اتجاه.

ثمة سيارة فولفُو صعدت لأعلى الموقع ورُكنت في رقعة أرض قذرة.

مشت كيم باتجاهها بينما خرج البروفيسور ميلتون، ورجلان من السيارة.

«أيتها المحققة، من الجيّد أن أراك مجدداً».

لاحظت كيم تغيراً ملحوظاً في سلوك البروفيسور منذ اليوم السابق. كانت وجنتاه متورّدتان، وعيناه تلتمعان. وتميّزت مشيته بالحيويّة والتصميم. إن كان هذا التغيير قد حصل بعد ليلة واحدة تحت رعاية السيّدة بيرسون، فربما يجدر بها أن تحجز ليلة لنفسها.

عاد إلى رفيقيه، بينما وقف براينت إلى جانبها. «هذا دارين براون، وكارل نيوتن. إنهما متطوعان ضمن البرنامج ليحضرا التنقيب. سيتوليان تشغيل المعدات».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وجدت كيم نفسها مجبرة أن تكون صريحة مع البروفيسور بعد كل العناء الذي تكبّده.

«هل تعلم أنه مجرد تخمين، بروفيسور؟ يمكن ألا نجد شيئاً هناك في الأسفل».

كانت عيناه جدّيتان وصوته خافتاً. «لكن ماذا لو كان هناك شيء، أيتها المحققة؟ لقد كنت أحاول التنقيب في هذه الأرض طيلة سنتين، وفعل أحدهم أقصى ما لديه لإيقافي. أودّ أن أعرف لماذا».

شعرت كيم بالرضا لأنه فهم.

توقفت سيارة فوكسهول أسترا بجانب سيارة البروفيسور. وخرج منها رجل بدين في الخمسينات من عمره، تبعته امرأة حمراء الشعر، طويلة، خمنت كيم أنها في أواخر العشرينات من عمرها.

«دايفيد، شكراً لقدومك»، قالت كيم.

«لا أتذكّر أنك منحتني فرصة الاختيار، أيتها المحققة». قال بنصف ابتسامة.

«بروفيسور ميلتون، أقدّم لك الطبيب ماثيوس».

تصافح الرجلان.

التقت كيم بالطبيب ماثيوس في جامعة جلامورجان التي شكلت مع جامعة كارديف وشرطة ساوث واليس، مُنظمة فريدة في بريطانيا اسمها «معهد جامعات علوم الشرطة». كان المعهد مُسخّراً للبحث

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

والتدريب في الأمور المتعلقة بالشرطة. كان الطبيب ماثيوز مستشاراً لمركز جلامورجان لعلوم الشرطة، وكان ذا دور فعال في تأسيس «دار التحقيق في موقع الجريمة» في الجامعة.

حضرت كيم اجتماعاً هناك قبل سنتين، ومن أجل تطوير سيناريو التدريب، قدمت كيم مجموعة من الاقتراحات مستندة إلى تجربتها هي في مواقع الجريمة، ما نتج عنه بقاؤها طيلة عطلة نهاية الأسبوع.

«اسمحوا لي بتقديم كيريس هيوز. إنها خبيرة في الأدلّة الأجنبيّة، مؤهلة على أحسن وجه، وقد تحصّلت حديثاً على شهادة في الطب الشرعي».

أومأت كيم ناحيتها بتحيّة.

«حسناً، من المهم أن تفهما أننا لا نملك بعد تصريحاً هنا. يعمل مديري بالطريقة الروتينية بحيث يحرص على أن تكون الأوراق نظامية. إذا ما شككتم في وجود أي شيء كان، أعلموني».

تقدّم دايفيد ماثيوس خطوة، «لديك ثلاث ساعات من وقتنا لأجل هذه الخزعبلات، وإذا لم يتم التقاط أي شيء بنهاية هذه الساعات الثلاث سنغادر».

أومأت كيم موافقة. ثلاث ساعات من وقته مقابل يومين من وقتها. أجل، يبدو هذا عادلاً.

استمرّ: «سنأخذ أنا وكيريس جزءاً صغيراً من أعلى الأرض كي نبدأ بتحليل التربة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أدارت كيم رأسها نحو كيريس. كان الشعر الأحمر المتقّد مقصوصاً قصة قصيرة ناعمة حددت خط الفك. وكانت زرقة عينيها الشاحبة حادّة. لم تكن جميلة بطريقة طبيعية، كان لديها وجه جذّاب، يلفت الانتباه.

حيّتها المرأة من دون أن تبتسم، وتبعت دايفيد بينما كان يمشي باتجاه أعلى الموقع.

احتلّت شاحنة بيضاء المكان الأخير من البقعة التي اصطفت فيها السيارات.

فتحت امرأة الباب الخلفيّ. كان داخل السيارة وعاء معدني للبخار، ورزم ملفوفة بورق الألمنيوم.

ذُهل برواينت: «هل هي مخيلتي التي استحضرتها»؟

«لا، إنها حقيقية. احرص على أن يحصل الجميع على مشروب ساخن، وساندويش لحم مقدّد قبل أن يبدأوا».

ابتسم براينت. «تعلمين جُوف، أحيانا»....

لم تسمع كيم بقية كلماته، لأنها كانت بدأت نزول التل باتجاه المبنى المهجور. مشت على امتداد السياج، لكن لم يكن هناك أي منفذ للدخول. كانت الواجهة الأمامية للمبنى مقبالة للطريق، ومُعاكسة للمنازل. كان هناك الكثير من العيون الفضولية. عادت للخلف وبدأت البحث عن منطقة سهلة الاختراق. لم يكن السياج مُصمماً بطريقة تقليدية، بل كان مكوناً من شرائح خشبية صُفّت الواحدة فوق

الأخرى. كل لوح كان مصنوعاً من خشب سميك وثقيل، يُستعمل عادة لِمنصّات نقل. ضوء نهاري فضيّ رقيق تسرّب من بين قطعة سمكها تسعة إنشات.

دفعت واحداً من الأعمدة الطويلة للسياج الخشبي. تحرك للأمام وللخلف، وكان الجزء السفلي من العمود منخوراً.

«لا تفكري، مجرّد التفكير في الأمر، جُوف»، قال برواينت مقدماً لها شراباً ساخناً. أخذته بيدها اليسرى، وواصلت العمل بالطريقة نفسها على بقيّة الأعمدة. كان العمودان التاليان ثابتين لكن العمود الرابع اهتزّ جيئة وذهاباً.

«كيف تمكنت من جلب الدكتور ماثيوز إلى هنا؟ هل أرهبته؟».

«عرّف كلمة أرهبته». قالت، وهي تدفع العمود التالي.

«على الأرجح من الأفضل ألا أعرف. سياسة الإنكار وكل ما هناك».

«ليس من المؤذي حضور خبيرة في الأدلة الجنائية في الموقع».

«طبعاً لا، باستثناء أننا في هذه المرحلة لا نملك أي تصريح لنأمر أي أحد بالقيام بأي شيء».

هزّت كيم كتفيها باستهجان.

«ماذا إن لم يكن هناك أي شيء في الأسفل؟».

«حسناً، عندها سنذهب للمنزل، ونحتسي الشاء. لكن إذا ما

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وُجد شيء، سيكون لدينا سبق. الدكتور ماثيوز مؤهل على أحسن وجه كي»....

«أوه، أعرف. سبق أن قدّم لي التاريخ الكامل لدراسته، لكن وُودي أمر بألا يُلمس شيء قبل أن تكون الأوراق نظامية».

«انظر، الآن أنت مُتحذلق وحسب».

«أنا أحاول حمايتك فحسب، كيم».

«قوامي بخير. عليك أن تقلق أكثر على جسمك إن كنت تخطط لأكل ذلك الساندويتش الثاني المخبأ في جيبك».

«كيف عرفتِ؟».

هزّت كيم رأسها. لأنه كان سيجلب ساندويتشاً لها، حتى لو كان يعلم بأنها على الأرجح لن تتناوله.

ابتعدت عن السياج وأنهت قهوتها.

«الآن، الموضوع الأكثر أهمية، هل يجب علي أن أدخل من فوق السياج، أو من خلاله؟».

تذمّر براينت قائلاً «ماذا عن الابتعاد عنه؟».

«هذا ليس أحد الخيارات التي قدّمتها».

«لا نملك أيّ سلطة تسمح لنا بالدخول».

«إمّا أن تساعدني وإما اتركني أتولى الأمر. إنه خيارك».

وضعت الكأس الفارغة على الأرض، بينما تنهّد براينت بقوّة.

«إذا حاولت أن تذهبي عبر السياج ستتركين المكان مُشرعاً للأطفال».

«إذاً فوقه». قالت كيم، مُتجهة إلى الجزء الأوسط من الشرائح بين العمودين الثابتين من السياج. صوّبت ركلة برجلها إلى أحد العمودين تشقّق. ركلته مرة أخرى فانقسم العمود إلى نصفين. دفعت الشرائح المحطّمة إلى الداخل، بحيث أصبح من الممكن استعمال القطعة الثابتة التي كانت في الأسفل، كدرجة.

وبحركة رشيقة واحدة، وضعت مقدّمة جزمتها اليسرى فوق الشريحة، واستعملت كتف براينت لتدفع جسدها إلى الأعلى. أمسكت بالعمود الثابت بيسراها، وألقت بقدمها اليُمنى فوق قمّة السياج، وأبطأت لتحافظ على توازنها، ثم قفزت في الفراغ، جسمها للوراء، وقد ثنت ركبتيها للتخفيف من وقع الصدمة.

كان العشب حول المبنى طويلاً ومملوءاً بنبات القُرّاص. اتجهت كيم صوب النافذة المحطّمة والوحيدة التي استطاعت رؤيتها في الطابق الأرضي. كان السياج العالي قد حمى النوافذ السفليّة لكن زجاج كل النوافذ في المستوى الأعلى قد تهشّم.

لمحت كيم حاوية قمامة رماديّة من القصدير. أفرغتها وضربت بها اللوح الزجاجي للنافذة المُخرَّبة.

«ما الذي تفعلينه بحق الجحيم؟»، سأل براينت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تجاهلته وأخرجت شظايا زجاجية إضافية، ثم أخذت حاوية القمامة، وقلبتها، ثم صعدت فوقها. وبعناية ثنت نفسها وعبرت النافذة المحطمة إلى ما فوق خزانة من الفورميكا امتدت على طول الحائط، متوقفة فقط عند مغسلة مُزدوجة.

نظرت كيم إلى الداخل ورأت حيطان المطبخ التي خرّبتها النيران. كانت كيم قرأت أن النار انطلقت بالأساس من هناك. كانت الحيطان سوداء بالقرب من الباب الذي يقود إلى الممرّ. وكانت خيوط العنكبوت تنتشر في كل ركن من أركان الغرفة.

من مكان ما في المبنى تناهى إلى سمع كيم صوت قطرات الماء. كان من المفروض أن إمدادت الماء قد تمّ إيقافها من شركة المياه. خمّنت أن الماء كان من بقايا مياه الأمطار، ويتساقط من السقف الذي خرّبته النيران.

وقفت كيم في المدخل، كان الممر ممتداً على طول المبنى، ويقسمه إلى نصفين. نظرت إلى يمينها، كانت الحيطان مدهونة بالأبيض الفاتح. وهناك شريط من الغبار في الأماكن التي لم تمسّها النار.

وعلى يسارها، كانت العوارض الخشبية التي تدعم الطابق العلوي مكشوفة ومُسودّة. وأُطُر الأبواب مُتفحّمة، وظلّت على الحائط بضع مساحات من الدهان فقط، تحديداً في المستوى السفلي. كانت الأسلاك والكابلات معلّقة، ومكشوفة بين العوارض. وتناثر الحُطام، وآجر السقف المُتهاوي على أرضية الممر.

رجعت كيم إلى المطبخ، وفحصت الضرر مُجدداً. بدت وحدات

الحائط الأقرب للباب كأنها مُنقّطة نتيجة لتأثير الرخام المحروق. أبواب الثلاجة والمُجمّدة انبعجت، وتدلّت نحو الأسفل، وقريباً منها استقرّ الفرن ذو حلقات الطبخ الست تحت طبقة خفيفة من السُخام.

فتحت باب الخزانة الأقرب للفرن. سقطت فضلات القوارض فوق الشبكة المعدنية للفرن. وثمة ورقة A4 عالقة في الباب من الداخل. مازالت الطباعة واضحة. على اليسار، كان هناك قائمة بأسماء البنات، وجدول يحدّد المهام الروتينية للأسبوع.

تريثت كيم للحظة. امتدت يدها للأعلى، لمست الأسماء الأولى. لقد كانت واحدة من أولئك البنات، ليس هنا، وليس في الفترة نفسها، ولكنها لاشعورياً عرفت كل بنت في اللائحة. عرفت إحساسهن بالوحدة، ألمهنّ، إحساسهنّ بالغضب.

وفجأة.. انبثقت في ذاكرة كيم فترة من حياتها مع عائلتها المُتبنّاة رقم خمسة. كانت في غرفة صغيرة مثل علبة، تقع في خلفية المنزل، كانت كيم تسمع هديل الحمام خلال الليل قادماً من المنزل المجاور. كل مرة يُطلق فيها سراح حمام السباق كانت تشاهده، راغبة في أن يطيروا بعيداً، أن يهربوا من سجنهم، وأن يكونوا أحراراً. لكنهم لم يفعلوا ذلك قط.

كانت كل الأماكن التي مثل كريستوود مُتشابهة. أحياناً يتم إطلاق سراح الطيور لكن كانت تبدو كأنها تطير للخلف. مثل الخروج من السجن، كان الخروج من ملجأ للأطفال يحدث بوداعات يتخللها الأمل والأمنيات الطيبة، لكنها لا تكون نهائية أبداً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

قطع أفكارها صوت صفارة إنذار تردّد من مسافة قريبة.

تسلّقت صعوداً، ثم تقوّست عبر النافذة ونزلت فوق الحاوية، ومنها نزلت للأسفل على الأرض.

سحبت الحاوية إلى السياج في اللحظة نفسها التي توقفت فيها صافرة الإنذار ومحرك السيارة.

«صباح الخير، كيلفين، لماذا الحنين»؟ صرخ برواينت.

أدارت عينيها في المكان، ثم وقفت خلف السياج.

«لقد وصلنا بلاغ بأن أحدهم شُوهد داخل المبنى».

رائع، لقد كانت الشرطة هنا من أجلها.

غمغم براينت. «لا، إنه أنا فحسب، أتلصّص في الجوار. لقد حصلت على عمل تافه اليوم كجليس أطفال لفريق الحفر اللعين، وكنت فضولياً فحسب، متسائلاً عمّا يوجد هنا في الخلف».

«لكنك لم تدخل المبنى؟ سأل الشرطي مُتشككاً.

«لا، يا رفيق، إلى أيّ درجة تعتقد أنني غبي»؟

«بما يكفي، أيها المحقق. سأتركك لهذا».

بدأ الشرطيّ بالسير مبتعداً ثم استدار ومشى بضع خطوات عائداً. «هذا عمل لعين كلفته به مديرتك، أيها المحقق؟» سأل.

«ومن غيرها؟».

«يجب أن أقول لك، سيّدي، لك تعازٍ من أغلبية العاملين في المخفر لكونك تعمل مع مُحطمة المعنويات تلك».

غمغم برواينت: «تعرف، لو كانت تستطيع الاستماع لك، على الأرجح ستوافقك الرأي».

«مع ذلك، فهي باردة قليلاً، صح؟».

أومأت كيم برأسها مُوافقة من خلف السياج. أجل، كانت سعيدة بهذا الأمر.

«لا، ليست سيّئة بالمقدار الذي تعتقده».

كادت كيم تُزمجر. نعم، لقد كانت حقاً كذلك.

«في الحقيقة، لقد قالت في ذلك اليوم إنه سيكون من اللطيف إذا فتحتم معها محادثات يا شباب».

ستقتل براينت. ببطء.

«لا مشكل، سيّدي. سأحتفظ بهذا في ذهني».

ابتعد الشرطي، ونقل عبر الهاتف لغرفة التحكم أن كل الأمور كانت نظامية.

«لقيط»، هتفت كيم عبر السياج.

«أوبس، أنا آسف جُوفْ. لم أنتبه أنك كنت هناك...تستمعين».

وقفت كيم على الحاوية، خرجت من المنطقة بالطريقة التي

دخلت بها نفسها. وضعت على الأرض على قدميها لكنها سقطت فوق براينت، وأوقعته على جنب.

«أوه، أنا آسفة»، قالت.

«على مقياس الاعتذرات الحقيقية، سأقيّم هذا بناقص سبعة». قال براينت.

«أيها المحققان»، قال البروفيسور الذي ظهر بجانبهما.

«نحن مستعدون لنبدأ».

التقط براينت نظرتها، وظل ينظر إليها بينما استدار البروفيسور، وسار مُبتعداً.

«إذاً، هل عرفت أي أمر خلال عملية البحث غير القانونية التي قمت بها؟ وهل وجدت حقائق غير قانونية؟».

«على عكس التقرير المكتوب، تلك النار لم تبدأ من المطبخ».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن عشر

لحقت كيم البروفيسور الذي جاور المتطوعين «بيل وبين»، مثلما سمّتهما.

«قام دكتور ماثيوز بفحص أوّلي للتربة ووجد أنها تحتوي على كمية كبيرة من الطين.

هذا أمر غير مستبعد كثيراً في بلاك كاونتري.

«ومثل هذه الظروف تؤثر في أداء الرادار المخصص لاختراق الأرض، لذلك سنبدأ باستعمال جهاز قياس المغناطيسية».

«جيزوندهايت»[1]، أضاف براينت.

تجاهل البروفيسور زميلها، وواصل التوجه بالحديث إليها، رغم أنها لم تملك أدنى فكرة حول الأمر. كان من النادر أن تسأل كيم عن خبرة الآخرين. كانت تثق بأن الناس يقومون بعملهم بطريقة فعّالة.

«يعتمد جهاز قياس المغناطيسيّة على أجهزة استشعار لقياس درجة انحدار الحقل المغناطيسي. ويمكن أن تتسبب عوامل مختلفة

---

(1) نوع الجهاز، بالألمانية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بتشويشات، لكن هذه الأداة على وجه الخصوص تستطيع التقاط التغيّرات الشاذة التي حصلت للتربة المُتغيرة، كما ترصد تحوّل المواد العضوية».

بدأ بيل بالمشي معه وبين خلفهم. بالنسبة إلى كيم، كان بيل يبدو مثل شخص ما من فيلم «the terminator». استقرّ على كتفه حزام أسود مُثبّت بعصا معدنية يبلغ طولها نحو ست أقدام، وقد حملها بطريقة أفقية عند مستوى خصره. وعلى الطرف الأماميّ من القطب المغناطيسي كان هناك عصا ثانية مُثبّتة بحيث بدا كأنه يحمل حرف T عملاقة. كانت أجهزة الاستشعار ملصقة بكل طرف من أطراف العصا الصغيرة. وتنقلت الأسلاك السوداء باتجاه القارئ المربوط حول خصره، كما كان هناك جراب من الكتان مثبتٌ على ظهره.

«سنبدأ هناك عند الحافة السفليّة، وسنعمل في خطوط مستقيمة. يشبه عملنا هذا جزّ العشب».

أومأت كيم برأسها موافقة، وابتعد ثلاثتهم.

انسحب الدكتور ماثيوز ومساعدته إلى دفء السيارة.

«هل ستكونين على ما يرام بخصوص هذا، جوف؟» سأل برايت.

«ولم لا أكون كذلك؟»، زمجرت كيم.

«حسناً، أنت تعرفين»....

«لا، أنا لا أعرف، وإذا ما كنت تشعر بالحاجة للسؤال عن إمكاناتي، يمكنك تحويل الأمر إلى مديري».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«جوف، لن أفعل ذلك أبداً. لقد كان سؤالاً سألته من باب الاهتمام».

«أنا بخير، الآن أصرف النظر عن الموضوع».

لم تتحدث أبداً عن ماضيها، لكن برايَنت كان يعرف أنها قضت وقتاً ضمن نظام رعاية اجتماعيّة. لم يكن يعلم الأمور التي حصلت لها هناك. كان يعلم أن أمها كانت مُصابة بالبارانويا والشيزوفرينيا. لكنه لم يكن يعرف ارتدادات هذا عليها. وكان يعرف أنه كان لديها في السابق أخ توأم لكنه لم يكن يعرف كيف مات. فقط شخص واحد كان يعرف أحداث ماضيها، وكانت حريصة على أن يظل الأمر على هذا النحو.

رنّ الهاتف في جيبها. كان هذا وُودي.

«سيّدي؟». أجابت، بترقب.

«مازلت بالانتظار، ستون. أنا أتأكد فقط من أنك تتذكّرين ما سبق وتحدثنا عنه».

«بكل تأكيد، سيّدي».

«لأنك إذا ما تصرفت ضد تعليماتي»....

«سيّدي، من فضلك، تستطيع الوثوق بي».

لوّح برايَنت برأسه.

«إذا لم أحصل على الإذن خلال الساعات القليلة المقبلة، اطلبي من البروفيسور ميلتون الانسحاب، واشكريه على وقته».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أجل سيّدي»، قالت. شكراً لله أنه لم يعرف بخصوص الدكتور ماثيوز.

«أعرف أنه من المُثبط للهمّة الوقوف من دون القيام بشيء، لكن يجب اتباع الإجراءات».

«أفهم، سيّدي. بجانبي براينت هنا، وهو يودُ أن يعبر لك عن قلقه بخصوص أمر يتعلق بمُعالجة القضية».

أبعدت الهاتف. صوّب لها براينت نظرات شبيهة بالخناجر قبل أن يبتعد.

«أوه لا، يبدو أنني أخطأت».

استهجن وودي الأمر، ثم أنهى المُكالمة. اتصلت برقم داوسون الذي أجاب بعد الرنّة الثانية.

«ما الذي حصلت عليه؟».

«لم أحصل على الكثير في هذه اللحظة، جوف».

«هل حصلت على أسماء موظفين آخرين؟».

«ليس بعد. السلطات المحليّة غير متعاونة مثل السلطات في كورنتاي. نحن نبحث عبر التقارير الإخبارية التي تكون فيها كريستوُود مذكورة عسانا نحصل على شيء. أفضل ما تحصلنا عليه هو أن القس ويلكس تكفّل بمسيرة «القمم الثلاث»[1] لجمع المال كي تقوم الفتيات برحلة ليوم.

---

(1) تحدٍ لتسلق الجبال مشهور في بريطانيا، يُقام عادة لمصلحة الأعمال الخيرية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أوكي، كيف، مرر لي ستايسي».

«صباح الخير، جوف».

«ستايس، أحتاج منك أن تبدئي بوضع قائمة بالأطفال الذين كانوا هنا حين حصل الحريق في المكان».

حتى لو لم يجدوا شيئاً، فإن من الممكن أن يحتاجوا إلى التحدث مع الساكنات السابقات للمُنشأة عساهم يجدون رابطاً بين تيريزا وايت وطوم كورتيس.

قالت ستايسي إنها ستباشر تجهيز القائمة ثم أنهت المُكالمة.

ألقت نظرة خاطفة على الرجال. كانوا قد تقدموا نحو أربعين قدماً بمساعدة جهاز قياس المغناطيسيّة، لكنهم الآن واقفون، يتفحصون المعدات. وقعت نظرتُها المُتسائلة على براينت عند حافة الموقع، وظهره لها. على غير عادتها، استاءت كيم من نفسها لأنها ردّت عليه بغضب. كانت تعلم بأن سؤاله ناتج عن اهتمامه براحتها، لكنها لم تتفاعل مع لطفه بطريقة جيدة.

«هل ما زلت تحتفظ بساندويتش اللحم المُقدّد؟» سألت، وهي تلكز ذراعه بلطف.

«أجل، هل تريدينه؟».

«لا، اذهب وألقِ به في تلك الصفيحة. مستوى الكوليستيرول لديك لا يستطيع تحمُّلَه».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فور خروج الكلمات من فمها أدركت أن كلماتها أدت مفعولها على مستويين.

«هل كنتِ تتحدثين مع زوجتي؟».

ابتسمت كيم. كانت قد تلقت رسالة نصيّة منذ يومين. سمعت كيم حركة فالتفتت إلى الخلف.

اقترب البروفيسور مُسرعاً. كان وجهه مُحمراً، وملامحُه مُفعمة بالحيويّة.

«أيتها المُحققة، تشير الآلة إلى قراءات مثيرة للاهتمام. أعتقد أنه من المحتمل أن نجد شيئاً».

التقط براينت نظرتها. «جوف، لا نملك أي صلاحيّة».

نظرت إليه دقيقة بدت طويلة. لو كان يوجد جسد مدفون تحت هذه الأرض فلن يظلّ هناك دقيقة إضافية.

أومأت للبروفيسور «.ابدأ الحفر».

الفصل التاسع عشر

«جوف، مع فائق احترامي، هل فقدت عقلك؟».

«هل هناك شيء يضايقك، براينت؟».

«فقط، حقيقة أنه يمكنك خسارة عملك بسبب هذا».

تذمّرت «إنه عملي أنا التي سأخسره».

«أجل، لكن أحياناً تحتاجين إلى أن تتوقفي وتفكري لدقيقة».

«أتعرف ماذا؟ قف هناك وفكّر بدلاً عني، بينما أنا أمضي قُدماً في القيام بعملي».

مشت مبتعدة عنه وتوجهت نحو البروفيسور. وصل الدكتور ماثيوز مندفعاً بسرعة عبر الموقع كأنه قُذف بمنجنيق.

«أيتها المحققة، لا أستطيع السماح بهذا. بحق السّماء، ما الذي تظنين أنك تفعلينه؟».

«عملي».

«هذا ليس عملك إلى أن تحصلي على الإذن بالتنقيب».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«مَن ذكَر شيئاً عن التنقيب؟ سنحفر قليلاً، وحسب.

اجتمع الجميع. سبعة منهم وقفوا يحدّقون بالآلة.

«يمكنك هكذا أن تفسدي كل التحقيق بتسرّعك».

«دكتور، إذا ما تم اكتشاف جسد سأتبنى البروتوكول الصحيح مباشرة. لكن في هذه اللحظة كل ما لدينا هو نتوء شاذ. وحسب ما نعلمه من الممكن أن يكون مجرّد كلب ميّت».

وفوراً، انتبهت لما تفوهت به، «آسفة، بروفيسور».

«هذا مسرح جريمة مُحتمل»، جادلها ماثيوز.

«وكان من الممكن أن يكون قد حُفر الآن بواسطة أي كاشف معادن عجوز ومُتحمس، في حال لم يكن هناك بروتوكولات على الإطلاق».

كان هذا منطقها وكانت متمسّكة به.

زمّ ماثيوز شفتيه عندما فهم أنها لن تتراجع.

دارَ بعينيه على دائرة الناس الموجودين ثم عاد إليها. « تهوّرك سيعرّض كلّ هؤلاء الناس لخطر فقدان وظائفهم».

أومأت كيم برأسها مبدية تفهمها. ثم استدارت لبيل وبين: «أحضرا إليّ الرفش».

«جوف»....

نظر بيل وبين للبروفيسور الذي كان ينظر إليها.

«بحق المسيح». قالت مُتذمّرة، والتقطت رَفشاً. «دكتور ماثيوز، من فضلك، لديك مطلق الحرية في العودة إلى السيارة حتى يصلنا الإذن. أما بقيّتكم فافعلوا ما ترغبون في فعله».

رفعت ذراعها ثمّ غرزت الرفش بالأرض. ضغطت بقدمها اليُمنى على طرف الرفش إلى أعمق ما يمكن أن يصل. أزالت كتلة من التراب ووضعتها على يسارها. ثم استخدمت الرفش مُجدداً.

تجاهلها الدكتور ماثيوز وابتعد. «لا أستطيع أن أكون جزءاً من هذا. هيا بنا، كيريس».

«خلال دقيقة، دكتور». قالت، من دون أن تنظر إليه. التقت نظرتها بعيني كيم. «أودّ أن أراقب هذا لبعض الوقت».

تردّد الطبيب قبل أن يحرّك رأسه باستهجان. ومشى عائداً باتجاه السيارة.

ابتسمت كيم للخبيرة شاكرة. منحها حضور كيريس بعض الحماية، وقد عرفت هذا.

غرزت الرفش بالأرض، ثم أعادت القيام بالعملية نفسها. كانت الأرض قاسية وستكون هذه عملية طويلة لكن هذا أفضل من البقاء واقفة من دون فعل شيء.

«أوه، حباً بالله». قال براينت، ملتقطاً رفشاً ثانياً.

وقف قبالتها، وبعيداً عنها بنحو ستّ أقدام. «لا، لا، لا. انظري إن كنت ستقومين بهذا، على الأقل قومي به كما ينبغي».

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

طيلة الساعتين التاليتين شكّلت كيم وبراينت فريقاً مع بيل وبين اللذين تناوبا على الحفر، بينما كان كل من كيريس والبروفيسور ميلتون يوجّهانهما.

واصلت كيريس الإحاطة بالمنطقة، مُعاينة المعلومات في جهاز قياس المغناطيسيّة. نصحتها أين يجب أن يكون الحفر بعدها، وكم من العمق يجب أن يمضوا.

انحنت كيريس إلى الأسفل حيث كانت كيم تحفر. «أيها المحققان، أظن أنه يجب أن تخرجا الآن. بروفيسور، هل يمكنك أن تمرّر لي حقيبتك الخاصّة بالأدوات اليدوية؟».

خرجت كيم من الحفرة التي بلغ عرضها الآن ست أقدام على ثماني أقدام طولاً، وعمقها قدم ونصف القدم.

حاولت كيم نفض الغُبار عنها، لكن بقعاً من الوحل وأخرى من الطين قد جفت على سروالها حتى مستوى الركبة.

عاينت كيريس مع البروفيسور ميلتون المعلومات، وأشارا إلى مناطق مُحددة في الحفرة. دخل الشابان إلى الحفرة مع أدوات البستنة اليدوية واستدلا على الجهة من كيريس.

وقف براينت إلى جانبها. «لن يكون هناك أبداً يوم مُمل برفقتك، هل يوجد؟».

«على الأقل، حرقتَ حُريرات الساندويتش الذي تناولته في وقت سابق».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بدأت معدتها تقرقر. وكان تأثير نصف شريحة الخبز المُحمّص التي تناولتها في السادسة والنصف قد تبخر.

«قاربت الساعة الثانية الآن. ولم يتبقَ لدينا الكثير من ضوء النهار»، لاحظ برايت.

بيل وبين طلبا من كيريس أن تدخل للحفرة. جثت على الأرض واستعملت شيئاً يشبه فرشاة تظليل خدود عملاقة، واستعملتها كي تنفض الغبار عن منطقة مُعيّنة. لاحظت كيم أنها لم تهتم مطلقاً بالوسخ والطين اللذين كسوَا الآن بنطالها الجينز الأزرق الفاتح.

نفضت الغبار للمرة الثانية ثمّ توقفت. «أوكي، أحتاج أن يخرج فوراً كل من في الحفرة، وليس مُتدرّبا في الطب الجنائي».

ظلت كيريس وحدها في الحفرة. استدارت والتقت عيناها بنظرة كيم «لدينا عظام، أيتها المُحققة، وما لم يكن لديه خمس أصابع، فإن هذا ليس كلباً ميتاً».

لم يتكلم أحد لثوان قليلة، بينما كانوا يُحملقون في الاكتشاف.

ثمّ، كما لو أن العظام المكشوفة حديثاً قد أطلقت صفارات الإنذار، اقتربت سيارتا شرطة مُحدثة صوت صرير على الحصى، وبدأ هاتفها بالرنين.

كان هذا وُودي. شكراً لله.

«ستون، عودي فوراً واجلبي معك برايت». قال بصوت عال.

«سيّدي، أحتاج أن أعْلمك بأن»....

«أي شيء تريدين قوله، يمكن أن ينتظر حتى تصلي هنا».

«لكن هناك عظام في هذه الأرض».

«وسبق وأن قلتُ لك أن تعودي هنا فوراً، وإذا تجاوزت خمس عشرة دقيقة للوصول لا تزعجي نفسك بالعودة على الإطلاق».

انقطع الاتصال. استدارت لبراينت. «أظن أنه يعرف».

نظر إليها براينت.

«اذهب، سأراك هناك».

أومأ براينت موافقاً، وعاد نحو سيارته.

«اصغوا لي أيها الرفاق، شكراً لمساعدتكم، لكن إن سألكم أي شخص، فإن براينت لم يلمس أي شيء، اتفقنا؟».

وافقها الجميع.

انطلقت كيم نحو دراجتها النارية. ارتدت خوذتها وقفّازيها، وانسحبت من الموقع وجهّزت نفسها لمواجهة الموسيقى.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل العشرون

هناك شيء ما بداخلها يدفعني.

إنها مُحاطة بالأنشطة، بصفارات الإنذار، بالسيّارات، بالحركة، ومع ذلك عيناي لا تتركانها أبداً. إنها تبرز في الزحام. مثل صورة ثلاثية الأبعاد في فيلم ثنائيّ الأبعاد.

بداخلها طاقة جامحة. كأن شيطاناً يقودها. حل الظلام وهذا يأسرني. حتى بين الجموع، كانت وحيدة. حتى وهي ثابتة، تتحرك. توجد دائما حركة قبضة يد أو نقرة قدم لتتوازن مع عقل لا يهدأ أبداً.

وبالرغم من أنني لم أرها من قبل، فإنني أعرفها. أعرف ذكاءها، تململها، وذلك الشكّ الفطريّ في نظرتها. لديها حاسّة مخفية عن أغلبية الناس. إنها حاسّة غير مُعرّفة، ومن دون اسم، لكنها مُتناغمة مع كل شيء حولها. سبق أن رأيتها من قبل.

ما الذي خُلق أولاً، الدجاجة أم البيضة؟ هذا سؤال كثيراً ما طرحتُه على نفسي. ألم أشعر بشيء عندما نبذتني أمّي، أم أنها نبذتني لأنني لم أشعر بشيء؟

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

إنه سؤالٌ تمعّن فيه الكثير من العلماء. هل المريض النفسيّ يُولد، أم يُصنع؟ لا يملك العلماء إجابات، وبالمثل أنا لا أملكها.

كان هناك زمن قاتلتُ ضدّه، حاربته، حتى إنني حاولتُ فهمه لكن هذا كان منذ وقت طويل.

بدأت رحلتي مع سمكة. مجرّد سمكة ذهبيّة عاديّة ومجهولة فُزت بها خلال معرض للسفر نظّمه أبي. حملتها إلى البيت. عاشت في إناء يومين ثم ماتت.

لم يكن من الممكن مواساة أختي. أنا لا. بكت أختي خسارتها لكنني لم أشعر بشيء. أردتُ ما كانت تملكه. أردتُ ألمها، أردتُ حزنها. أردتُ أن أشعر.

لاحقاً جاء دور القطّة. كان فراؤها ناعماً ودافئاً. كان من المفروض أن تكون قطتنا نحن الاثنين لكنها أحبّت أختي أكثر. لم أواجه صعوبة حقيقية حين كتمتُ فمها. وبعد آخر نفسٍ لها انتظرتُ لكن مع ذلك لم أشعر بشيء.

كل الأطفال في المدرسة امتلكوا جراءً، وأردتُ واحداً أنا أيضاً. لكن هذا الجرو لم يكن ملكي كلياً. أطعمته، تمشيّت به، وعاش في غرفتي. هذه المرّة كنتُ متأملاً لكن انقصام رقبته لم يؤلمني. لقد غذّى هذا فضولي وحسب. غذى حاجتي لمعرفة إلى أي مدى يمكنني الوصول.

موت ثلاثة حيوانات جلب لي حظراً بخصوص امتلاك حيوانات

أليفة. وهذا قلّص من خياراتي للقيام ببحوث إضافيّة، ثم أدركتُ أن أقصى اختبار كان موجوداً أمامي طيلة الوقت.

الجميع قال إنها فاتنة، مُحبّبة، ملائكيّة، مثالية. وإذاً، كان هذا هو هديّ. عرفتُ أنها لم تكن لتأتي للبحيرة من دون إغراء. كانت هناك نظرة في عينيها. لقد رأت أشياء لم يرها الآخرون.

وهكذا قلت لها توجد أرانب، أمٌّ مع صغارها. أشرتُ للبريّة، على اليمين عند الحافة. أمعنت النظر في الداخل، كان ظهرها مُوالياً لي. دفعتُ وجهها للأسفل وركبتُ فوق عنقها. سعلت وبقبقت ثم استرخت.

أوه، كايتلين، كايتلين، كايتلين. لقد منحتني هديّة.

ترجلتُ عن جسدها الصغير، وقد حصلتُ أخيراً على كل الأجوبة. حالتي لم تكن لعنة، وإنما نعمة. التضحية بأختي حرّرتني أخيراً. منذ ذلك اليوم أصبحت حراً للقيام بكل ما أريد، وبتحطيم كل ما لا أريده، من دون قيود الشعور بالذنب، أو الندم.

مثل حَمَل ضائع، ببساطة لم يكن لديّ شعور بالشفقة. وهذا ما لا يمكن تعويضه أو زرعه، وبدوري لم أكن أتمنّى هذا. إنه قيد يُقيّد البشر الأدنى مستوى للأخلاق وإلى منظومة أخلاقيّة. لكن لم يكن عندي أي منظومة ليتبعها.

إذاً، ما الذي يأتي أولاً، الدجاجة أم البيضة؟ الإجابة، ليس لديّ أدنى اهتمام بهذا.

بينما تلاشى صوت الدراجة الناريّة، استدرتُ ومشيت مبتعداً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

يمكنها أن تكون خصماً ذا قيمة.

ستقوم بتحقيق اكتشافات على امتداد الطريق، وهذا ما سيقودها تماماً إلى حيث أريدها أن تذهب.

ستكشف أسرار كريستوود، لكنها لن تقوم أبداً بكشف أسراري.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الحادي والعشرون

بالرغم من أنه سبقها، إلا أن كيم وصلت موقف السيارات لحظة قبل برواينت. صفّ سيارته بجانبها.

«اذهب ونظّف نفسك. سأذهب لرؤية وودي». قالت وهي تتجه نحو المدخل.

«كيم، أنا أكثر من سعيد بقراري الشخصي إذاً، لا»....

«لديّ سبع دقائق للوصول إلى مكتبه بالتالي أسرع».

صعدا السلالم معاً، ودخلا المكتب. اتسعت عينا داوسون. «يا إلهي، يبدو كأنكما الإثنان تصارعتما بالطين»، ثم غمغم. «كنت أود لو تمكنت من مشاهدة هذا. وكنتُ سأراهن على فوز جوف».

جلس برواينت: داوسون، أي رهان ذكيّ يجب أن يكون على جوف».

«يوجد هناك عظام». قالت كيم، وهي تخلع سترتها. مرّرت أصابعها فوق شعرها. «سيوافيك برواينت بالتفاصيل».

اتجهت صوب الباب.

«جوف»، قال برواينت مستوقفاً إياها «أخبريه بالحقيقة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«بكل تأكيد»، أجابته، وتوجهت نحو السلالم.

حسب تقديرها، كان لا يزال أمامها دقيقة ونصف الدقيقة في اللحظة التي طرقت فيها بابه. انتظرت حتى ناداها قبل أن تدخل. لم يكن الأمر ليساعدها لو أغضبت مديرها مرة أخرى.

سارت الخطوات الأربع التي تفصلها عن الكرسيّ، ولاحظت أن الكرة المخصصة للتخفيف من التوتر قد عادت على سطح المكتب. حسناً، إنها الآن في ورطة.

«بحق الجحيم ما الذي تظنين نفسك تفعلين، ستون؟».

«امم...هل يمكن للسؤال أن يكون مُحدّدا أكثر»؟ سألت. تكره أن تعتذر عن الأمر الخطأ.

«لا تلعبي معي. من الممكن أن يتسبب طيشك أنتِ وبراينت بطردكما»....

«لا علاقة لبراينت بالأمر. كان يتفرج فحسب».

حدق وُودي بها بغضب. «لديّ شخص رآه داخل الحفرة».

«ولديّ أربعة أشخاص كانوا الأقرب للحفرة، وسيقولون لك إنه لم يكن داخلها».

«وما الذي سيقوله براينت؟».

ابتلعت كيم ريقها. كلاهما كان يعرف الإجابة.

«سيّدي، أنا آسفة لما فعلتُه، أعرف أن هذا كان عملاً غير صائب، وأودّ بصدق أن»....

«اعفيني من الخطاب. إنه مثير للغثيان ولن يقدم أي شيء جيد».

كان محقاً. لم تكن كيم تشعر بالأسف على الإطلاق. «كيف علمت بالأمر؟».

«لا شأن لك بهذا الأمر، لكن الدكتور ماثيوز»....

«كان يجدر بي أن أعرف أنه»....

«أنه كان مُحقاً تماماً في الاتصال بي»، قال وُودي، وقد رفع من صوته، وطغى على صوتها، «بحق الجحيم، ماذا كنت تظنين أنك فاعلة؟».

«سيّدي، كان يجب عليّ أن أبدأ. أنبأني حدسي أن هناك جسداً في الأسفل، وفكرة الانتظار إلى أن تصل التصريحات كانت فكرة سخيفة».

«سخيفة، أم لا، هناك أسباب تجعلنا نتّبع إجراءات مُعيّنة، ليس آخرها أن هذه التصريحات تُمكننا من الدفاع عن أفعالنا في المحكمة في كل الأوقات. سيكون من الجيد لو تذكرتِ أن أوامري ليست اختيارية».

«أتفهم هذا».

تنهّد عميقاً. «الشيء الوحيد الذي سينقذ جلدك حالياً، هو أن حدسك كان صحيحاً، وسنركز الآن على تقليص الضرر».

وافقته كيم.

«ومع ذلك، في هذه المرحلة، لم أعد مقتنعاً بأنك الشخص المناسب لقيادة هذا التحقيق».

جلست. «لكن، سيّدي، لا تستطيع»...

«أوه أجل أنا أستطيع، وفي هذه اللحظة أفكر جديّاً في إخراجك من هذه القضيّة».

أغلقت كيم فمها للحظة. ستكون كلماتها التالية مُهمة. قررت أن تعتمد على الصراحة المُطلقة.

كان صوتها خافتاً. «سيّدي، لقد رأيت ملفي. أنت على بيّنة بماضيي، لذلك يجب أن تعرف أنه لا يوجد أحد أفضل مني لتولي هذه القضية».

«هذا احتمال، لكنني أحتاج إلى شخص يمكنه اتباع التعليمات. لو أن العظام التي وُجدت اليوم تخصّ طفلاً تابعاً لخدمات الرعاية الاجتماعية فإن هذه القضية ستتفجّر في الإعلام. سيكون هناك الكثير من الأفراد يحاولون إبعاد نفسهم عن القضيّة، ولن أمنح أحداً ثغرة قانونية تسبّب بها أحد أفراد فريقي نفسه».

كانت كيم تعرف أنه مُحق. لكنها كانت أيضاً تعرف أنها الشخص المُناسب لهذا العمل.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«الآن، أقترح أن يعود كل منكما أنت وبراينت إلى بيته. ستحصلان على قراري في الصباح».

عرفت كيم متى يتوجب عليها الانصراف، وشكرت حظّها الطيّب بأنها هربت من التأديب.

«تعرفين، كيم»...، قال عندما وصلت للباب. اللعنة، كانت تكره أن يناديها وودي باسمها الأول.

استدارت.

خلع نظاراته، والتقت نظراتهما، «في واحدة من هذه المرّات سيخطئ حدسك، وسيتوجب عليك أن تواجهي التبعات، وهذا خيارك. لكن يجب عليك أن تفكري في الأشخاص المُحيطين بك. فريقك يحترمك احتراماً كبيراً، وسيتبعك في أي موقف كي يقوم بحمايتك وليكسب موافقتك».

ابتلعت كيم ريقها. كانت تعرف أنه كان يتحدث عن شخص مُعيّن ضمن فريقها.

«وعندما يأتي اليوم الذي ستُعرّض فيه تصرفاتك المُتهوّرة للخطر، وظائف الأشخاص الذين من حولك، أو قد تعرّض حتى حيواتهم للخطر، لن يتوجب عليك تقديم الإجابات إلي، أو حتى للشرطة «.

شعرت كيم بتصاعد رغبتها في التقيؤ التي لا علاقة بها بمعدتها

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفارغة، بينما كانت تغلق الباب خلفها، ووجدت نفسها تتمنى لو كانت قد حصلت على تأديب بدلاً من كلمات وُودي.

لقد كان وودي يعرف بكل تأكيد كيف يضربها في النقطة التي قد تؤلمها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثاني والعشرون

رنّ جرس الباب، ولم تسأل كيم حتى من بالباب، وفكت سلسلة الأقفال. سيكون هذا برراينت، وقد جلب معه طعاماً صينياً.

«دخلت جنيّة «الشُوو ماين»[1] المبنى».

«تستطيع أن تبقى فقط في حال كان هناك جمبري مُقرمش»، ولم تكن كيم تمزح بهذا الخصوص.

خلع برراينت سترته التي كان يرتدي تحتها كنزة ماركة بولو، وبنطال جينز.

«أحبّ ما فعلته بالمكان».

تجاهلته كيم. كان يقول الأمر نفسه كل مرة يزورها فيها. بالنسبة إلى الآخرين، كان بيتها يبدو من دون روح، ومن دون زينة. لم تكن تستمع بتزيين ذي لمسة شخصيّة. فإذا ما اختارت أن تنتقل غداً ستحتاج إلى دزينة من الأكياس ذات السحاب فقط، وستحتاج إلى بضع ساعات فقط، وتكون جاهزة للرحيل. السنوات التي قضتها في الرعاية الاجتماعية علّمتها جيداً.

---

(1) أكلة صينية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

سكبت كيم نوديلز اللحم البقري، والأرز المقلي بالبيض. ثلثين لبراين وثلث لها. مرّرت الصحن له. جلس على أريكة، وجلست هي على الأخرى.

وضعت شوكة الطعام في فمها، وحاولت تجاهل شعورها بالإحباط. كانت نظرية الطعام أكثر إثارة من تناول الطعام في حدّ ذاته. في فمها تحول الطعام إلى مصدر للطاقة. تناولت منه المزيد، ثم وضعت الصحن على الأرض، من دون إتمام الطعام.

«يا إلهي، هلاّ أبطأت، بالكاد تناولت ما يملأ الفم».

«لقد شبعت».

«إن ما تناولته يجعل عصفوراً يبدو جشعاً أكثر منك. تحتاجين أن تأكلي أكثر، جوف».

نظرت إليه كيم. هنا في بيتها ليست المحققة. وهو لم يكن مساعدها. كان براينت فحسب، أقرب شخص لصفة صديق حصلت عليه.

نظر إليها «أنا آسف».

«توقف عن القلق. أنا بنت كبيرة».

أخذت صحنها للمطبخ وجهّزت قهوة طازجة.

«إذاً، أخبريني، جلبتُ لكِ رجلاً وسيماً، وطعاماً لم تأكلينه. ذكّريني مُجدداً ما الذي أكسبه أنا من هذه العلاقة؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«رفقتي المُمتعة»، قالت من دون انفعال.

ضحك براينت. «اممم...سأترك هذا الرد من دون تعليق، لأنه من الممكن أن تكوني كيم الآن، ولكن غداً رغم ذلك ستعودين لتكوني جوف مُجدداً»، انتهى من الأكل، وجلب صحنه الفارغ للمطبخ. «لا، هناك أمر آخر يشغل تفكيري».

«مثل ماذا؟».

«موعد».

«معكَ؟».

قهقه، وقال: أنتِ تتمنين هذا».

ضحكت كيم عالياً.

«تعلمين، تبدو ضحكتك رائعة. يجب أن تضحكي أكثر؟».

كانت كيم تعرف ما الذي سيأتي لاحقاً. فسبقته قائلة: «الإجابة لا».

«أنت لا تعرفين من يكون حتى».

«أوه أجل أعرف»، قالت. كانت قد لمحت بيتر غرانت عندما كانت خارجة من المخفر. كونه يعمل كنائب عام للـ CPS فقد ظلت مساراتهما تتقاطع، لكنها ومنذ الانفصال، كانت دائماً تتجنب أي محادثة معه.

تنهّد براينت «.هيّا، كيم. امنحيه فرصة. إنه بائس من دونك. وحتى أنتِ تبدين أكثر بؤساً من دونه».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فكرت كيم مليّاً قبل أن تجيب بصراحة. «لا، في الحقيقة لستُ كذلك».

«إنه يحبك».

هزّت كيم كتفيها باستهجان.

«وكنت مختلفة عندما كنتما أنتما الاثنان معاً. لن أقول إنك كنت أسعد، لكن ربما كنت أكثر تسامحاً».

«أنا أسعد الآن».

«لا أصدّقك».

سكبت كيم القهوة لكليهما، وعادا إلى قاعة الجلوس.

«انظري، كيم، أنا مُتأكد أنه آسف أياً كان الخطأ الذي قام به».

شكّت كيم في هذا، لأن الحقيقة تمثلت في أن بيتر لم يقم بأي خطأ. كانت هي المخطئة. كانت دائماً هي المخطئة.

«براينت، كم دامت الفترة التي تواعدت فيها أنا وبيتر؟».

«سنة تقريبا»؟

«وكم مرة تعتقد أنه قضى الليل هنا؟».

«بضع مرات».

«أجل، وهل تريد أن تعرف ما السبب الذي أدى إلى القطيعة النهائية؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أجل، أخبريني إذا ما أردت إشراكي الأمر».

«سأخبرك فقط كي تتوقف عن مضايقتي. أنهيتُ علاقة به لأنه ذات صباح لم يأخذ فرشاة أسنانه معه».

«هل تمزحين؟».

حرّكت كيم رأسها أن: لا، متذكّرة اليوم الذي غادر فيه بيتر باتجاه العمل، ودخلت هي للحمّام فرأتها هناك، مستلقية بوقاحة بجانب فرشاتها. ما من مشهد جريمة بعث فيها ذلك القدر من الرّعب.

«فهمتُ بأنني إذا لم أكن مُستعدة للتشارك في كأس فُرَش الأسنان، فأنا لستُ مُستعدة كثيراً لتقاسم أي شيء آخر».

«لكن من المؤكد كان يمكنك العمل على حل هذه النقطة».

«يا للمسيح، إن هذا ليس موعداً أعمى، وأنت لست «سيلا بلاك»[1]. هناك أشخاص مقدر لهم أن يلتقوا بتوأم الروح، وأن يعيشوا بعدها بسعادة للأبد. وهناك بعض الناس الآخرين ليسوا مرتبطين هكذا. هذا هو الأمر».

«أريد فقط أن يكون لديك شخص في حياتك يجعلك سعيدة».

«هل تظن أن هذا سيجعل العمل معي أقل صعوبة؟»، سألت كيم، مُعلنة بهذا عن نهاية المُحادثة.

التقط براينت الإشارة. «يا للجحيم، لو كان العلم معك سيصبح سهلاً، سأنتقل للعيش هنا بنفسي».

---

(1) اسم شخصية في فيلم مشهور.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«حسناً، احرص على عدم نسيان فرشاة أسنانك».

«لا، سأحضر معي الكأس الذي أضع فيه أسناني ليلاً».

«لا، حقاً، لنتوقف هنا».

أنهى برباينت قهوته، «حسناً، يكفي لعباً. كلانا يعرف لماذا أنا هنا. هل ستريني القطعة أم لا؟».

«حسناً»....

«هيّا، كفي عن إغاظتي».

قفزت واقفة، وتوجهت صوب المرآب. كان برباينت وراءها لا يفصله عنها سوى خطوتين.

أخذت كيم كنزتها من فوق طاولة الورشة، واستدارت لتواجه برباينت. رفعت بحنان غطاء الوسادة القطنيّ الذي يحمي القطعة من الحرارة.

مُتعجباً، حدّق برباينت بخزّان وقود خاص بدراجة نارية.

«الأصليّ؟».

«أجل»

«إنه تحفة. من أين حصلت عليه؟».

«من موقع اي باي ebay».

«هل تسمحين لي؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مررت له كيم الخزّان. قضت ستة أسابيع تصطاد عبر شبكة الإنترنت بحثاً عن خزان موديل سنة 1951. كان من الأسهل إيجاد قطع من موديل 1953 وما تلاها. لكن لم يسبق لكيم أبداً أن قامت بالأمور السهلة.

داعب براينت القطع المطاطية المُخصّصة لحماية الرُكبتين والمثبتة كل واحدة من كل جهة من الخزّان. وحرّك رأسه بإعجاب وهو يردد «جميل».

«هذا يكفي، أعده».

قدّمه لها براينت، ودار ببطء حول الدراجة النارية. «أليست هذه موديل مارلون براندو التي ركبها في فيلم «The wild one»؟

قفزت كيم، ووقفت على طاولة الورشة ووافقته قائلة «أجل كان هذا سنة 1950».

«هل أنتِ متأكدة من أنك ستقودين هذه الدراجة؟».

أومأت موافقة. ستكون «الترأيمف» علاجها. كانت دراجتها «النينجا» سريعة، وتمثل تحدّياً. قيادتها تلبي حاجة عميقة في داخلها، لكن «الثانديربيرد» كانت تحفة جميلة. يكفي أن تكون قربها كي تعيدها إلى السنوات الثلاث الوحيدة من حياتها التي شعرت كيم خلالها بشعور شبيه بالطمأنينة. كانت تلك السنوات الثلاث مُجرّد فاصلة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أيقظها رنين الهاتف. قفزت من على طاولة الورشة، واستعادت هاتفها المحمول من المطبخ.

رأت الرقم. «اللعنة، لا»، همست. انطلقت بسرعة عبر البيت، واتجهت إلى الشارع. على بعد منزلين من منزلها، ضغطت كيم على زر الإجابة. لن يُلوّث بيتها بالاتصال.

«كيم ستون».

«امممم...آنسة ستون أتصل كي أعلمك بخصوص حادث وقع لأمك. إنها،»....

«وأنتِ من تكونين؟».

«أوه، أقدّم لك اعتذاراتي. أنا لورا ويلسون، المراقبة الليلية في مؤسسة «جرانتلي كار». أخشى أنها تعرضت لحادثة».

كيم مرتبكة سألتها» لماذا تتصلين بي؟».

خيّم صمت قصير. «امممم....لأن اسمك مذكور في قائمة الاتصال في حالة الطوارئ».

«هل هذا مذكور في الملف؟».

«أجل».

«هل ماتت؟».

«يا الهي، لا. لقد تناولت»....

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«إذاً، كان عليك أن تقرئي الملف جيداً، آنسة ويلسون، لأنك لو فعلت لعرفت أن هناك حالة وحيدة طلبت فيها أن يتم إعلامي بالوضع، وقد سبق وأكدتِ لي أنها ليست الحال».

«أنا آسفة جداً. لم تكن لديّ فكرة. من فضلك اقبلي اعتذاري عن إزعاجك».

استطاعت كيم أن تميّز رعشة في صوت المرأة، واستاءت على الفور من ردّة فعلها.

«أوكي، ما الذي فَعَلته هذه المرّة؟».

«في صباح اليوم الباكر، أصبحت مقتنعة بأن الممرضة الجديدة التي كانت تحت التدريب، تم إحضارها كي تُسمّمها. إنها نشيطة بالنسبة إلى امرأة قاربت الستين من عمرها، حيث دفعت الممرضة وأسقطتها على الأرض».

«هل هي بخير؟».

«إنها بخير. غيّرنا لها الدواء تدريجياً إلى»....

«قصدتُ بسؤالي الممرضة».

«كانت مذعورة قليلاً لكنها بخير الآن. إنه جزء من العمل في هذه المهنة».

أجل، كان هذا أمراً عادياً يحدث في يوم طبيعي من أيام شخص يعاني البارانويا والشيزوفرينيا.

كانت كيم مُتلهفة لانهاء المكالمة. «هل هناك أمر آخر؟»

«لا، هذا كل ما في الأمر».

«شكراً لك على الاتصال لكنني سأقدّر إذا ما قمت بتسجيل ملاحظة إضافية في الملف بخصوص تعليماتي السابقة».

«بكل تأكيد، آنسة ستون ومرة أخرى، أعتذر عن خطئي».

ضغطت كيم على زر الإنهاء واتكأت على عمود الكهرباء مُقصية من ذهنها كل أفكار تخص أمّها.

كانت تفكر في تلك المرأة بطريقتها. وكان هذا يحدث مرة فقط في الشهر في وقت ومكان من اختيارها، وتحت سيطرتها.

تركت كيم كل أفكارها بخصوص أمها في الطريق، وأغلقت الباب الأماميّ بإحكام خلفها. لن تسمح كيم لتأثير أمّها بأن يخترق مكان أمانها.

أخذت أكواباً جديدة من الخزانة، وسكبت المزيد من القهوة لها ولبراينت. لم يقل شيئاً عندما دخلت مُجدداً للمرآب، كأن هذا كان الأمر الأكثر طبيعية في العالم بالنسبة إليها أن تخرج راكضة من منزلها الخاص إلى الشارع فقط لتتلقى مكالمة.

استعادت جلستها على طاولة الورشة، ووضعت خزان البترول في حضنها. التقطت فُرشاة بحجم وطول فرشاة الأسنان، ومسحت رقعة صغيرة من الصدأ على الجانب الأيمن. نقط بنية استقرت على بنطلون الجينز خاصتها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«بالتأكيد هناك طريقة أسرع للقيام بهذا».

«أوه، براينت، فقط رجل سيكون معنياً بالسرعة».

حلّ صمت خفيف بينهما بينما واصلت هي العمل.

«سيحتفظ بك في القضيّة، تعرفين». قال براينت بهدوء.

لم تكن كيم متأكدة بهذا الشأن. «لا أعلم براينت. إن وُودي مُحق حين يقول إنني غير قابلة للثقة. عليّ أن أقر بأن هناك أوقاتاً لا يمكنني فيها السيطرة على نفسي».

«ولهذا السبب سيتركك في القضية».

نظرت إليه.

«وودي يعرف كيف تعملين، ومازلتِ بعد في الجوار. لا يوجد أي تأديب في ملفك...وهو أمر صادم إلى حد بعيد، إن كنت تريدين الحقيقة. وودي يعرف أنك تحصلين على نتائج، وأنك لن ترتاحي حتى تحلي قضيّة ما، خاصة هذه القضية».

لم تقل كيم شيئاً. كانت هذه القضية أمراً شخصياً بالنسبة إليها، ومن الممكن أن يشعر وُودي بأن هذا مضرّ بالقضية.

«وهناك سبب آخر كي لا يخرجك من القضية».

«ما هو؟».

« لأنه سيكون مجنوناً، لعيناً كي يقوم بهذا، وكلانا يعلم بأن وُودي ليس مجنونا».

تنهّدت كيم بقوّة، ووضعت الخزان على جنب. لقد تمنّت بصدق أن يكون زميلها وصديقها مُحقاً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثالث والعشرون

أعادت نيكولا أدامسون تشغيل شريط الأخبار، وشاهدتها مُجدداً.

رجل أسود طويل القامة وضخم، اسمه وُودوارد، أكدّ اكتشاف جثة في الموقع الذي يوجد فيه البيت القديم لمأوى الأطفال. تبع إعلانه المُقتضب عرض جويّ للمكان الذي سمّته ذات مرة «منزلي».

شعرت بارتياح فوري. أخيراً سيكشفون أسرار ذلك المكان البائس.

لكنها شعرت في ما بعد بالخوف. كيف ستتلقى بيث هذه الأخبار؟ كانت نيكولا تعرف أن أختها لن تفتح قلبها وتتحدث إليها. عندما كانتا طفلتين، كانتا قريبتين من بعضهما جداً، وكل ما فعلتاه فعلتاه معاً. تقاسمتا كل شيء. حاربت نيكولا لتتذكر متى بدأت الأمور تتغيّر.

كبرتا منفصلتين بعد مرحلة كريستوُود. عادت بيث منذ أربع سنوات عندما أصيبت نيكولا بحمى جعلتها طريحة الفراش. لكنها اختفت مباشرة بعد خروجها من العناية المُشدّدة.

وها هي قد عادت قبل أسبوع، وبالرغم من أنه كان هناك بعض الانزعاجات من مشاركتها لها في منزلها، إلا أن نيكولا أحبت أن تكون

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أختها معها. وصوت خافت في خلفيّة عقلها طرح سؤالاً، إلى كم من الوقت؟

عندما كانت بيث بعيدة كانت تشعر نيكولا دائماً بجزء منها مفقود. والآن عندما عادت أختها أصبحت أكثر قلقاً. أصبحت دائمة القلق حيال ردود فعل بيث.

لقد تغيرت أختها بطريقة ما. أصبح هناك انطواء في شخصيتها الآن، وبرود تجلّى في ملامحها، ولم تعد تمتع بالصبر عند التعامل مع بقية الناس. شعرت نيكولا بأن كل أونصة من فرح أختها قد ضاعت.

فحصت مُحتويات الفرن. كانت قد قررت أن تطبخ الأكلة المُفضلة لبيث، قطع الدجاج المُقرمش بالبقسماط، ووافل البطاطا مع الكاتشاب. ابتسمت نيكولا. كان من الغريب أنها لم تكبر على هذه الوجبة.

بالرغم من اختلافاتهما، أرادت نيكولا أن تُشكل علاقة أقوى مع بيث. أرادت أن تفهم ما الذي فصلهما عن بعضهما بعضاً.

كانت تأمل بأنهما تستطيعان الجلوس معاً وهما ترتديان مناماتهما، وتشاهدان فيلماً بينما تتناولان وجبة قد تجد طريقها إلى ذكريات بيث.

لم يكن العيش معاً أمراً مثالياً لكن نيكولا لن تهتم ببعض الانزعاج مقابل الحصول على عودة بيث في حياتها.

وستقوم بكل ما تستطيع لتجعلها تبقى.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الرابع والعشرون

توجهت كيم إلى المكتب بعد اجتماع مع وُودي دام أربعين دقيقة. ثلاثة أزواج من العيون نظرت إليها بترقب.

«مازلتُ على رأس القضيّة».

عبرت القاعة تنهيدة جماعية.

واصلت كيم . «أكدت خبيرة الأدلة الجنائية أن العظام بشريّة ومعاصرة، بالتالي فإن المنطقة هي مسرح جريمة. وظلت الخبيرة في الموقع وستتولى مهمة جمع الآثار والأدلة الجنائية التي سيتم عرضها بسرعة على «دُوندي».

كانت جامعة «دُوندي» مقراً لـ«مركز التشريح والتعرف إلى البشر» وقد قدمت طيلة سنوات دراسات مُتخصصة للحصول على شهادة في الأدلة الجنائية. وكثيراً ما كان يتم التواصل مع المركز لطلب النصيحة في قضايا ذات مستوى رفيع من الأهمية، سواء في الداخل أو الخارج.

كانت هذه هي الشروط التي فرضها وودي الذي أراد أن يضمن أن يكون كل شخص يعمل في القضية مؤهلاً بامتياز.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أين وصلنا في بحثنا عن مُوظفي كريستوود؟».

التقط دواسون قطعة من الورق. «حذفتُ الموظفين الذين عملوا هناك فترات قصيرة، والذين عملوا فترات مُتقطعة، وتبقت لي قائمة بأربعة موظفين عملوا هناك في الفترة التي احترق فيها المكان».

«مثلما نعلم، تيريزا وايت كانت نائبة المدير، وطوم كورتيس كان رئيس الطهاة. المدير العام كان شخصاً اسمه ريتشارد كروفت. وكان هناك مدبّرة منزلية عملت هناك ثلاث سنوات اسمها ماري أندروز. إضافة إلى حارسين ليليين».

«كما وجدت أن ماري أندروز مستقرة في منزل للرعاية في تيمبيرتي.»...

«ريتشارد كروفت، أليس هذا اسم نائب المحافظ في برومجسروف؟»، قاطعته كيم. تستطيع كيم أن تقسم أنها قرأت مؤخراً مقالاً يتحدث عن كون كروفت شارك في ماراثون لقيادة الدراجات النارية لمصلحة أعمال خيرية.

«بالتأكيد الاسم نفسه، لكنني لم أكن قد ربطته بعد بموضوعنا»...

«حوّل الأمر إلى ستايس»، أمَرته كيم، ولمحت التعبير على وجه دايسون:

«ستايسي، هل حصلت على أسماء الأطفال؟».

«حصلتُ على سبعة أسماء، أغلبهم حصلت عليهم من الفيسبوك».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

نظرت إليها كيم.

أجابت ستايسي بلا مبالاة: «لا يوجد الكثير من المعلومات المُسجّلة حول كريستوود، وتوجد قلة من الأشخاص الذين يريدون التحدث حول المكان. حسب ما فهمته، الأطفال الأصغر سبق أن وُضعوا في دور للحضانة، أو في مؤسسات رعاية قريبة في المنطقة. ستة، أو سبعة آخرون عادوا إلى أقاربهم، وقد ترك لنا هذا نحو عشرة أطفال كانوا موجودين وقت الحريق».

«هذا يبدو مثل كابوس دمويّ».

كشّرت ستايسي. «ربّما بالنسبة إلى الأشخاص الأقل إنسانيّة».

ابتسمت كيم. كانت ستايسي تحب التحدي وهذا، أمرٌ جيّد.

«حسناً، براينت، اذهب وجهّز السيارة».

التقط براينت سترته وغادر المكتب، بينما توجهت كيم إلى «الوعاء» خاصّتها. وجلست لتخلع حذاءها المخصّص لركوب الدرّاجات النارية. وبينما كانت تفعل هذا، انتبهت للمحادثة التي كانت تدور في المكتب الداخلي.

«هل جربت الورود؟»، سألت ستايسي.

«فعلت». أجاب داوسون.

«الشوكولاتة».

«فعلت».

«المجوهرات؟».

لا إجابة.

«هل تمزح؟ لم تجرّب المجوهرات؟ أوه، كِيفْ، لا شيء يعبّر « أنا آسف لكوني نذلاً من دول أخلاق»، بقدر ما يفعله عقد برّاق باهظ الثمن».

«توقفي عن هذا، ستايس، ما أدراك بهذا؟».

«أنا أعرف، أيها الصبيّ العاشق، لأنني امرأة».

ابتسمت كيم بينما ربطت شريط حذائها.

«لكننا لا يمكن أن نحتسب حياتك العاطفية في عالم العفاريت. أحتاج إلى نصيحة من امرأة تُواعد رجالاً. رجالاً حقيقيين».

انتهت المحادثة بينهما عندما عادت للمكتب. «ستايس، أنتِ الآن تعملين على موضوع الموظفين والسكان السابقين».

بدا داوسون مرتبكاً.

«اجلب معطفك، ستأتي معي».

أخذ سترة بدلته من ظهر الكرسي.

«سأحصل لك على معطف. ستبقى الآن في الموقع برفقة خبيرة الأدلة الجنائيّة»..

أشرق وجهه. «تتحدثين بجديّة، جوف؟».

أومأت كيم. «أحتاج إلى معرفة ماذا يحدث فور حدوثه. أريدك أن تكون مُزعجاً. استمر في طرح الأسئلة، تابع الناس في المكان، استمع للمحادثات وفي اللحظة التي تحصل على أي شيء جديد، أعلمني».

«سأفعل، جوف». قال بلهفة.

تبعها إلى الأسفل حيث كانت السيارة بالانتظار.

جلست في المقعد الأماميّ بينما جلس في الخلف.

«اربطوا أحزمتكم، أيها الأطفال». قال براينت، بينما كان يخرج من موقف السيارات.

حدقت كيم عبر المرآة الجانبية إلى لهفة داوسون، وجهه المُتحمس، ثم نظرت عبر النافذة للخارج.

بالنسبة إلى شخص لا يمتلك أي مهارات اجتماعية فهمت أن ما فعلته الآن كان هو الصواب.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخامس والعشرون

الموقع الذي تركته بالأمس يبدو الآن مثل مدينة صغيرة مُحاطة بالجدران. وكانت حدود المبنى بأكملها محاطة بسياج من الحديد المتشابك. وكان هناك مدخل في واجهة الموقع وآخر في الخلف، وكل مدخل يحرسه شرطيان. بينما يحوم الآخرون قرب السياج، في المجال البصري لبقيّة الضباط. كانت كيم راضية لكون المحيط مؤمناً. وقد أنشئت حظيرة على طول الجزء العلوي من الموقع، خُصصت للصحفيين، لكن كيم استطاعت أن ترى أنهم بالفعل قد اجتاحوا خط السياج. نُصبت خيمتان لونهما أبيض، واحدة حول الحفرة، والثانية ليخزن فيها التقنيون المُعدات.

توجهت كيم للخيمة الأولى لكنها لم تكن مستعدة لرؤية الهيكل العظميّ في الحفرة، أو لتلقي تأثيره فيها. سبق ورأت الكثير من مسارح الجرائم، وشاهدت أجساماً في مختلف مراحل التحلل، لكن هذا الجسد كان عظاماً فقط. عندما يظل هناك نسيج لحمي فإن هذا يشعرهم بأن لديهم شيئاً ليعيدوه إلى عائلة الضحية، شيء تبقى

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

من الشخص ليُدفن ويُحزن عليه. لكن العظام بدت مجهولة، من دون ملامح، مثل هيكل مبنى من دون معمار يجعله فريداً. أدركت كيم أنها لم تحب هذه الفكرة قليلاً. وصُدمت أيضاً بالمساحة الصغيرة التي احتلها الهيكل العظمي.

«لا توجد ملابس؟»، سألت كيم خبيرة الأدلة الجنائية التي وقفت إلى جانبها.

«صباح الخير، أيتها المحققة». قالت كيريس.

أجل، لطالما نسيت كيم هذه الشكليات.

«للإجابة عن سؤالك، هذا لا يعني أنه لم يكن هناك أية ملابس. لم تعد هناك الآن فقط. هناك عوامل مختلفة تخرّب النسيج على مستويات مختلفة. يعتمد هذا على كم ظلت تحت الأرض. يمكن للقطن أن يختفي خلال عشر سنوات، أو ما يقاربها، بينما يمكن للصوف أن يظل سليماً لعقود».

ثم استدارت كيريس ناحيتها. «لم أكن واثقة بأنك ستعودين».

ابتعدت كلتاهما عندما بدأ التقنيون بالتقاط الصور من كل زاوية، وثمة مُؤشر أصفر على امتداد العظام.

«لم نحظ بالكثير من الوقت للتحدث البارحة». قالت كيم.

لفت كيريس خصلة تائهة من شعرها خلف أذنها. «لم يبدُ لي أنك من الأشخاص الذين يحبون الحديث، لكن حسناً...عمري تسع وعشرون سنة، عزباء، ومن دون أطفال. لوني المفضل هو الأصفر.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لديّ ضعف أمام قطع الدجاج المُقرمش، ومُتطوعة في الجيش المحلي عندما لا أكون مشغولة بالحياكة». تريثت كيريس. «حسناً لقد كذبت بخصوص الحياكة».

«من الجيد معرفة كل هذا لكنني، لم أكن أسأل في الواقع عن هذا».

«إذاً، اسألي ما تريدين، أيتها المحققة».

«كيف تأهلت لهذا العمل؟»، قالت كيم من دون تردد.

حاولت كيريس إخفاء ابتسامتها لكن عينيها التمعتا. «لقد حصلت على شهادتي في علم الآثار من جامعة أكسفورد منذ ثماني سنوات. ثم قضيتُ أربع سنوات مسافرة ضمن مشاريع آثار، أغلبها كان في غرب إفريقيا، ثم عدت للوطن وحصلت على شهادتي في علم الأدلة الجنائية، وقضيتُ آخر سنتين محاولة الحصول على الاحترام في مجال ذكوري. هل يبدو لك هذا مألوفاً، أيتها المحققة كيم؟».

ضحكت كيم بصوت مرتفع، وقدمت لها يدها. «سعيدة بأن تكوني ضمن فريقي».

«شكراً لكِ. الآن، تم عرض العظام، وأنا بانتظار الخبير بعلوم الإنسان كي نناقش عملية التعرية والنقل. يجب أن أتأكد أننا لن نقطع شيئاً، لا من فوق، ولا من تحت».

نظرت إليها كيم بدهشة.

«آسفة، نحتاج إلى أن نكون حريصين قدر الإمكان على أننا لن

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

نأخذ لا أكثر من اللازم، ولا أقل من اللازم. لأننا لن نستطيع بعدها أن نعود للوراء، ونعيد القيام بالأمر».

لم يتغير التعبير على وجه كيم.

فكّرت كيريس للحظة. «حسناً، تخيّلي الأرض مثل حائط من الآجر. كل مسار من الجدار هو فترة زمنية. إذا ما أخذنا أكثر مما ينبغي من التراب فنحن نخاطر بالتخطي، والمرور إلى أحداث أخرى حصلت قبل جريمة القتل، ومن الممكن أن يمنحنا هذا معلومات خاطئة».

أومأت كيم برأسها.

«مباشرة بعد إخراج العظام سنغربل التراب بحثا عن أدلّة».

«أيتها المحققة، هناك شخص أريدك أن تلتقي به».

سمعت كيم الصوت المألوف لكيتس، الأخصائيّ المفضل لديها في علم الأمراض.

«أيتها المحققة كيم ستون، من فضلك تعرّفي إلى الدكتور دانيال بايت. إنه خبير الأدلة الجنائية من جامعة دُوندي، وسيعمل هنا وفي مختبري خلال فترة التحقيق في هذه القضيّة».

كان الرجل الذي صافحها أطول منها بإنشين، ويتمتع بجسد رياضي. كان فكّه قوياً وشعره أسود. وكانت عيناه الخضراوان البراقتان تشكّلان تناقضاً محبّباً مع سمرة ملامحه.

تم التعارف بين كيريس وكيتس والقادم الجديد. كانت القبضة التي صافح بها كيم قوية، وحازمة.

مباشرة، بدأ الدكتور بايت يمشي حول الحفرة، واستغرقت كيم لحظة لتتأمله. لم يكن يبدو مثل رجل علم. كان بنيانه يبدو ملائماً أكثر لمهنة في الهواء الطلق، مهنة تستوجب ممارسة نشاط جسدي.

إذاً، قال كيتس. « لدينا ثلاثة أشخاص يملكون معاً مفتاح حل هذه القضيّة. الشخص الذي سيكشف الأدلة، الشخص الذي سيشرح هذه الأدلة، والشخص الذي سيجمع كل شيء معاً ويعطينا قاتلاً».

تجاهلته كيم، ووقفت بجانب الدكتور بايت.

«هل هناك أي أمر يمكن أن تقوله لنا في أول فحص؟».

حكّ ذقنه. «أجل، أستطيع التأكيد أن هناك عظاماً في تلك الحفرة».

تنهّدت كيم. «حسناً، أستطيع رؤية هذا بنفسي، دكتور بايت».

«أتفهم أنك تريدين إجابات على الفور، لكنني لم ألمس بعد العظام، ولن أقرر شيئاً إلى أن أفعل».

«هل هو أحد أقربائك؟»، سألت كيم كيتس.

ضحك كيتس. «عرفت أنكما الاثنان ستتفقان».

عادت للدكتور. «هل أنت متأكد أنه لا يمكنك أن تقدم أي شيء؟».

«أوكي، أستطيع أن أقول لك إن هذه الروح المسكينة قضت هنا خمس سنوات على الأقل. إن جسم أي شخص راشد سيتحلّل بالكامل ما بين عشر، واثنتي عشرة سنة، غير الراشدين الذين يحتاجون إلى نصف هذا الوقت.

«أول مرحلة من التحلل هي تحطّم أنسجة الجسم بانزيمات تتحرّر بعد الموت. المرحلة الثانية هي التي تتحلّل فيها الأنسجة الرخوة بسبب وجود بكتيريا دقيقة. وفعلياً تتحول كل الأنسجة الرخوة إلى سائل وغاز».

«هل دُعيت إلى حفلات كثيرة، دكتور؟»، سألت كيم.

ضحك عالياً. «أعتذر، أيتها المحققة. عدت حديثاً من كنوكسفيل، تحديداً تينيسي، حيث الأجساد معروضة بطريقة مختلفة لإقامة»...

«الجنس؟»، سألت.

«أخشى أن حتى الفحص في المختبر لن يغير في الأمر شيئاً. إذا ما نحن تعاملنا مع جسد يافع فإن التغيرات التي تميز الجنس لا يمكن أن تكون قد حدثت».

«إذا كان عمر ضحيتنا بين 16 و18 سنة فإننا يمكن أن نحظى بفرصة، قائمة على شكل تكيّف الحوض، لكن أي سنّ أصغر من هذا فإن قلة من العلماء سيحاولون تحديد جنس جسد غير راشد عبر عظامه».

«هذا يعني أن هناك طرقاً أخرى؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هناك تقنيات أخرى، عبر استعمال «الدي إن أي» الخاصة بالأسنان لتحديد الكروموزومات x وy ، لكن كلتا الطريقتين مُكلفة وفيهما إهدار للوقت. إن تحديد عمر جسد يافع أسهل بكثير من تحديد جنسه. وذلك من خلال نمو، وتطوّر العظام، وتطوّر الأسنان، ودرجة انغلاق مفاصل الجمجمة. ستحصلين على عمر تقريبي لاحقاً اليوم».

«أحسن تخمين؟»، دفعت الأمور أكثر.

استدار بايت لينظر إليها. كانت عيناه قويتين، وفيهما نظرة تحد. «هل تريدين التاريخ، والموعد، والمكان الذي ستوقفين فيه القاتل؟».

لم تكن كيم مُنزعجة. «سيكون البروفيسور بلام في المكتبة يوم الخميس الثامن عشر، عند الساعة الحادية عشرة. وبالرغم من أنك لم تسألي عن هذا سيكون حاملاً شمعداناً».

«أنا رجل علم، أنا لا أتنبّأ».

«لكن من المؤكد أنه يمكنك الاستنتاج من»...

«كيتس» نادى من فوق رأسها. «من فضلك أنقذني من هذا الاستجواب قبل أن أعترف بمشاركتي في اختطاف «لينبيرغ».

وجدت كيم أن النبرة الاسكتلندية الثرية تتعارض مع لهجات بلاك كاونتري التي تحوم حول موقع الحفرة. إذا ما أغلقت عينيها فسيرنّ صوته تقريباً مثل صوت شون كونري[1]. تقريباً.

(1) ممثل عالمي شهير، من أصول اسكتلندية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لقد عرفتُ أنكما ستنسجمان معا بطريقة مبهرة». قال كيتس مُبتسماً بتكلف. «دانيال، لقد وصلت الصناديق للتوّ».

انتقلت كيم إلى نهاية الحفرة، بينما اقترب المزيد من التقنيين، حاملين صناديق بلاستيكية شفافة. لم تعد كيم تميّز بين الأشخاص إلى أيّ فريق ينتمون، وشعرت بالسعادة لأن داوسون كان من سيرابط في الموقع وليست هي.

إذا ما توجب عليها أن تتعامل مع هذا الطبيب المُعرقل، فلن يطول بها الأمر حتى تكون المسؤولة عن دفن جثة ثانية.

«هل أنشأت صداقات جديدة هناك؟»، سألها «، براينت.

«أوه أجل، إنه برميل من الضحكات، ذلك الشخص».

«رجل علم نموذجي؟».

«أجل، وقد قلت له الكثير».

«حسناً، أراهنُ على أنه أحّبك لأجل هذا».

«من الصعب الجزم بهذا».

سخر براينت :» من الصعب أن تكوني مؤهلة للحكم على ردود أفعال الآخرين، كيم ، أليس كذلك؟».

«براينت، اذهب للجحيم».

«لا، لا، لا.. صرخ الدكتور بايت، وهو يخطو داخل الحفرة. كان صوته عالياً وآمراً. توقف الجميع عن القيام بما يفعلون.

ركع في الحفرة بجانب الرجل الذي كان يعمل على الهيكل العظميّ. دخلت كيريس للحفرة وانحنت بجانب الطبيب.

لم يتكلم أحد، بينما تباحثا بهدوء. في النهاية استدار الطبيب وحدّق بكيم مباشرة.

«أيتها المُحققة، في نهاية الأمر لديّ شيء لأجلك».

اقتربت كيم، وقد اختنقت أنفاسها داخل صدرها. قفزت إلى جانبه داخل الحفرة. «استمر».

«هل ترين هذه العظام هنا؟».

أومأت موافقة.

«يقود العظم الخلفي إلى العنق حيث توجد سبعة عظام تُكوّن فقرات العنق. هذه التي في الأعلى هي C1، الأطلس، والثانية هي C2، المحور».

واصلت إصبعه النزول على طول العنق مشيراً إلى بقيّة العظام C من ثلاثة إلى سبعة. رأت كيم كسراً واضحاً بين العظمين الثالث والرابع. بصورة غريزيّة مرّرت يدها خلف عنقها. وتساءلت كيف استطاع رؤية ذلك الكسر من فوق الحفرة.

«وضح الأمر لي، أيها الطبيب».

«أستطيع أن أقول لك من دون أدنى ظل للشك، إن هذه الروح المسكينة قد كُسر عنقها».

فصل السادس والعشرون

خرجت كيم من الحفرة. «هيّا، براينت. يجب أن نبدأ».

حدّقت في شاحنة التويوتا التي من المؤكد أنها ملك للطبيب دانيال بايت. كانت منبعجة فوق قوس العجلة الخلفية ومكسوة بالطين.

«يا إلهي، ما هذا؟»، صرخت كيم، وهي تقفز للوراء.

«امم.. اسمه كلب، كيم».

تفرسّت كيم في الوجه كثيف الشعر الذي أطل فجأة من نافذة المقعد الخلفي.

عقدت كيم حاجبيها عابسة «براينت، هل هي أنا وحسب أم»...

«أيتها المُحققة، توقفي عن إخافة كلبتي»، قال دانيال، مغلقاً الفجوة بينهما. «أوكد لك، أن كلبتي لا تعلم شيئاً».

استدارت كيم إلى زميلها. «هل ترى، براينت، الكلاب تأخذ صفات أصحابها».

«هل تعلمين، أيتها المحققة، بعد تلقي اتصال عند الساعة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الرابعة صباحاً، وبعد قيادة ثلاث ساعات ونصف الساعة، أنتِ قطعاً لستِ كما وصفك كيريس».

«هل هي عمياء؟»، سألت كيم، بينما فتح هو باب السيارة. قفزت الكلبة للخارج وجلست. علّق الطبيب لها طوقاً أحمر وحرّك رأسه.

«البصر في عينها اليمنى مثالي».

خمّنت كيم أن الكلبة كانت من فصيلة «شيبيرد» الألمانية.

خطت كيم للأمام، مقدمة يدها لأنف الكلبة.

«هل تعض؟».

«فقط المحققين الفظاظ».

أدارت كيم عينيها، وداعبت رأس الكلبة. كان فروها ناعماً، ودافئاً.

كانت كيم مرتبكة. لو كان قد قاد السيارة مسافة الـ350 ميلاً من دُوندي حتى هنا فإن هذا كان ليكون أطول من بضع ساعات.

«ما الذي تفعله هنا؟».

«لقد أخذنا بضعة أيام إجازة بعد قضيّتي الأخيرة. وكنا نستطلع مواقع تسلّق الجبال في منطقة شيدار عندما تلقيت اتصالاً من مديري. كنتُ الأقرب إلى هنا».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لم يكن هناك انزعاج في صوت دانيال، تقبل فقط لمثل هذه الاتصالات التي تأتي ضمن العمل.

شعرت كيم بدفء أنف الكلبة ينكزها في يدها اليمنى، حيث كانت كيم توقفت عن مداعبة رأسها، شاردة.

«انظري لهذا، أيتها المُحققة». قال دانيال بايت ببريق في عينيه». على الأقل تعجبين أحدهم في الموقع».

منعها رنين هاتفها من الرد عليه.

أجابت على الاتصال بينما استدار دانيال وقاد الكلبة حول نهاية الموقع.

«كيف الحال، ستايس؟».

«أين أنتِ؟».

«على وشك مغادرة الموقع. لماذا؟».

«هل تواجهين الموقع من أعلى، أم من أأسفل؟».

«ماذا؟».

«لقد وجدت ويليام باين، أحد الحراس الليليين؟».

«أعطني عنوانه».

«انظري أسفل التل. يجب أن تشاهدي سبعة منازل في صف واحد. إنه البيت الذي في الوسط والذي بُلّطت حديقتاه الأمامية والخلفية بالخشب».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت كيم قد بدأت بالسير باتجاه أسفل التل. «بحق الجحيم كيف تعرفين هذا؟».

«جوجل أيرث، كيم».

أنهت كيم المكالمة. كانت ستايسي تخيفها أحياناً.

«أين قلت إننا ذاهبان؟».

«لاستجواب أول شاهد لدينا».

«هنا؟»، سأل براينت بينما كان يفتح البوابة العالية.

كانت الحديقة بحراً من الألواح الرمادية على نحو مخيف. وكان يُمكن تمييز الطريق عبر ممر تفرّع وصولاً حتى الباب الأمامي.

بعد طرقتين فتح الباب رجل طويل رأسه أشيب تماماً.

«ويليام بايني؟». مكتبة الرمحي أحمد

أومأ مؤيداً.

أخرج براينت شارته. «هل نستطيع الدخول؟».

لم يخطُ خطوة للوراء واكفهرّ وجهه «أنا لا أفهم. لقد سبق أن جاء شرطي بالأمس وأخذ التفاصيل».

حدّقت كيم في براينت قبل أن تتكلم. «سيد بايني، نحن هنا بسبب تحقيق يخصّ كريستوُود».

لم يسبق لها أن أرسلت أي شرطي لهذا العنوان.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بدا الفهم على وجهه. «أوه، بالطبع، لطفاً تفضّلا بالدخول».

تراجع للخلف، نظرت إليه كيم نظرة تقييم فاحصة. منحه شعره الانطباع الأول لشخص أكبر بكثير مما يشير يشير إليه وجهه. كان الأمر كأن عامليّ التقدم في السّن يعملان لديه بطريقة منفصلة. القدرة على التحمل التي بدت على وجهه أشارت إلى أنه بالكاد في منتصف الأربعينات من عمره.

«من فضلكما كونا هادئين، ابنتي نائمة».

كان صوته بطيئاً، ولطيفاً، ومن دون أي أثر للهجة البلاك كاونتري.

«ادخلا»، همس.

أدخلهما إلى غرفة مُفردة امتدت على طول المنزل. كان القسم الأول مساحة مُخصّصة للصالون، وخلفها طاولة الطعام، وُضعت أمام النافذة المطلة على الفناء الذي يقود إلى حديقة صغيرة في الخلف.

سمعت كيم ضجيجاً في الخلف. كان صوت أيقاع متواصل.

انتبهت إلى أن الصوت يصدر عن جهاز متصل بتشغيل جهاز تنفس. وثمة بنت قدّرت كيم أنها في منتصف مراهقتها، مُتصلة بالجهاز. كان الكرسيّ المتحرك ضخماً بطريقة غريبة مع المصل المعلّق من الجهة الأخرى.

كان هناك جهاز ملفوف حول الذراع اليسرى للكرسي، جهاز نداء لحالات الطوارئ. مع زر أحمر يتصل مباشرة بخدمة سيارة الإسعاف،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

يستعمل عادة للمعوقين جسديّاً على نحو خطر. أدركت كيم أن هذا كان يجب أن يكون مثبتاً حول عنق الفتاة، لكنه وُضع على مسافة إنش من يدها اليسرى. ولم تخف البيجاما القطنية المزينة بصور «بيتي بووب» التي كانت ترتديها الفتاة، ضمور جسدها.

«هذه ابنتي، لوسي»، قال ويليام بايني الذي وقف قربها. استند إلى السرير بلطف، ودفع بخصلة طائشة من الشعر الأشقر خلف أذن الفتاة.

«لطفاً، اجلسا». قال، وهو يقودهما نحو الطاولة الصغيرة. كان صوت المذيع جيريمي كيلي يصل بهدوء من خلفية المكان.

«هل تسمحان لي بأن أقدم لكما القهوة؟

وافق كلاهما يماءة من الرأس، ودخل ويليام بايني للمطبخ الذي لم يكن سوى بحجم صندوق يقع مباشرة خلف مساحة الصالون.

وضع ثلاثة صحون صغيرة معدنية على الطاولة قبل أن يجلب ثلاثة أكواب صناعة صينية. كانت رائحة القهوة شهيّة.. شربت كيم جرعة مباشرة.

«بن كولمبي ذهبي؟»، سألت.

ابتسم «إنها نقطة ضعفي الوحيدة، أيتها المحققة. لا أشرب الكحول، ولا أدخّن. لا أملك سيارة سريعة، ولا أطارد النساء. أنا مُغرم وحسب بكوب جيد من القهوة».

شربت كيم جرعة أخرى. بينما شرب براينت قهوته دفعة واحدة كأنها قهوة فورية ماركة «تيسكو».

«سيد بايني، هل تسمح لنا بأن نسأل»...

توقف براينت عندما لكزت كيم ساقه من تحت الطاولة.

كانت تود أن تدير هذه المحادثة.

«هل تسمح لنا بالسؤال، ما هي مشكلة لوسي؟».

ابتسم. «بكل تأكيد، أنا أسعد دائماً بالحديث عن طفلتي الصغيرة. تبلغ لوسي من العمر خمس عشرة سنة وقد وُلدت بضمور عضليّ».

حدّق باتجاه ابنته، ولم تعد نظرته نحوهما مطلقاً. استغلت كيم الفرصة لتقيّمه بحريّة.

«كان من الواضح بالنسبة إلينا أن هناك شيئاً ليس على ما يرام. كانت بطيئة كي تبدأ بالمشي ولم تتجاوز مطلقاً تلك المرحلة الخرقاء».

نظرت كيم حولها. «هل والدة لوسي هنا؟».

استدار ويليام ناحيتها وأولاها اهتمامه. بدا في نظرته تفاجؤ حقيقي.

«اعذراني. كثيراً ما أنسى بحق أن للوسي أمّاً على الإطلاق. لطالما كنا نحن الاثنان فقط، لمدة طويلة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أفهم»، قالت كيم، مواصلة الحديث. كان صوته قد انخفض حتى تحول إلى همس.

«لم تكن والدة لوسي شخصاً سيئاً، لكن كان لديها توقعات معينة، وطفل ذو احتياجات خاصّة، لم يكن ضمن خطتها الرئيسية. لا تسيئا فهمي. أنا متأكد من أن كل أب، أو أم، يتمنى أن يحظى بطفل مثاليّ. وحلمها لم يكن يتضمّن بطبيعة الحال، العناية كل الوقت بشخص راشد لن يكون أبداً قادراً على العناية بنفسه. اعذراني للحظة».

أخذ منديلاً ومسح خيط بصاق تساقط على ذقن ابنته.

«عذراً لهذا. على أية حال. حاولت أليسون جهدها حقاً في البداية، وعندما كان هناك بعض العوامل الطبيعية للتعلق بها. لكن لاحقاً حين تطوّر المرض وأصبح يتطلب الكثير لمواجهته، شعرت بأنها لم تعد تستطيع النظر إلى لوسي، ولم تلمسها طيلة أشهر. وقد اتفقنا، نحن الاثنين، على أنه من الأفضل لها أن ترحل. كان هذا منذ ثلاث عشرة سنة، ولم نرها، أو نسمع عنها منذ ذلك الوقت».

على الرغم من تقبله المُطلق للأمر، استطاعت كيم أن تُميّز الألم في صوته. كان متسامحاً مع والدة لوسي أكثر مما كانت هي قد تفعل.

«وبسبب هذا اشتغلت بوظيفة العمل الليلي في كريستوود؟».

وافقها قائلاً: «قبل ذلك كنت أعمل مهندساً مدنياً، لكنني لم أستطع المحافظة على عملي والعناية بلوسي في الوقت نفسه. مكّنني

العمل في دوام ليلي بكريستوود من الاعتناء بلوسي خلال النهار. وغالباً ما كانت جارتي تأتي للبقاء ليلاً مع لوسي».

«ألم تكن هناك زوجة ثانية؟»، سأل برواينت.

حرّك ويليام رأسه بالنفي. «لا، لقد نذرتُ نفسي للحياة. من الممكن أن يرضي الطلاق القانون، لكنه لا يرضي الله».

خمّنت كيم أنه حتى لو رغب في ذلك، فسيكون من الصعب عليه الالتقاء بإحداهن. قلّة من الناس كانوا مستعدّين للاعتناء المُطلق بطفلة من ذوات الاحتياجات الخاصة، طفلة لم تكن من صلبهم.

انبعث صوت غرغرة من الزاوية. مباشرة قفز ويليام واقفاً على ساقيه. لقد نهض قبل حتى أن تستيقظ ابنته.

«صباح الخير، حبيبتي، هل نمتِ جيداً؟ هل تريدين الحصول على شراب؟».

وبالرغم من أن كيم لم ترَ أي حركة من الفتاة إلا أنه كان من الواضح أن هناك نوعاً من التواصل بين الأب والابنة، عندما سحب ويليام أنبوب الطعام ووضعه بين شفتيها. لمست لوسي بسبّابة يدها اليمنى الزرّ في ذراع الكرسي. كمية من السائل مرت عبر الأنبوب إلى فمها.

«هل تريدين الاستماع إلى الموسيقى؟».

«أم تفضّلين كتاباً مسموعاً؟».

ابتسم. «هل تريدين أن أديرك؟».

أها، لقد فهمت كيم. لقد كانا يتواصلان بترميش العيون.

عندما أدار ويليام الكرسي المتحرك، صُدمت كيم لشحوب البشرة الناعمة، والصراحة المُتجلية في العينين.

تأملت كيم في سخريّة الوضع: عقل يعمل بطريقة مثالية في جسد من دون فائدة. من الأكيد أنه لا يوجد مصير أكثر قسوة من هذا المصير.

«تجلس لوسي عند النافذة كي تتمكن من النظر إلى الخارج. لقد تسلّت بكل الجلبة التي حصلت هناك بالأمس».

«سيد بايني، كنت تقول»... أعادته للحديث بلطف.

«أجل، بكل تأكيد». كان العمل في كريستوُود سهلاً بما فيه الكفاية. كل ما توجب عليّ فعله الحرص على أن يكون المكان محمياً، بحيث لا ترحل الفتيات بكل بساطة، وبحيث لا يتمكن أحد من الدخول. أفحص أجهزة التقاط الدخان، وأنهي إنجاز الأعمال التافهة التي يهملها موظفو النهار. كان عملاً مناسباً جداً بالنسبة إلي وكنت محبطاً حين انتهى».

«بسبب الحريق؟».

وافق بإشارة من رأسه. «بالرغم من أن المكان كان قد أغلق على أي حال، إلا أنني أملتُ أن أعمل ولو بضعة أشهر إضافيّة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل داومت تلك الليلة؟».

«لا، كانت مناوبة آرثر، لكنني سمعت جهاز الإنذار. أنا أنام في غرفة النوم الأماميّة، كما ترين».

«ما الذي فعلته؟».

«ألقيتُ نظرة على لوسي، ثمّ ركضتُ عبر الطريق. كان آرثر قد أخرج أغلبية الفتيات، لكنه كان مصدوماً، فركضت للداخل وقمت بتمشيط أخير للمبنى للتأكد من أن ما من فتاة هناك».

«كانت الآنسة وايت، وطوم كورتيس، أول من وصل، وكان هناك ارتباك. كل واحد كان يُسجل قوائم للتأكد أنه تمّ تعداد كل الفتيات. وكان المسعفون يعالجون الفتيات من الجروح الصغيرة، ومن تأثير استنشاق الدخان، لكن من دون إعلام أحد. حاولتُ تقديم المساعدة لكنني كنتُ أزيد الأمور سوءاً. غادرت المكان عندما بدأ بقيّة الموظفين بالوصول».

«وكم كانت الساعة؟».

«قلت وقتها إن هذا كان عند الواحدة والنصف».

«هل حددوا سبب الحريق؟».

«لا أعرف. لستُ متأكداً من أنهم بحثوا فعلياً. لا أحد تضرر جدياً، وكان المكان سيغلق على أية حال».

«هل تعلم بأن كل من تيريزا وايت،وطوم كورتيس قد قُتلا؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وقف ويليام واقترب من ابنته. «حبيبتي، أعتقد أن الوقت قد حان لتسمعي القليل من الموسيقى، أليس كذلك؟».

لم تشاهد كيم الرد الذي رمشته الفتاة، لكن ويليام ألبسها سماعات الأذنين وفتح لها الجهاز.

«إن سمعها مثالي، أيتها المحققة. وفتاة طبيعيّة في سنّ الخامسة عشرة كان ليطلب منها مغادرة الغرفة. الاستماع للموسيقى يعادل هذا».

ودّت كيم في تلك اللحظة لو تضرب نفسها. من دون قصد، عاملت لوسي كأنها كانت غير مرئية بسبب إعاقتها.

كان هذا خطأ لن تكرره مُجدداً.

«ما الذي يمكنك أن تحدثنا عنه بخصوص الضحيتين؟».

«ليس الكثير. كان من النادر أن أرى موظفي النهار. أحياناً كانت ماري، المُدبّرة المنزلية، تبقى حتى أصل كي تنقل لي النميمة».

«أي نوع من النميمة؟».

«في الأساس عن خصامات الآنسة وايت، والسيد كروفت. كان صراعاً على السلطة، قالت حينها ماري».

«هل يمكنك أن تتذكّر أي أحد تمنى إيذاء أي واحدة من تلك الفتيات؟».

شحب وجه ويليام بطريقة واضحة ثم نظر للنافذة:

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لا يمكن أن تكوني قد فكّرت في أنه من الممكن.. أنت تفكّرين حقاً في أن ذلك الجسد الذي وجد تحت الأرض يعود لواحدة من فتيات كريستوود؟».

«لم نتحقق من الأمر بعد».

«أنا آسف لكنني حقاً لا أظن أنني أستطيع تقديم أي مساعدة».

وقف ويليام فجأة. تغيّرت ملامحه. ما زال يتكلم بلطف، لكنه كان قد قرّر أن الوقت حان كي يغادرا.

ألحّ براينت. «ماذا بخصوص الفتيات؟ هل كن يتسبّبن بالفوضى؟».

بدأ ويليام بالسير مُبتعداً عنهما. «ليس حقيقة. كان هناك بعض المتمّردات، لكنهن في العموم كنّ أطفالاً جيّدين».

«ما الذي تعنيه بمتمّردات؟».

«أشياء عاديّة وحسب».

كان من الواضح أن ويليام بايني أرادهما أن يغادرا، وبدأت كيم تفهم لماذا.

«أي نوع من»...

«براينت، لقد انتهينا». قالت كيم وهي تقف.

نظر إليها ويليام بامتنان.

«لكن لو أستطيع فقط أن أسأل»...

«لقد قلت، انتهينا». كان هناك زمجرة في صوتها. أغلق برواينت مُفكّرته ووقف.

مشت كيم وتجاوزت ويليام. «شكراً لوقتك، سيد بايني. لن نعطلك أكثر».

مرّت كيم بجانب المقعد المتحرك للوسي. لمست بخفّة يد الفتاة اليسرى. «وداعاً، لوسي. كان من الرائع الالتقاء بك».

عند الباب استدارت كيم. «سيّد بايني، إذا سمحت، هل أستطيع أن آخذ من وقتك دقيقة إضافية. ما الذي ظننت أننا جئنا لأجله في البداية؟».

«لقد تعرضنا لمحاولة سرقة منذ ليلتين. لم يأخذوا شيئاً لكنني أعلمت الشرطة على الرغم من ذلك».

ابتسمت له كيم شاكرة، بينما كانت تغلق الباب خلفهما.

فور تجاوزهما للبوابة التفت لها براينت: «ما كان كل هذا؟ ألم تلاحظي كيف تغيّر عندما بدأنا نسأله عن الفتيات؟ لم يستطع إخراجنا من هناك سريعاً بما يكفي».

«إن الأمر ليس كما تفكر فيه، براينت».

مشت كيم عبر الطريق واستدارت، وهي تراقب المنزل. من بين المنازل السبعة، كان المنزل الوحيد الذي يملك جهاز إنذار معلقاً بشكل

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بارز على واجهته. أشعّة تحت الحمراء غير مُفعّلة، وجهاز استشعار يغطي المساحة الخلفية من المنشأة، إضافة إلى سياج علوه ست أقدام تعلوه المسامير.

مقتحمو المنزل لم يتحدّوا أنفسهم عن قصد مع كل هذه الفخاخ المنصوبة. وكيم لم تكن تؤمن بالصُدف.

تأفّف براينت. «أنت لا تعلمين بماذا أفكّر، لأنك لم تمنحيني الفرصة. لقد كان عصبياً، كيم».

صعدت حتى الرابية. تجاوزت دانيال بايتي الذي كان يسحب كلبته باتجاه السيارة.

«مرحباً أيتها المحققة، أنتِ لا تستطيعين الابتعاد وحسب؟».

«أجل، أيها الطبيب. أنا حقاً لا أستطيع. قالت من دون أن تُبطئ خطواتها.

«جوف، بحق الجحيم ما الذي يحدث؟»، سألها براينت عندما وصلا إلى السيارة.

«في العادة أنتِ لا تمضين مبتعدة عندما تُواجهين تحدياً. وذلك الرجل كان متوتراً مثل جحيم، وأنت غادرتِ وحسب».

«أجل، فعلت».

«لقد طردنا تقريبا».

«أجل، براينت، لقد فعل». نظرت إليه عبر السطح المُلتمع للسيارة. «لأنه كان يحتاج أن يغيّر حفاظات ابنته ذات الخمس عشرة سنة».

فصل السابع والعشرون

كان بيت الرعاية تمريناً في التماثل المعماري. داخل البهو هناك فتحتان زُجاجيّتان من كل جانب. على يمين كيم يوجد مكتب صغير فارغ، وعلى يسارها غرفة تحتوي على مجموعة مكاتب، وامرأة ترتدي «تي- شيرت» أسود. كانت الحارسة.

«هل يمكنني المساعدة؟». خمّنت كيم أن المرأة قد سألتها من وراء الحاجز الزجاجيّ الذي يفصل بينهما.

«هل يمكننا التحدث إلى واحدة من مرضاكم».

تمتمت المرأة بعدم فهمها. أشارت كيم إلى الباب طالبة منها أن تخرج، لكن المرأة صرخت قائلة إنها يمكنها الخروج فقط في حالة الطوارئ.

للحظة شعرت كيم كأنهما علقتا في غرفة من غرف التعقيم. أشارت إلى الأبواب الداخليّة. فأومأت المرأة موافقة، وأشارت إلى كتاب مفتوح موضوع على إفريز النافذة. وقامت بتلويحة بيدها اليمنى. فخمّنت كيم أنها تطلب منهما التوقيع في الدفتر.

«ذكّرني بالتطور الذي انجزناه في مجال التواصل»، وشوشت كيم لبراينت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وقّعا وانتظرا الجرس.

فور دخولهما، لاحظت كيم أن هناك فئتين. على اليسار يوجد المقيمون المتمتعون بقدرة جسديّة أكبر. واحد، أو اثنان تحركا حول المكان المخصّص للمشاة، بينما اتكأ بقية المقيمين على كراسيّهم المدعومة بمسندين منهمكين في الحديث. استداروا نحوهما، كانا وجهين جديدين.

من اليمين، صدر صوت خافت جداً. اقتربت ممرضة تدفع عربة لتوزع عليهم الأدوية. لم ينظر أحد الآن في اتجاههما.

المرأة الواقفة خلف الزجاج خرجت من المكتب. كانت تحمل بطاقة معلّقة على الجهة اليسرى من صدرها شارة عليها اسم كايث.

«كيف يمكنني مساعدتكما؟».

«نودّ التحدث إلى واحدة من المقيمات لديكم، ماري أندرويز».

رفعت المرأة يدها إلى حنجرتها. «هل أنتما من أفراد عائلتها؟».

«نحن مُحققان». أجابها برواينت. واصل الكلام، لكن ردّة فعل المرأة جعلت كيم تشعر باضطراب في معدتها. لقد كانا متأخرين.

«أنا آسفة، لكن ماري أندرويز تُوفيت قبل عشرة أيام».

قبل أن يبدأ كل هذا، فكّرت كيم، أو ربما كان موتها بداية لكل هذا.

«شكراً لك». قال برواينت. «سنتصل بالطبيب الشرعي».

«بخصوص ماذا؟». سألت كايث.

«بحثاً عن أدلّة تفسر موتها»، شرح لها، لكن كيم كانت قد استدارت مُبتعدة. دفعت الباب لكنه كان موصداً.

«لم يتم أي تشريح بعد وفاة ماري أندرويز. كانت في المراحل الأخيرة من سرطان البنكرياس. لذلك لم يكن موتها مفاجأة كبيرة. بالتالي لم يكن هناك أي سبب لتمر عائلتها بهذه التجربة وقد سلمناها لمؤسسة. «هيكتون.×».

لم تحتج كيم لتسأل. كان الجميع يعرف الطريق نحو «كرادلي هيلث» التي يُدفن فيها السّكان المحليون منذ سنة 1909.

«هل استقبلت ماري أندرويز أي زوار في ذلك اليوم؟».

«لدينا ستة وخمسون مقيماً في هذا المكان، ستعذرني إن لم أتذكر».

انتبهت كيم للنبرة العدائية في صوت المرأة وتجاهلتها.

«هل تمانعين إذا ما فحصنا دفتر الزوّار؟».

فكّرت كايث للحظة، ثم أومأت برأسها مُوافقة. ضغطت على زر أخضر فتح الأبواب، وعادت كيم إلى داخل الردهة.

بدأت كيم بتصفح الأوراق، بينما أمسك براينت الباب مفتوحاً بقدمه.

«سيّدي، يجب أن تغلق الباب وراءك، وإلا فإن جهاز انذار سينطلق».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وحيث إنه انتُقد بطريقة محترمة، تراجع برواينت ودخل للردهة.

«ما هي مشكلتك على أي حال، هل لديك شيء ضد كبار السن؟». سألت كيم. كان وجه براينت خالياً من التعبير.

«لا شيء، إن المكان فقط، مثير للإحباط».

«ماذا؟»، سألت كيم، بعد أن أدارت بضع صفحات إضافية. «معرفة أن هذه هي المحطة الأخيرة. عندما تكونين في الخارج في العالم الكبير المتوحش، فإن كل شيء يظل ممكناً، لكن فور دخولك إلى مكان مثل هذا، فأنتِ تعرفين أن هناك طريقاً واحداً ستخرجين عبره».

«اممم...فكرة مُبهجة. ها هي»، قالت، وهي تقبض على الصفحة. «الساعة الثانية عشرة وخمسون دقيقة، بتاريخ عشرة من هذا الشهر. وقع الزوّار للقاء بماري أندرويز بواسطة اسم غير واضح للقراءة».

أشار براينت إلى الزاوية العُليا من الردهة.

استدارت كيم وطرقت على زجاج النافذة. عبست كايث في وجهها. أشارت كيم إلى أبواب الدخول. رنّ الجرس.

«نحتاج إلى مشاهدة ما سجّلته كاميرات المُراقبة خاصّتكم».

بدا كأن كايث ستعترض، إلا أنها تراجعت، ثم وجّهتهما بصوت مرتفع «من هذا الاتجاه».

تبعاها عبر مكتب عام ومن ثمة إلى فضاء خلفه.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ها هي». قالت وتركتهما.

كان من الصعب أن يُصنف المكان كغرفة. هناك مكتب صغير مع جهاز تلفزيون قديم، وأجهزة للتحكم في التشغيل. وكان هناك جهاز فيديو واحد على جنب.

«أفترض أن تأمل وجود أجهزة أكثر تطوراً كان حلماً كبيراً كي آمله». تذمّر براينت.

«أجل شريط فيديو قديم أمر جيد. أرجوك قل لي إنهم صنفوا الأشرطة؟».

جلست كيم على الكرسي الوحيد الموجود، بينما فحص براينت رفوف أشرطة الفيديو.

«يوجد شريطان فقط، بتاريخ ذلك اليوم. واحد خاص بالنهار، وآخر خاص بالليل. يتم تغيير الأشرطة كل اثنتي عشرة ساعة».

«إذاً، الآن نحن نتحدث عن فاصل زمنيّ؟».

«أخشى أن نعم»، قال وهو يلتقط الشريط. لو وجدوا دليلاً في الشريط فإن الوقت الحقيقي لشريط الفيديو كان مقبولاً، حيث إنه قد تمّ تصوير كل شيء بالكامل. تسجيل الـ Time lapse التقط صورة كل بضع ثوانٍ، ما منح الشريط حركة آلية، فبدا الشريط تقريباً مثل مجموعة من لقطات الشاشة.

وضعت كيم الشريط في الآلة. انبعثت الحياة في الشاشة. سرّعت الشريط حتى التوقيت المذكور في دفتر الزيارات لذلك اليوم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حدّقت كيم في الشاشة. «هل ترى ما أراه؟».

«الشريط متآكل. اللعنة لا نستطيع القيام بأي شيء حيال هذا الأمر»..

عاودت كيم الجلوس على المقعد. «كم مرّة تم استعمال هذه الأشرطة؟».

«بالنظر إلى حالة هذا الشريط، نحن نتحدث عن مئات المرّات».

يتم التخلّص من الأشرطة بصفة فوريّة بعد اثنتي عشرة دورة للاحتياط كي لا تعرض مثل هذه النوعية من الصورة على الشاشة الآن.

واصلت كيم مشاهدة ظلال الوجوه تدخل وتخرج من الردهة.

«يا إلهي، يمكن أن يكون هذا حتى أنا».

نظر إليها بطريقة جديّة. «هل هذه أنتِ، كيم؟».

مالت كيم بالمقعد وفتحت الباب.

«كايث»، صرخت، «هل لديكِ دقيقة؟».

لاحت كايث عند الباب. «حقاً، أيتها المحققة، لا حاجة كي»...

«سنأخذ هذا الشريط».

هزّت كايث كتفيها بلا مبالاة «حسناً».

«هل لديكم أيصال استلام كي نوقع عليه؟».

«لدينا ماذا؟».

نظرت كيم نحو براينت.

اقتطع ورقة من دفتره وكتب عليها رقم الشريط، واسميهما، واسم مركز الشرطة.

أخذت كايث الورقة، وكان من الواضح أنها لم تكن واثقة لماذا كان عليها أخذها.

«كايث، هل تُدركين أن النظام الذي لديكم من دون فائدة؟».

نظرت إليها المرأة كأنها حمقاء. «إنه مأوى للرعاية، أيتها المُحققة، وليس مركزاً للجريمة».

بدا على المرأة الانتصار.

قدّمت كيم حُججها بينما اختار براينت النظر إلى أظفاره:

«أنت مُحقة... لكن بواسطة أشرطة أفضل من هذه كنا لنكون الآن في وضع يسمح لنا بتحديد هوية المسؤول عن اثنتين، وربما ثلاث، جرائم قتل، ولكنّا بكل تأكيد ضمنّا أنه لن يمتلك فرصة للقتل مُجدداً».

ابتسمت كيم باستمتاع وهي تشاهد الرعب الذي سيطر على وجه المرأة.

«لكنني أشكركِ على وقتك، وعلى تعاونك الذي ساعدنا».

تجاوزت كيم المرأة بخطوات كبيرة وخرجت من المبنى.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل تعرفين، كيم، لطالما علمت بأن هناك أكثر من سبب للخوف منك عندما تبتسمين».

«قدّم ذلك الشريط لستايسي. من المحتمل أنها تعرف مشغلاً معجزة قد يقدم لنا دليلاً».

«سأفعل. إلى أين نذهب الآن، جوف؟».

أخذت كيم المفاتيح من يده.

«سنذهب في جولة من أسوأ كوابيسك، براينت»، قالت وهي تفتح عينيها على وسعها. «سنذهب من مأوى الرعاية إلى البيت المخصص للجنازات».

ارتعد براينت. «حسناً. لكن إذا ما كنت ستقودين، فقط احرصي على ألا تكون هذه جولتي الأخيرة، أوكي؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن والعشرون

«جدياً كيم، لقد سمعتُ بمطاردة سيارة إسعاف، لكنني لم أسمع بقيادة سريعة للحاق بجثة لعينة؟».

عبرت كيم المسافة التي تفصل بينهما وبين السيارة التي تسبقهما. «لقد سمعت ما الذي قاله متعهد الدفن، لقد غادرت منذ ساعتين. إذا استطعنا الوصول هناك في الوقت فقد نتمكن من أيقاف المراسم ونأمر بتحليل جنائيّ».

«سترتعب عائلتها».

«توقف عن الزنّ».

«هل تستوعبين أننا نتوجه عائدين إلى مبنى حرق الجثث الذي يقع مباشرة بجانب الموقع. ألم تشعري بأننا ندور في حلقة فارغة؟».

«ليست لديك أدنى فكرة»، قالت وهي تطلق الزمور على السيارة التي أمامهما والمتوقفة بتردد في منطقة صغيرة تسمح بالمرور. لفّت السيارة إلى اليمين.

قادت كيم السيارة حتى تلّ «جاريت لاين»، وفوق جسر القنال.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تأرجح براينت في مقعده. اتخذت المخرج الرابع مباشرة باتجاه الأراضي التي يقع فيها مبنى حرق الجثث وتوقفت خارج المدخل.

«اللعنة، لا يوجد لا سيارة ولا معزّين»، لاحظت.

«ربّما وصلنا مبكّرين. ربما مازالوا في البيت في الاستقبال المخصّص للعزاء».

لم تنبس كيم بكلمة، وهي تخرج من السيارة متجهة للمبنى. بينما كانت بنت صغيرة جالسة على الحائط، وكان رأسها منحنياً.

واصلت كيم السير. كان هناك جنازة يجب إيقافها.

ارتعشت كيم عندما دخلت للمبنى. كانت المقاعد الخشبية مصطفة في المكان على كل جانب من ممر المشاة. وكان الممر الرئيسي يقود إلى منطقة مُحاطة بالستائر. وقد أعيدت الستائر المخملية الحمراء إلى وضعها الأصلي.

على اليمين منبر عالٍ، وخلفه لوحٌ كُتبت عليه ثلاثة أرقام لترنيمات.

شعرت كيم بأن المكان من دون روح. لم تكن تبالي كثيراً بالكنائس، لكنها كانت تحقق توزاناً. تحدثُ فيها زيجات، إجراءات تعميد، احتفالات بالبداية، بالتساوي مع الفقدان.

«هل يمكنني مساعدتك؟»، سأل لم يتبيّنا مصدره.

نظرت هي وبراينت إلى بعضهما بعضاً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«يا للمسيح». همس براينت.

«ليس تماما». قال وجه مقترب من خلف المنبر.

بالرغم من كونه لم يكن سميناً، إلا أن الرداء الكهنوتي الأسود لم يكن ملائماً للرجل الذي يرتديه. لم يكن وجهه مستديراً بالقدر الذي أوحى به شكل جسده. شعره الأسود الذي تخلّله الشيب كان كثيفاً على الجانبين، لكنه كان خفيفاً بشكل واضح، وتجمع على شكل قوس دائري على الجزء العلوي من رأسه. خمّنت كيم بأنه قد تجاوز منتصف خمسيناته.

«لكن، ربما يمكنني المساعدة في ظل غيابه؟».

كان الصوت خافتاً، حتى إنه كان ذا إيقاع لطيف. كانت والدة كيم بالتبنّي رقم خمسة تستعمل صوتاً معيناً حين تجيب على الهاتف، ولم يكن يشبه على الإطلاق صوتها حين تتحدّث عادة. تساءلت كيم إن كان الكاهن يمتلك صوتاً خاصاً بخدماته.

«نحن نبحث عن مراسم جنازة ماري أندرويز». قال براينت.

«هل أنتما من أفراد عائلتها؟».

قدّم براينت شارته كشرطيّ.

«في هذه الحالة، لقد تأخرتما كثيراً».

«اللعنة. هل من طريقة نوقف بها عملية الحرق؟».

نظر الكاهن إلى ساعته. «إنها في الداخل في حرارة تبلغ ألف ومئة درجة لنحو ساعة. أشك في أن شيئاً قد تبقى».

«اللعنة...آسفة، أبتي».

«أنا كاهن ولست قسّاً، عزيزتي، لكنني أتقبّل اعتذارك».

«شكراً لمساعدتك». قال براينت بينما دفع كيم برفق نحو الباب.

«اللعنة، اللعنة، اللعنة»، قالت كيم وهي تعود للسيارة.

أعادت النظرة الشاملة التي أطلقتها على المكان، مشهد البنت الصغيرة التي ظلّت جالسة على الحائط وحيدة. وصلت كيم للسيارة ثمّ نظرت للوراء. كان واضحاً أن تلك البنت ترتجف لكن هذه لم تكن مشكلتها.

فتحت باب السيارة ثم تريّثت. لم تكن هذه حقاً مشكلتها.

«سأعود خلال دقيقة». قالت، وهي تغلقُ الباب بشدّة.

هرولت كيم باتجاه البنت، ووقفت إلى جانبها. «مرحباً، هل أنتِ بخير؟».

بدت الصبيّة مندهشة. حاولت أن ترسم ابتسامة مُؤدّبة وهي تحرّك رأسها موافقة. بدت عيناها باردتين في وجهها الشاحب.

كانت تنتعل حذاء مسطّحاً بشريطتين بيضاء وسوداء. وترتدي جوارب سوداء سميكة، فوقها تنورة لا تتجاوز الركبة. كما كانت ترتدي قميصاً رمادياً غطته سترة موضتها قديمة، ومقاسها كبير. وقد تمت ملاءمة الملابس معاً لتناسب مأتماً، لكنها لم تقدم أي حماية حقيقيّة من البرد، حيث لم تتجاوز الحرارة درجتين.

هزت كيم كتفيها بلا مبالاة واستدارت لتغادر. لقد طرحت السؤال. لم تكن الفتاة في محنة بقدر ما كانت حزينة. تستطيع أن تبتعد بضمير مرتاح. لم تكن هذه مشكلتها اللعينة.

«هل مات أحد مقرب؟»، سألت كيم، وهي تجلس على الحائط.

«جدّتي»، أجابت البنت.

«أنا آسفة»، قالت كيم. «لكن الجلوس هنا لن يحسّن من حالتك».

«أعرف، لكنها كانت بالنسبة إليّ أمّي أكثر من كونها جدتي».

«لكن لماذا ما زلتِ هنا؟» سألتها كيم بلطف.

نظرت كيم إلى مدخنة مبنى حرق الجث. دخان كثيف تسرّب منها وتلاشى في الفضاء. «لا أريد المغادرة قبل... لا أريدها أن تكون وحدها».

انقطع صوت الفتاة وانسابت الدموع على وجنتيها. ابتلعت كيم ريقها حين استوعبت لمن كانت تتحدث.

«جدّتك كانت ماري أندرويز؟».

توقفت الفتاة عن البكاء. «أنا بولا...لكن كيف عرفت هذا؟».

لم تشعر كيم بالحاجة لمنح الفتاة الحزينة أي تفاصيل.

«أنا محققة. تبيّن أن اسمها له علاقة بما يحدث هناك في الجهة المقابلة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«آه أجل، لقد عملت في كريستوُود. كانت المُدبّرة المنزلية نحو عشرين سنة». وفجأة ابتسمت الفتاة. «كانت تأخذني معها أحياناً إذا ما عملت في عطل نهاية الأسبوع. كنت أساعدها في تغيير الشراشف، أو بعض الغسيل. لستُ متأكدة إلى أي درجة ساعدتها».

«كل الفتيات أحببنها، ولم يتسبّبن لها بمقالب. كان يبدو أنهن يحترمنها. كثيراً ما عانقنها».

«أراهن على أن بقية الموظفين قد أحبّوها أيضا».

هزّت باولا كتفيها ثم ابتسمت. «العم بيل فعل». أشارت إلى أسفل التل. «وقد اعتاد أن يعيش هناك».

تحدثت كيم كأنها متواطئة معها كي تلفت انتباهها «كيف عرفت بيلي؟».

«كانت جدّتي أحياناً ترعى ابنته لوقت قصير كي يتمكّن من الذهاب للتبضع». ابتسمت الفتاة ثمّ نظرت للمدخنة. «كان من المفترض أن تجلس فقط وتنظر للوسي، لكن جدتي لم تستطع الاكتفاء بذلك فقط. كانت دائماً تجد بعض الأعمال لتنجزها قبل أن يعود، كيّ الملابس، أو التنظيف بالمكنسة الآلية. وكنتُ أنا ألعب مع لوسي. عندما يعود لم تكن لتذكر أي شيء قامت به. لم ترغب أن يشكرها، أرادت أن تساعد فحسب».

«يبدو أن جدّتك كانت شخصاً مميزا جداً». قالت كيم وقد عَنت هذا.

«لم نعد هناك بعد الحريق، وقالت جدتي إنهما قد انتقلا من هناك». فكّرت باولا للحظة. «تعرفين، لقد تغيّرت جدتي كثيراً بعد الحريق. لم تكن أبداً جدة عجوزاً، إذا تفهمين ما أعنيه، لكن بعد الحريق كأنها فقدت شيئاً من روحها».

وجدت كيم نفسها تتساءل لمذا كذبت ماري أندرويز بخصوص انتقال ويليام بايني.

«هل حصل أن سألتها عن الأمر؟»، دفعت كيم الحديث بلطف.

عرفت كيم أنها كانت تستغل حاجة البنت للحديث عن جدّتها. الحديث حول شخص فقدناه للتوّ يحفظه حياً داخل القلب وداخل الذهن. كان هذا يحفظ صلتنا به. تمنت كيم لو أنهما كانتا تساعدان بعضهما بعضاً.

واصلت باولا «ذات مرّة سألتها وقد غضبت مني بشدة. أتذكّر الأمر جيداً، لأن جدّتي لا تغضب مني أبداً. طلبت مني ألا أذكر مجدداً ذلك المكان، أو أولئك الأشخاص على الإطلاق. بالتالي لم أفعل».

لاحظت كيم أن جسم الفتاة يرتعش. جسدها كله كان يرتجف، لكن الدخان تواصل في التموّج من المدخنة.

«هل تعرفين، أحدهم قال لي ذات مرة، وأتذكّر دائماً ما قاله لي»، تذكّرت كيم بوضوح. كان هذا في جنازة والديها بالتبني رقم أربعة، وكان سنّها وقتها ثلاث عشرة سنة.

استدار الوجه اليافع والبريء نحوها بلهفة، متعطشاً لأي نوع من المواساة، مثلما كانت كيم وقتها، بالرغم أنه لم يظهر أحد ليواسيها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لقد قيل لي إن الجسد ليس سوى سترة نتخلص منها عندما لا نعود في حاجة إليها. لم تعد جدتك هنا بعد الآن، باولا. السترة التي ارتدتها تسبّبت لها بالألم لكنها تحرّرت من كل هذا الآن».

نظرت كيم لخيط الدخان الذي أصبح رفيعاً الآن. «وأظن أن السترة قد ذهبت الآن، ويجدر بكِ أنت أن تذهبي».

وقفت الفتاة. «شكراً لك. شكرا جزيلاً».

استدارت الفتاة لتغادر. إن أي كلمات أن تخفّف من الحزن للحظات. بالفطرة نحن أنانيّون، لكن الحزن يظل للأحياء. إنه مقياس ليعرف به الشخص حدة شعوره أمام خسارته الشخصيّة، وفي بعض الحالات، مثلما عرفت هذا كيم، لقياس ندمه.

راقبت كيم باولا وهي تهبط التلّ. فكّرت في إخبار الفتاة أن لوسي مازالت تعيش في البيت نفسه، لكن جدّتها كذبت عليها لسبب ما، ويتوجب على كيم أن تحترم هذا.

أعادها رنين هاتفها إلى الحاضر. كان هذا داوسون.

«جُوف، أين أنتِ؟».

«قريبة جداً إلى درجة أنني أستطيع أن أشمّ تقريباً عطر ما بعد الحلاقة الذي تستعمله».

كان اليوم يتطور إلى حلقة سيئة من مسلسل «منطقة الشفق».

«جيّد، غُوف، لأنني أحتاج منك أن تعودي إلى هنا فوراً».

«ما المشكلة؟» سألت، وهي تعدو نحو برااينت.

«ذلك الجهاز المغناطيسي أصيب بالجنون. يبدو أن لدينا جسداً آخر».

الفصل التاسع والعشرون

عبرت كيم المسافة التي تفصلها عن الموقع على قدميها أسرع مما فعل براينت بالسيارة. تجاوزت الطبيب وكيتس اللذين كانا يحملان صناديق إلى الشاحنة.

استدار الطبيب ليواجهها. «تعرفين، أيتها المُحققة، عند هذه المرحلة يجب أن أفكر في إذن توقيف».

«هل تعرف كم أنت مثير للإزعاج؟» سألته، من دون أن تتوقف.

«أجل، لقد كنت محقاً». قال موجهاً كلامه لكيتس.

لم تكن لديها أي فكرة حيال بماذا كان كيتس كان محقاً، وفي تلك اللحظة بالذات لم يكن لديها أي اهتمام بالأمر.

توجهت لمجموعة الناس يبعدون نحو أربعين قدماً غرب الخيمة الأولى. كان الموقع خلف الخيمة التي استُعملت كمخزن للمعدات، ما حمى نشاطهم من أعين الصحافة. شكرت الله لرحمته.

«ما الذي يحدث؟».

سحبتها كيريس على جنب. « كان جاريث يتفحّص بقية

المساحة ليتأكد وحسب. وصل عند نقطة معينة وعندها التقط الجهاز المغناطيسي شذوذاً ثانياً في التربة».

«يا إلهي»، قالت كيم، وهي تمرّر يدها عبر شعرها. « هل هناك شيء آخر يمكن أن يكون موجوداً؟».

ارتجفت كيريس. «هناك دائماً فرصة لكننا لن نعرف قبل أن نبدأ الحفر. وخلال هذا الوقت هناك أمر آخر أريدك أن تشاهديه».

تبعت كيم كيريس إلى داخل الخيمة. كان هناك طاولات قابلة للطيّ قد نُصبت وعليها صناديق صغيرة من ماركة «تُوبيوار». وبضعة صناديق فارغة لكن أغلبها كانت مملوءة بكميات مختلفة من التراب.

«لدينا بعض الرقائق وبالشظايا المعدنيّة الصغيرة التي أحتاج لأن أفحصها أكثر، لكنني فكّرتُ في أن هذا قد يثير اهتمامك».

وصلت كيريس إلى واحد من الصناديق الصغيرة الذي احتوى على وسخ رقيق وقد بدا مثل حلوى شوكولاتة ماركة مالتزريز.

«ما هذه؟».

أخرجت كيريس واحدة ووضعتها أمام عيني كيم.

كانت دائرة ورديّة مرقطة بنقاط صفراء.

أحنت كيم رأسها. «خرزة؟».

وافقت كيريس بإيماءة من رأسها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كم واحدة؟».

«سبع إلى حد بعيد».

«اسوارة؟».

ابتسمت كيريس. «هذا عملك، أيتها المُحققة. بطبيعة الحال، هناك دائماً إمكانية بأنها تنتمي لسياق منفصل».

«سياق ماذا؟».

أغمضت كيريس عينيها لثانية. «هل تذكرين ما قلته لك بخصوص الحائط؟».

أجل، تذكّرت كيم شيئاً بخصوص الأحداث التي تقع في طبقات. «إذاً، فأنتِ تقولين إن الخرز يمكن ألا يكون لها علاقة على الإطلاق بالجسد؟».

«ربّما».

«متى يمكنني الحصول على الصور؟».

«كل شيء أخذ اليوم، أول شيء ستستلمينه في الصباح».

خرجت كيم من الخيمة. هناك دهان أصفر قد رُشّ حول المساحة التي أشار إليها الجهاز. استدارت كيم حين وقفت كيريس إلى جانبها. «لماذا لم يبدأ أحد بالحفر بعد؟».

«لقد قاربت الساعة الثالثة. تبقّى لدينا نصف ساعة من الضوء النهاريّ. الوقت غير كاف».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل تمزحين؟ ستتركينها هناك في الأسفل؟».

استدارت كيريس ناحيتها، وقد فوجئت. « أولاً، نحن لسنا متأكدين بعد من أنه ليس كلباً ميّتاً». قالت كيريس مستعملة مثال كيم نفسه الذي اعتمدته في اليوم السابق. «وثانياً، لو يوجد جسد ثان في الأسفل فسيكون تهوراً أن ننسب له جنساً محدداً بينما الجسد الأول»...

«ما مشكلتكم أيها العلماء؟ هل هناك درس خاص في الجامعة اسمه استخراج التفكير الحر؟».

«إذا ما بدأنا بتقليب التربة الآن، مع العلم بأننا لن نتمكن من الانتهاء، فنحن نخاطر بتعريض الموقع لعوامل حانبية. أدلة ثمينة من الممكن أن تضيع». قالت كيريس.

«كلكم متشابهون، مثل آليين صغار مستنسخين ترتكزون على»...

«أستطيع أن أؤكد لك أننا لسنا كلنا متشابهين. بالأمس، قمنا بالأمر على طريقتك، لكن اليوم سنقوم به على طريقتي».

رمقتها كيم بنظرة ساخطة.

كتفت كيريس ذراعيها. «أتفهّم عدم صبرك، أيتها المحققة. لكنني لا أريد القيام بأخطاء. إضافة إلى أن أعضاء فريقي غادروا منازلهم الساعة الرابعة صباحاً، كي يتواجدوا هنا. إن فريق العمل يحتاج إلى الراحة».

بدأت كيريس بالسير مبتعدة، لكنها استدارت قائلة «أعدك، إنها آمنة لليلة إضافية».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«شكراً لك...كيريس».

«أهلاً....كيم».

توجهت نحو برتينت وداوسون وسحبتهما على جنب. «حسناً، يا رفاق، سيحفرون غداً. إذا ما وجدنا جسداً آخر هناك في الأسفل فسيحطّم هذا الخبر الدنيا».

«اذهبا للمنزل وخذا بعض الراحة طالما مازال باستطاعتكما ذلك. انطلاقاً من الغد سيكون هذا عملاً من دون توقف، فتأكدا من إعلام أفراد عائلتيكما بأن عملكما بالتناوب سيصبح ذكرى قصيّة».

«لا مشكلة، جُوف» قال داوسون مزهواً. كانت عيناه داكنتين ومحتقنتين بالدم لكنه كان يتعلم درسه.

«اتفقنا، براينت؟».

«أكثر من أي وقت مضى».

«صحيح، لدينا اجتماع في السابعة. ليعلم أحدكما ستايسي».

بينما سارت كيم مبتعدة عنهما، اتقدت غيظاً في داخلها بهدوء. الانتظار لم يكن نشاطاً تجيد القيام به.

الفصل الثلاثون

كانت الساعة قد قاربت منتصف الليل حين دخلت كيم المرآب. كان هذا الشارع العائلي هادئاً وقد خيّم عليه صمت هادئ. شغّلت الأيبوُد خاصّتها واختارت قطعة «عتمات» لشوبان. ستريحها معزوفات البيانو الصولو خلال ساعات الصّباح الباكرة إلى أن يطلب جسدها الراحة.

بعد مغادرتها مسرح الجريمة عادت إلى قسم الشرطة عاجزة عن القيام بشيء، بينما كان هناك احتمال بوجود جسد آخر ممدد تحت الأرض.

في نهاية الأمر استسلمت وعادت للمنزل. نظفت البيت بالمكنسة الكهربائية. ونظفت المطبخ بالمسحة، واستعملت نصف قارورة من «السيليت بانغ» لتنظيف الأسطح في المطبخ. أنهت دورتيّ الغسل، وجففت وكوت الملابس وعلّقها في خزانة الملابس.

كانت لا تزال هناك طاقة متوترة محتدمة بداخلها، وتموجت حول جسدها ما دفعها لإصلاح رف مكسور في الحمّام، ولإعادة تنظيم الأثاث في قاعة الاستقبال،ضافة إلى تنظيف وتهوية الخزانة التي تقع أعلى الدرج.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ربما كانت تحتاج إلى القيام ببعض التنظيف وحسب، فكّرت، متجّهة نحو غرفتها المفضلة في البيت كله.

على يسارها كانت دراجة «النينجا»، تشغل الفضاء، مُستعدة لمغامرتهما المقبلة.

للحظة تصورت كيم نفسها ممدّة فوق جسم دراجتها، صدرها ومعدتها فوق خزان الوقود، وساقاها متشبثتان حول الكرسي الجلدي، وهي تتمايل بالدراجة في سلسلة من اللفات الضيقة، ويفصل ركبتاها بالكاد إنش عن الأرض. التنسيق بين يديها وقدميها تعمل معاً للسيطرة على الدراجة أخذ كل أونصة من تركيزها، ومحا كل أمر آخر من ذهنها. كان ركوب دراجتها النارية شبيهاً بالسيطرة على حصان جامح. كانت المسألة مسألة سيطرة، ترويض مُتمرد.

ذات مرة قال براينت لكيم إنها تحبّ أن تواجه القدر. وقال إن القدر هو الذي جعلها جميلة، وقد حاربت هذا بعدم قيامها بأي شيء لتحسين مظهرها. قال إن القدر قرّر أنها لاتستطيع الطبخ، ومع ذلك جرّبت وصفات طبخ معقدة كل أسبوع. لكنها كانت تعرف أن القدر سبق أن قرّر أنها ستموت صغيرة، وقد حاربت هذا إلى حدّ بعيد. وانتصرت.

كان هناك أوقات تطاردها فيها الأقدار لتجعلَها ما كان يجب أن تكون عليه حين كان عمرها ست سنوات. إذاً، الآن، وككل مرة، اجتذبت إليها الأقدار السيّئة، كأنها كانت تحثها على الإمساك بها كلما عادت من جديد.

كان ترميم دراجة «الترايامف ثُنديربيرد» عملاً ناتجاً عن

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الحب، وفاء لشخصين حاولا جعلها تشعر بالأمان، حاولا أن يحبّاها. كان تجميع قطع «الثُنديربيرد» رحلة عاطفية طهّرت روحها.

في هذه الغرفة من البيت، كان التوتر، وتحدّيات يوم العمل قد انمحت من عضلاتها، تاركة إياها مسترخية ومسرورة. هنا لم يكن يتوجب عليها أن تكون المُحققة التي تحلّل، وتشرّح كل دليل، أو القائدة لفريقها تُوجهه وتحثه على الحصول على أفضل النتائج. هنا، ليست مجبرة على أن تبرهن قدرتها على أداء عمل كانت تحبّه بصدق، أو تحارب كي تخفي فقدانها إلى حدّ مؤلم لأسلوب التواصل الاجتماعي. هنا، كانت سعيدة.

وضعت ساقاً على ساق، وبدأت بتأمل القطع التي تطلب منها خمسة أشهر لتجميعها. « كانت قطع الترايامف موديل 93 ستتلاءم كلها معاً كي تُشكّل غلاف علبة» العمود المرفقي[1]. الآن كل ما يتوجب عليها فعله أن تتبيّن كيف تفعل هذا.

من خلال التحدّي الكامل لتجميع دراجة نارية كلاسيكية تشكلت مهام صغيرة على امتداد الطريق. كان صندوق العمود المرفقي قلبَ الآلة، وبالتالي لكي تبدأ بتركيبها فعلت كما كانت تفعل دائماً في لعبة «البازل»، بدأت بتجميع القطع المتشابهة معاً.

بعد عشرين دقيقة كانت كيم قد فصلت النوابض والأطواق الميكانيكية، والصمّامات، والأنابيب، والمكابس. فتحت الرسم البيانيّ الذي من الممكن أن يوجّهها عبر التحدّي. عادة، كان البيان يبرز

---

(1) العمود المرفقي، أو عمود الكرنك، جزء من المحرك يحول الحركة الخطية للمكبس إلى حركة دورانية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

من الورق مثل هيلوغرام ثلاثيّ الأبعاد. كان ذهنها قادراً على تبيّن نقطة الانطلاق الأكثر منطقيّة التي تبدأ منها البناء. لكن الليلة، ظلت الإرشادات مُجرّد أرقام، وأقواس، وأشكال مُشوشة.

بعد عشر دقائق قطّبت فيها كيم حاجبيها، ظلّت الورقة مثل كتابات روزيتا ستون[1].

اللعنة، مهما بذلت من جهد، عرفت كيم، أن هذه القضية سيكون تأثيرها فيها مُقلقاً. أنزلت ساقيها، ومالت متكّئة على الجدار. ربما كان بسبب كميّة الوقت التي قضتها في منطقة قريبة جداً من قبر ميكي؟ بالرغم من أنها كانت تأخذ زهوراً يانعة كل أسبوع،وتضعها على قبره، إلا أن كيم سجنت هذه الذكريات منذ كان عمرها ست سنوات.

كانت كيم مثل قنبلة متصلة بجهاز استشعار، لن يكون هناك أبداً وقت جيّد لفتح الرّزمة. كل طبيب نفسي أرسلوها إليه، حاول فتح ذلك الصندوق وفشل. وبالرغم من تأكيداتهم على حاجتها إلى التحدث عن الصّدمة التي تعرضت لها كي تتحسّن، فإنها قاومت. لأنهم كلهم كانوا مخطئين.

اعتبرت كيم، في السنوات القليلة التي تلت وفاة ميكي، مهنة العلاج النفسي أحجية لا حل لها. وبالنظر للوراء، كثيراً ما تساءلت كيف يمكن لأي طبيب جعل التوأم المتبقية على قيد الحياة تتكلم، في

(1) شاهدة صخرية تم اكتشافها سنة 1799 ومكتوب عليها النص نفسه بلغات قديمة، مثل الهيروغليفية واليونانية القديمة. المقصود هنا أن كيم بقدر جهلها قراءة معاني هذه الصخرة، فهي لم تعرف كيف تركّب القطع.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أسوأ قضية إهمال عرفتها البلاك كاونتري على الإطلاق. شكّت كيم في أنه لم تكن هناك من جائزة للقيام بإعادة تجميع قطع الطفل المتبقي.

كان الصّمت والعدائية أفضل أصدقائها. تحوّلت كيم إلى طفلة صعبة، وقد كان هذا هدفها. لم ترغب في أن تكون مُدلّلة، ومحبوبة، ومفهومة. لم ترغب في أن توطّد روابط مع والدين بالتبني، ولا مع أشقاء وهميين، أو مع من يقدّمون الرعاية نظير مقابل. أرادت أن تترك وحدَها، وحسب.

إلى أن التقت بالعائلة المُتبناة رقم أربعة.

كيث، وإريكا سبينسر كانا ثنائياً في منتصف العمر عندما بدآ التبني. وكانت كيم أول طفل يتبنيّاه، وقد كانت للمفارقة، آخر طفل يتبنيّاه أيضاً.

كان كلاهما أستاذاً، وسبق أن اختارا، عن قصد، عدم الإنجاب. وبدلاً من ذلك قضيا كل لحظة فراغ لديهما في السفر حول العالم على دراجتيهما النارية. بعد وفاة أحد أصدقائهما قرّرا أن الوقت قد حان للحدّ من السفر المتواصل، لكن شغفهما بالدراجات النارية ظلّ كما هو.

عندما انتقلت للعيش معهما كانت كيم البالغة من العمر عشر سنوات وقتها، مدجّجة بالمسامير، مستعدّة للهجوم المعتاد، والنقاشات الطويلة.

قضت أول ثلاثة أشهر في غرفتها، وهي تُطوّر من أساليبها في

الرفض، منتظرة تدخلهما. وعندما لم يحصل هذا، وجدت كيم نفسها تُجازف بنزول السلالم لفترات قصيرة، مثل حيوان يتأكد إن كان من الآمن الخروج من السّبات. ولو حصل أن تفاجأ أحدهما بتصرفها، فهو لم يظهر ذلك.

في واحدة من هذه الغزوات كانت شبه مهتمّة بالبحث عنهما، وجدت كايث في المرآب يعيد تركيب دراجة نارية.

في بداية الأمر جلست عند أبعد نقطة، تشاهده وحسب. ومن دون أن يلتفت، شرح لها كايث ما الذي كان يقوم به. لم تجبْه أبداً، لكنه واصل الحديث على كل حال.

كل يوم كانت كيم تقترب أكثر باتجاه مساحة عمله، إلى أن جلست في النهاية إلى جانبه على اليمين، بساقين متقاطعتين.إن كان كايث موجوداً في المرآب، فإن كيم ستكون هناك أيضاً..

تدريجيّاً، بدأت كيم بطرح الأسئلة حول ميكانيكا عمل الآلة، متشوّقة لفهم كيفية تجمع كل شيء معاً. كان كايث يُريها الرسوم البيانية ثم يبرهن بالتطبيق.

وغالباً ما كنت أيريكا تسحبهما من المرآب بالقوّة كي يتناولا آخرالوصفات اللذيذة التي طبختها من كتب الطبخ الكثيرة التي صُفت على رفوف المطبخ. كانت أيريكا تنظر إلى كيم بعيون تفيض بالمودّة، بينما واصلت كيم طرح الأسئلة، وبينما كانوا يتناولون الطعام كانت تنساب موسيقى عذبة من المجموعة الموسيقية الكلاسيكية التي تملكها أيريكا. عاشت كيم مع الزوجين مدة ثمانية عشر شهراً عندما

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

استدار كايث ناحيتها ذات يوم، وقال: «حسناً، لقد شاهدتني وأنا أقوم بهذا مرات عدة، هل تظنين أنه يمكنك أن تضعي تلك القطع بطريقة تتناسب مع بعضها بعضاً؟».

ابتعد عن طريقها وذهب ليجلب مشروبات من المطبخ. انطلاقاً من ذلك اليوم وُلد شغفها.

منغمسة في العملية، واصلت كيم تصنيف القطع المبعثرة على أرضية المرآب، مركّبة في نهاية الأمر بعض القطع الإضافية للدراجة النارية.

ضحكة خافتة جعلتها تلتفت. كانا واقفين في المدخل ينظران إليها. كانت عينا أيريكا دامعتين .

اقترب كايث واحتلّ مكانه إلى جانبها. «حسناً، أعتقد أنك ورثت جينات الذكاء مني، يا حلوة» قال وهو يلكز كيم بلطف في جنبها.

وبالرغم من أن هذا كان مستحيلاً، إلا أن الكلمات تسببت لها بغصة في حلقها عندما فكرت كم كان من الممكن أن تحظى، هي ومايكي بمصيرين أفضل.

أسبوعان قبل عيد ميلادها الثالث عشر، جلبت أمّها بالتبني إلى غرفتها شراب شوكولاتة ساخناً، ووضعته ببساطة إلى جانبها على المنضدة. وفي طريقها للخروج، تريّثت أيريكا عند الباب، ومن دون أن تلتفت، أمسكت بمقبض الباب وقالت:

«كيم، أنت تعرفين كم نحبك، أليس كذلك؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لم تنبس كيم بكلمة، لكنها حدّقت بشدّة في ظهر أيريكا.

«»لم نكن لنهتمّ أكثر لو كنت طفلنا البيولوجي، ولن نحاول تغييرك. نحن نحبّك على ما أنتِ عليه، حسناً».

ولأن الكلمات جعلتها تبكي، اكتفت كيم بالإيماء برأسها. من دون أن تدري، كان هذا الثنائيّ الخمسيني قد لمس قلبها، وقدّم لها الأسس الأولى للاستقرار الوحيد الذي عرفتُه على الإطلاق.

بعد يومين، مات كايث وأيريكا في حادث مرور على الطريق السريع.

لاحقاً، اكتشفت كيم أنهما كانا عائدين من موعد مع مستشار قانوني متخصص في قانون التبني. وبعد ساعة واحدة من الحادث أخذت كيم، وأعيدت إلى مركز الرعاية الاجتماعية، مثل طرد غير مرغوب فيه. لم يكن هناك أي احتفال لاستقبالها، ولا فرقة موسيقية للاحتفال بعودتها. لا علم لهم بفراغ ثلاث عشرة سنة من عمرها. هزة رأس من هنا، وأخرى من هناك، ووجدت آخر سرير فارغ بانتظارها.

مسحت كيم دمعة فرّت من عينيها، وانسابت على امتداد خدّها. كان هذا هو المشكل في رحلتها عندما تتذكّر أحداث ماضيها. كل ذكرى سعيدة تقودها إلى مأساة، وفقدان. وكان هذا السبب هو الذي يجعلها لا تعود لماضيها كثيراً.

نادتها رائحة القهوة المُتسرّبة من المطبخ. دفعت نفسها لتنهض، وأخذت كوبها لتملأه ثانية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بينما كانت تسكب القهوة في كوبها، تنقلت عينيها عبر المجموعة الضخمة لكتب الطبخ التي صفتها على رفوف مطبخها.

فجأة، تسرّبت من بين شفتيها الكلمات التي تأخرت إحدى وعشرين سنة.

«أيريكا، لقد أحببتكما أيضاً».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الحادي والثلاثون

ارتشفت نيكولا رشفة من شراب «سوثيرن كومفورت». عادة لم تكن تلمس الكحول عندما تعمل، لكنها الليلة لم تشعر بأنها على مايرام. كانت تستطيع أن تتحرك. لكن بدا كأن مفاصلها قد التصقت ببعضها بعضاً، وكأن عضلاتها قد حُقنت بالأسمنت..

كان المناخ في النادي مشحوناً. مجموعة من رجال البنك السويسريين حلّوا في المكان، ممتلئين بالحماس، وبالنقود. كانت الموسيقى تصدح في المكان، والضحك كان مُعدياً. كانت بقيّة الفتيات مشغولات بالاندماج مع المديرين، وابتساماتهن لطيفة ومنفتحة. كل العلامات كانت تدلّ على أنها ستكون ليلة ممتعة للجميع. كان ذلك النوع من المناخ الذي لا يتطلب الكثير من الجهد على الإطلاق.

كانت نيكولا تعرف أنها في صراع مع أختها. لقد بدأ الأمر بطريقة غير منطقية وتافهة، لا تستطيع حتى أن تتذكّرها، لكنه تطور ليصبح كتلة هائلة من التوتر.

وكما هو متوقع استعملت بيث ورقة التحسيس بالذنب، وهي تذكر كل ما حصلت عليه نيكولا، ولم تحصل هي عليه. وفي النهاية غادرت

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بيث الشقة في موجة غضب ولم تعد للبيت، عموماً، حين غادرت نيكولا لتذهب للعمل، لم تكن قد عادت.

وعلى الرغم من أن بيث كانت راشدة، وقادرة على الاعتناء بنفسها جيداً، إلا أن نيكولا عرفت أنها لا تزالُ الأخت الكبرى التي تحميها. وبالرغم من العداء بينهما إلا أنها كانت مشغولة البال عليها، ولم تستطع السيطرة على هذا الشعور.

«مرحباً، نيكولا، هل أنت بخير؟».

قفزت قليلاً. «أنا بخير لُو».

كان هذا لو صاحب النادي الذي كان مُصارعا سابقاً، الأمر الذي لم تخفِه البدلة التي يرتديها كل ليلة للعمل..

كان هذا محله، وقد أسّسه من الصفر. كانت لدى لُو رؤية في هذا النادي. كانت لديه ثلاثة مبادىء، التزم بها الجميع، الموظفون والزبائن: لاتعرّيَ، لا لمس، ولا قلّة احترام.

وبالنسبة إلى موظفيه، هناك قاعدة رابعة، لا مخدّرات. هو بنفسه اختار متابعة تطبيق المبادئ الثلاثة، وكتطبيق للمبدأ الرابع حرص على أن يجري الجميع اختباراً شهرياً لفحص المخدّرات.

وقد أسست مبادئه خطة عمله. لقد كان قيادياً حيث كان هو نفسه مثالاً يُحتذى. وما من فتاة عرفتها نيكولا قد انزعجت بحضور لُو.

«لا تبدين بخير الليلة، يا فتاة؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فكّرت في الكذب، لكن مديرها كان يعرفها جيداً.

«أنا شاردة الذهن قليلا فقط، لُو».

«هل تريدين أن تعملي عند البار؟».

حركت رأسها رافضة وتنهّدت. بصراحة لم تكن تعرف ما الذي تريد فعله.

أشار لها بأن تلحقه عبر الباب، خلف البار. وحين وصلا لهدوء الممر توقف عن المشي.

مرت بينهما ماري أيلين، عارضة أزياء سابقة من سان دييغو. انتظر لُو إلى أن ابتعدت ما يكفي كي لا تسمعهما.

«هل لهذا علاقة بأختك؟».

فتحت نيكولا فمها مندهشة. «كيف عرفت بشأن بيث؟».

نظر على امتداد الممر ثم قال:

«انظري، لم أكن أنوي قول شيء، لكنها كانت هنا في وقت سابق اليوم».

«شعرت نيكولا بأن فمها قد جفّ».

«كانت هنا؟».

أكد لُو بإيماءة. «طلبت أن أتركك تغادرين بحيث يمكنك أن تفعلي أمراً ذا معنى بحياتك».

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

«أوه، يا إلهي». همست نيكولا.

شعرت بتصاعد الحرارة إلى وجهها. لم يسبق لها في حياتها أن شعرت بأنها مُهانة هكذا.

«وما الذي قلته لها؟

قلت لها إنك فتاة كبيرة، وقادرة على اتخاذ قراراتك بنفسك».

«شكراً، لُو. أنا آسفة جداً. هل قالت أي شيء آخر؟».

«أجل، نادتني ببضعة أسماء، واتهمتني باستغلالك. شيء لم يسبق لي أن سمعته من قبل». قال هذا وهو يدير عينيه..

ابتسمت نيكولا «وما الذي قلته؟».

«شكرتها لتعليقاتها وسألتها إن كان هناك أمر آخر أستطيع مساعدتها بخصوصه».

ضحكت نيكولا بصوت مرتفع. عبرت ضحكتها عن الارتياح كأنها ترياق للتخلص من التوتر الذي تجمع في جسّدها.

وعلى الرغم من مزاجه الجيّد شعرت نيكولا بالخزي، لأن بيث جلبت مشكلاتهما الشخصية إلى مقر عملها.

«انظر، لُو. لست في مزاج حسن الليلة، ربّما سيكون من الأفضل أن أعود إلى البيت».

أومأ لُو متفهّماً. «دعيني أخبرك بأمر، بينكما أنتما الإثنتان، أنا سعيد لأنني حظيت بك أنت لأن أختك سيدة مزعجة».

«أعلم»، قالت نيكولا بهدوء، بينما فكّرت في داخلها، «ليس لديك فكرة كم هي مزعجة».

اتجهت نحو غرفة تغيير الملابس التي تقع في نهاية الممر.

«آه، ونيكولا»...

استدارت.

«انتبهي لنفسك. لديّ شعور بأنها حقاً متضايقة منك».

تنهّدت نيكولا بقوّة وكرّرت فكرتها السابقة.

حقاً ليس لديك أدنى فكرة.

الفصل الثاني والثلاثون

«حسناً، كِيفْ، أنت أولا». أمرت كيم.

سبق وأن قدمت تلخيصاً بخصوص مسرح جريمة اليوم السابق، وذكرت اكتشافهم ورقة شجرة الصنوبر التي تربط بين الجريمتين.

التزمت كيريس بكلمتها، وتلقت كيم الصور مباشرة بعد السادسة والنصف. كانت هناك صورة لإطلالة من الفضاء للموقع مثبتة على اللوح الأبيض.

وقف داوسون ورسم خطاً من موقع أول قبر حتى حافة الخريطة. «هذه هي الضحيّة رقم واحد. وعلى الرغم من أنه لا تحديد رسمياً للجنس، فنحن نؤمن من الملابس ومن استعادة الخرزات، بأن الجسد على الأرجح لأنثى، وبأنها مدفونة تحت الأرض منذ نحو عشر سنوات».

«تم اخراج الجسد الآن من الموقع وهو في المختبر مع كيتيس والدكتور بايت. وما هو مؤكد أنه قد جرى قطع رأسها».

«هذا فظيع». قالت ستايسي.

كان داوسون قد سجّل ملاحظات بينما كان يتكلّم.

انزعجت كيم من أن يظل العنوان «ضحية رقم واحد». لقد شكلت تلك العظام ذات يوم إنساناً. كان هناك عضلات وبشرة، وربما علامة ولادة. كان هناك وجه مع تعابير عليه. لم تكن هذه عظاماً وحسب. لقد قضت هذه الفتاة ما يكفي من حياتها مجهولة، وأثار غضب كيم أنها ما زالت من دون اسم.

تذكّرت كيم بوضوح، كيف تبيّنت بنفسها كم كان أطفال مراكز الرعاية غير مرئيين. عندما كان عمرها ثماني سنوات غامرت بالدخول للغرفة المُخصصة للملابس من أجل الحصول على غلاف وسادة نظيف. التقطت نظرتها قطعة من الورق معلقة على اللوح. كانت الورقة الأمامية والأوراق التي خلفها مخططات لغرف النوم السبع. كل سرير كان مرسوماً ومُرقماً، سرير واحد، سرير اثنين، سرير ثلاثة، مع صناديق سميكة تحتها. تساءلت لماذا لم يكن اسمها مُسجلاً بدلاً عن سرير 19؟

سريعاً ما أدركت كيم بأنه سيزعجهم كثيراً تسمية الأسرّة حسب اسم كل بنت. فمن تستعمل السرير تتغير، لكن موقع السرير لا يتغير. صعدت كيم على مقعد خشبيّ، ورفعت نفسها للأعلى كي تكتب اسم كل بنت بجانب كل سرير شغلته.

بعد يومين قامت بفحص سريع في حجرة الملابس. فحص كشف لها عن أوراق جديدة، أوراق نظيفة، سرير واحد، سرير اثنين، سرير ثلاثة.

فضاؤها، هويتها، مساحة أمانها الصغيرة مُحيت بسهولة. كان ذلك درساً لم تنسه على الإطلاق.

استعادت تركيزها مع داوسون الذي أشار للوح. «هنا اكتشفت الكتلة الثانية، تبعد نحو خمسين قدماً عن الأولى».

رسم خطاً حتى حافّة الخريطة، لكن علّمه بنجمة. كل جسدها انتفض لاستعماله كلمة «كتلة»، لكنها هدأت نفسها. حتى الآن، فعلياً لم يكن هناك أي جسد.

«شكراً، كيفْ. اليوم سيقوم فريق علماء الآثار باستقصاء كامل للموقع للتأكد من أنه لا يوجد هناك المزيد».

«هل تتوقعين المزيد من الأجساد، كيم؟».

ارتعشت كيم. لم تكن حقاً تملك أي فكرة.

«ستايس، هل وجدت طريقة تمكنك من مشاهدة الشريط؟».

«من الممكن أن يكون هذا الشريط قد استعمل للتسجيل الأصلي لفيلم ben hur. لقد تم استعمال هذا الشريط أكثر من مئة مرة. لديّ صديق قد يكون قادراً على تنظيف هذ الشريط قليلاً، ولكنه ليس من المسجلين في»...

«رغم ذلك أرسليه. كدليل إثبات هذا الشريط سيئ، لكنه ليس من دون فائدة، لأننا لن نستطيع أبداً أن نثبت أن موت ماري أندرواز كان حادثاً مُدبّراً. لكن من المُحتمل أن يعطينا هذا الشريط شيئاً ما».

وافقتها ستايسي بإيماءة وسجّلت ملاحظة. «لقد حصلت على تسجيلات لاتصالات تيريزا وايت الهاتفية، ولم أجد أية مكالمة مثيرة للاهتمام. وبالنسبة إلى البصمات لم نجد أي شيء في غرفتها ما عدا آثار حذاء، وقد تمّ المشي فوق هذه الآثار مرتين».

لقد تكبّد القاتل عناء المشي من جديد فوق خطاه الأولى كي يُربك أي أثر. كأن الضرر الذي قام به فريق الإطفاء لم يكن كافياً.

«نُفذت الجريمتان بذكاء، ومن دون صبر». لاحظت كيم.

«لماذا قلة الصبر؟»، سأل براينت.

«تمّ التسريع في اكتشاف جسد تيريزا وايت بفعل فاعل، بحيث وجدوها خلال ساعة من موتها. وكان من الممكن أن يموت طوم بمجرد شرب الويسكي لكن هذا لم يكن كافياً لرجلنا».

«يريدنا أن نعلم بأنه غاضب»، قال براينت مُفكّراً.

«بكل تأكيد لديه شيء ليقوله».

«حسناً، دعونا نقبض عليه قبل أن يقول هذا الأمر لشخص آخر». أضافت ستايسي، وهي تنقر بضعة مفاتيح على جهاز الكمبيوتر خاصّتها. «حسناً، بالمتابعة من النقطة التي وصل إليها بحث كيفّ، أستطيع التأكيد أن ريتشارد كروفت من كريستوود، هو نفسه قطعاً النائب المحافظ لبرومسجروف».

«يا للجحيم». قالت كيم. سيحب وُودي هذا. «وقد حصلتُ على عنوانه وعنوان الحارس الليلي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

عادت الطابعة إلى الحياة، والتقط براينت منها الورقة الوحيدة.

«أيضاً لديّ تحديث بخصوص البنات اللاتي كنّ في كريستوُود من جهات رسمية، لكن، وكي أكون صريحة أنا أحصل على معلومات أفضل من الفيسبوك حول من كنّ هناك في النهاية».

«استمرّي في هذا، ستايس، من الممكن أن يقدم لنا مساعدة مفيدة لتحديد هوية أول ضحية لدينا. من الممكن أن تتذكّر إحداهن الخرزات. بالنسبة إلينا، اليوم ركّزنا على الموظفين. لا يوجد أي شيء يوحي بأن الساكانات السابقات للمؤسسة كُن معرضّات لأي خطر.

«سبق وأن تحدثنا أنا وبراينت إلى ويليام بايني. لديه بنت من ذوات الاحتياجات الخاصّة. كان يحب عمله في كريستوود، لكنه لم يكن يلتقي ببقية الموظفين كثيراً. مؤخراً تعرض لمحاولة اقتحام، ونظراً لنظام الأمن الذي أمّن به منزله، لم يكن لهذا الاقتحام أي معنى. كيفَ، قم بزيارة استشارية له عندما تعود للموقع».

أعرب داوسون عن تفهمه.

نهضت كيم. « إذاً، نعرف كلنا ما الذي نحن بصدد القيام به؟»

اتجهت كيم إلى زاويتها الخاصّة لتلتقط سترتها.

«هيّا بنا، براينت. علينا أن نذهب للمختبر لنرى إن كان لدى الطبيب أي شيء آخر كي يخبرنا به».

تبعها براينت خارج الباب. «على رسلك، جوف، إنها بالكاد السابعة والنصف. امنحي الرجل فرصة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«سيكون هناك»، قالت وقد وصلت أسفل الدرج. أخذت نفساً عميقاً وهي تفتح الباب من جهة الراكب.

من يعرف بحق الجحيم ما الذي سيرفعونه اليوم من الأرض.

الفصل الثالث والثلاثون

عندما دخلت كيم للمشرحة، رمشت ثلاث مرات كي تضبط رؤيتها. كان الحمل الزائد للفولاذ المقاوم للصدأ مثل عشرات آلات التصوير التي التمعت مرة واحدة.

«هذا المكان يثير رعبي».

استدارت نحو براينت قائلة: «متى تحولت إلى مثل هذه الطفلة الصغيرة؟».

«كان الوضع هكذا دائماً، جُوف».

كان قد تم تحديث قسم علم الأمراض مؤخراً، وأصبح يتكون من أربعة أجزاء منفصلة وموزعة مثل جناح في مستشفى. وكانت كل مساحة مهيأة بمغسلة، وطاولة، وخزائن حائطية، وعلبة أدوات. بدت الكثير من الأدوات غير مُضرّة، ولم تكن شبيهة بالمقصّات والمباضع المستعملة في العمليات الجراحية الروتينية، لكن أدوات أخرى، مثل الإزميل المُخصّص للجماجم، والقاطعة المخصّصة للضلوع، بدت كأنها قد تم قطفها من مخيلة ويس كرافين×

×مخرج أفلام أمريكي مشهور بأفلام الرعب.

خلافاً للأجنحة في القسم الرئيسي للمستشفى، لا توجد ستائر تحيط بكل جزء من الأجزاء الأربعة. وعملاء هذا القسم من المستشفى لم يولوا أدنى اهتمام بمظاهر التواضع الزائف. فقد كانوا جثثاً.

كان الهيكل العظمي الذي تمت استعادته قد وُضع بطريقة متناسقة، وبدا بشكل ما أقل بؤساً مما كان يبدو عليه حين كان تحت الأرض. الآن أصبحت العظام موضوعة في بيئة معقّمة، حيث سيجرى التمحيص والتحليل والدراسة. كانت هذه إهانة من نوع آخر ستمر بها هذه الضحية.

كانت الطاولة طويلة، وأحاطت بها حافة على امتدادها ما يعطي الانطباع بطبق ديك رومي أكبر من المعتاد. شعرت كيم برغبة عارمة لتغطية العظام.

كان ضوء السقف موجهاً للأسفل إلى مستوى الكتف وذكّرها بالضوء الذي يستعمله طبيب الأسنان.

قاس الطبيب بايتي عظم الفخذ، ثم سجل القياس على الكمبيوتر.

«أحدهم كان مشغولاً».

«العصافير المبكّرة تمسك بالديدان، كما يقال. إلا إذا كنت عالمة متخصصة في الحشرات وهذا سيكون غريبا».

أجابته كيم: «أيها الطبيب، هل حاولت للتوّ أن تلقي نكتة؟ هل فعلت، أليس كذلك؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كان معطفه الطبيّ مفتوحاً، كاشفاً عن بنطال جينز باهت، وقميص ريجبي مخطط بالأخضر والأزرق.

«أيتها المحققة، هل تسخرين من كل شخص تلتقين به؟».

استدار ليواجهها بالكامل. «كيف حدث أنك ناجحة مع كونك فظة جداً، ومتعجرفة وبغيضة»...

«على رسلك أيها الطبيب. لديّ نقاط سيئة أيضاً. أخبره، براينت».

«إنها تملك»...

«إذاً، ما الذي يمكنك أن تخبرنا به عن ضحيّتنا هذا الصباح». قاطعته كيم.

حرك الطبيب رأسه بطريقة يائسة وابتعد. «حسناً، كبداية، ستكشف العظام غالباً حول حياة الضحية أكثر من كشفها عن مماتها. نستطيع أن نقدر كم عاشوا، الأمراض، جراح قديمة، الطول، البنية، إن كان هناك أية تشوهات.

السن عند الموت يتأثر بالتحلل. كلما كان الشخص أصغر، كلما كان تحلّله أسرع. مع الأطفال، عظامهم أصغر. وتحتوي على معادن أقل.

والعكس بالعكس، شخص سمين سيتحلّل أسرع بسبب الكمية الكبيرة من اللحم الموجودة التي ستغذي البكتيريا والديدان».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«رائع، الآن هل هناك أي أمر تستطيع إخبارنا به ويساعدنا فعليا؟».

ألقى الطبيب برأسه إلى الوراء وهو يقهقه.

«سأقول لكِ شيئاً، أيتها المحققة، أنتِ مثابرة».

لم تقل كيم شيئاً، وانتظرت بينما ارتدى نظارات بسيطة ومؤطرة بالأسود.

«لدينا كسران عند مشط القدم اليسرى. جرح يتسق أكثر مع لعب كرة القدم، لكن هذا لم يكن جرحاً قديماً. حيث لم يحدث أي التحام للعظام».

«هل من الممكن أن يكون ناتجاً عن ركل شيء ما؟». سأل براينت.

«من الممكن، لكن شخصاً طبيعياً كان ليركل بساقه اليمنى، إلا إذا كان مدرباً على استعمال الساقين الاثنتين بالتوازي».

رفع الطاولة أقرب للرأس.

«سبق وأن أريتكم الكسر عند مستوى الفقرات العنقية، إذاً، فنحن نعرف أن الضحيّة قد ضُرب رأسها في مرحلة ما. كان هجوماً متوحشاً، واللطمة التي قسمت العظم لم تكن الأولى».

أخذ عدسة مكبرة. «إذا ما نظرتما إلى C1 و C2 فستفهمان ما أعنيه».

«هل تريان؟».

أومأت كيم، وقد انتبهت لرائحة النعناع في أنفاسه.

«هنا، أمسكي بهذا»، قال لها، وهو يمرر لها العدسة المكبرة.

أدار بلطف الجسد قليلاً، بحيث تكون عظام الرقبة على جنبها. «الآن انظري إلى C2».

ثبّت الجسد في مكانه بينما أخفضت العدسة فوق المنطقة العلوية من عظام العنق الأقرب للجمجمة. مجدداً رأت نتوءاً واضحاً.

تراجعت كيم عندما شعرت بالغثيان بدأ يتكون في معدتها. «لكن الجرح الذي أريتني إياه بالأمس لم يكن على جانب العنق».

وافق الطبيب بإيماءة، ولثانية التقت نظراتهما في لحظة فهم.

«لم أفهم». قال براينت، وهو يميل على الطاولة كي يرى عن قرب أكثر.

«لقد كانت حيّة». تمتمت كيم. «كانت تتحرك عندما حاول أن يقتلع رأسها».

«اللقيط المختل»، زفر براينت بالكلمات وهو يهز رأسه.

«هل من الممكن أن يكون الجرح على مستوى القدم ناتجاً عن كونه داس على القدم كي يجعل الضحية أقل حركة؟».

قد يُفسّر هذا لماذا كانت الضحيّة تتلوى على الأرض، لكنها كانت عاجزة عن الابتعاد.

«هذا يبدو تفسيراً منطقياً».

«لا أستطيع تأكيد هذه النظرية، أيتها المحققة، في ظل غياب أي نسيج رخوي، لكنني أستطيع أن أشهد أنني لم أسجل أي سبب آخر واضح قد يكون السبب في الموت».

«كم ظلت من الوقت هناك في الأسفل».

«على أقل تقدير خمس سنوات، وعلى الأكثر اثنتي عشرة سنة».

أدارت كيم عينيها بانزعاج.

«انظري، إن كنت أستطيع أن أقدم لك يوماً وشهراً وسنة، لفعلت، لكن التحلل يتأثر بعوامل عدّة، الحرارة، محتويات التربة، العمر، الأمراض، العدوى. مثلك أريد أن أجد كل شخص مع صورة وتاريخه الطبيّ الكامل، وجواز سفره، وفاتورة ماء وكهرباء حديثة، لكن للأسف هذا ما حصلنا عليه».

كانت كيم هادئة أمام نوبة غضبه. «إذاً، ما الذي حصلنا عليه بالضبط، أيها الطبيب؟».

«تقديري المدروس هو أنه لدينا جسد لغير راشد، ليس أكبر من سن خمس عشرة سنة».

«تقدير مدروس؟ هل هذا مرادف علميّ لكلمة تخمين؟».

هزّ رأسه نافياً. «لا، قد أشهد أمام محكمة بهذا الاستنتاج. أما تخميني فهو كون الجسد يعود لأنثى».

احتارت كيم. «لكنك بالأمس، قلت»...

«لا يوجد منطق علميّ».

«هل هذا بسبب الخرزات؟».

أجاب: «جلبت كيريس هذا خلال الليلة الماضية».

حمل كيساً بلاستيكياً يحتوي على قطعة ثياب. حدّقت فيها عن قرب. كان فيها تصميم.

«إنه جزء من جورب. الصوف يتحلل أبطأ بكثير مقارنة ببقية الأقمشة».

«لكنني ما زلت لا»...

«تحت المنظار أستطيع أن أميز بقايا فراشة ورديّة».

«هذا كاف بالنسبة إلي»، قالت كيم وهي تستدير مغادرة المُختبر.

الفصل الرابع والثلاثون

لم تعجبني الفتاة منذ اللحظة التي رأيتها فيها. كان هناك شيء حيالها يبعث على الازدراء: كانت مثيرة للشفقة. وكانت بشعة.

كانت صغيرة الحجم. وقد بدت أصابع قدميها من ثقب في طرف حذائها. وأظهرت تنورتها المصنوعة من الجينز امتلاء فخذيها. حتى جذعها بدا أصغر بكثير مقارنة بأطرافها الطويلة التي تشكلت منه.

لقد كانت آخر فتاة توقعت أن تسبب لي مشكلاً. لقد كانت عديمة الأهميّة حتى أنني بالكاد أذكر اسمها.

لم تكن الأولى، ولا الأخيرة، لكن كان هناك شيء مريح في إنهاء بؤسها. كانت الفتاة التي لن يُحبها أحد أبداً والتي لم يحبها أحد على الإطلاق.

وُلدت لأم عمرها خمس عشرة سنة في مُقاطعة «هولي تري»، ولم تكن الأقدار لطيفة معها. بعد إنجابها لطفل ثان بعد خمس سنوات هربت الأم.

النبذ الأبوي حدث بعد ست سنوات عندما تخلّص منها الأب بوضعها في كريستوود مع كيس بلاستيكي يُستعمل عادة لإلقاء القمامة،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وتراكمت فيه حاجيات دُنيوية. لقد جعل الأمر واضحاً بأنه لن تكون هناك زيارات في عطل نهاية الأسبوع، أو أمل بالعودة. وقفت الفتاة عند مكتب الاستقبال، بينما كان والدها يسلمها، وكانت كبيرة بما يكفي لتفهم.

سار مبتعداً من دون عناق، من دون لمسة، أو وداع، لكنه في آخر دقيقة استدار وحدّق فيها بشدّة.

هل أملت، لدقيقة قصيرة في ندمه؟ هل أملت في شرح ما، هل أملت في تبرير يمكنها أن تفهمه؟ هل أملت في وعد بعودة أبيها، حتى لو كان هذا غير صحيح؟

عاد ناحيتها وسحبها على جنب.

«اصغ إليّ، أيتها الطفلة، الأمر الوحيد الذي أستطيع قوله لتوجيهك هو أن تحاولي بشدة مع الكتب لأنك لن تحصلي أبداً على رجل».

ثم غادر.

حامت حول قريناتها مثل ظل، متلهفة للتزلف، باحثة بيأس عن الحب، أو أي شيء يشبهه، ولو من بعيد.

معرفتها المحدودة بالحب أملت عليها أن الاهتمام الذي تلقته من بقية الفتيات يستوجب امتناناً من قبلها، امتناناً مثيراً للشفقة، وإخلاصا أبدياً نتج عنه تقديمها لهدايا من الطعام، أي شيء طلبته منها الفتاتان اللتان كانتا مقربتين منها. تعقبتهما مثل كلب وسمحتا لها بهذا.

من الممتع أن يُصبح للفتاة الأقل أهمية على سطح الأرض، نوع من الأهمية. الجميع ينظر إليها مستفسراً عن إجابات، وأنا سعيد لأنني منحتها تلك الهدية.

قالت لي ذات ليلة. «لديّ سر بخصوص ترايسي».

قلتُ «لديّ واحد أيضاً».

طلبت منها أن تلتقي بي عندما يكون الآخرون نياماً. قلت لها إن هذا سيكون سرّنا، وإنه لديّ مفاجأة لأجلها. أرانب عند البحيرة. لم تفشل هذه التقنية أبداً.

عند الواحدة صباحاً. شاهدت الباب الخلفيّ يُفتح. شعاع من الضوء أضاء الجسد النحيف من الخلف جاعلاً خيالها يبدو مثل شخصية كرتونية.

مشت على أطراف أصابعها باتجاهي. ابتسمتُ لنفسي.

لم تكن الفتاة تحدياً. كان يأسها في سبيل الحصول على الانتباه مُثيراً للاشمئزاز.

«لديّ شيء لأخبرك به». همست.

«هيا أخبريني»، قلتُ بلهفة، داخلاً في لعبتها.

«لا أظن أن ترايسي هربت».

«حقاً؟» سألتها، مدعياً أنني تفاجأت. لم يكن هذا بالخبر

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الجديد. لقد كانت الفتاة تخبر أي شخص لم يكن سريعاً بما يكفي ليفلت منها أنها لا تعتقد أن ترايسي هربت.

«انظر، ليست من نوع الأشخاص الذين يهربون، إضافة إلى أنها خلفت وراءها الأيبود خاصتها. وجدته أسفل سريرها».

لم يكن هذا ما توقعت منها قوله لكن اللعنة على هذا الأمر. كيف فاتني هذا؟ لقد اعتادت تلك البقرة الحمقاء أن تتركه دائماً يتدلى من أذنيها. من دون شك مسروق، حيث كان أكثر ممتلكاتها غلاء على قلبها.

«ما الذي فعلته به؟» سأل.

«إنه في خزانتي بحيث لن يسرقه أحد».

«هل ذكرتِ هذا الأمر لأي أحد آخر؟».

«لا أحد يهتم. كأنها لم تكن موجودة على الإطلاق».

بالطبع كان الأمر هكذا. وهكذا بالضبط أراده أن يكون.

لكن الآن يوجد الأيبود اللعين.

ابتسمتُ لها ابتسامة عريضة. «أنتِ فتاة ذكية جداً».

العتمة التي كانت تحيط بنا لم تخف احمرار وجنتيها.

ابتسمت، متلهفة للإرضاء، متلهفة أن تكون لها فائدة ما، متلهفة أن تكون لها أهمية.

«وهناك أمر آخر. لم تكن لتهرب لأنها كانت»...

«صه» قلتُ، واضعاً أصابعي على شفتيّ. اقتربت منها، متواطئاً، صديقاً. «أنتِ مُحقة. لم تهرب ترايسي بعيداً وأنا أعلم أين هي». وأشرتُ بيدي نحو الخارج. «هل تريدين أن تذهبي وتلتقي بها؟».

أمسكت يدي وأشارت برأسها موافقة.

قدتها على امتداد الأعشاب باتجاه أبعد ركن، باتجاه الجزء المظلم الأبعد عن المبنى والمحمي بالأشجار. مشت على يميني.

تعثرت داخل الحفرة وسقطت للخلف. أفلتُّ يدها.

بدا الارتباك على وجهها للحظة ثم رفعت يدها كحركة دفاع عندما خطوتُ داخل الحفرة.

بحثت عند الحافة عن رفشي لكن تعثرها أبعده من هناك.

تأخري منحها الوقت للنهوض لكنني كنت أحتاجها أن تكون ممددة على الأرض. قبضتُ على شعرها وسحبت رأسها إلى الخلف. بضعة إنشات فقط فصلت بين وجهينا.

جاهدت كي تتنفس بطريقة محمومة. رفعتُ الرفش في الهواء وأسقطته فوق قدمها. جعلها الألم تفقد الوعي. انتزعت الجورب من قدمها الأخرى وأدخلته في فمها.

سحبتُ جسدها إلى أن تمددت على طول قبرها. وقفت على جنب وألقيت بالرفش على الأرض. ضربتها على جانب عنقها. أعادها

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الألم إلى وعيها. حاولت الصراخ لكن لا صوت خرج من فمها المكمّم بالجورب.

لفت عيناها حول كل شيء حولها، في نظرة محمومة بالرعب. رفعت الرفش أعلى من قبل وضربتها به، بينما تلوت في الحفرة. هذه الضربة أدت مفعولاً أحسن. وصل أذنيّ صوت النصل.

كانت الفتاة محاربة. صارعت مرة أخرى. ضربتها بقوة في معدتها. بدأت بالاختناق. ضربتها مجدداً، مديراً إياها على ظهرها.

كثفت قوتي. كانت مسألة هدف. رفعت الرفش مرة أخرى وصوّبته نحو حلقها. اختفى النور من عينيها لكن نصفها السفلي انتفض.

ذكرني هذا بإسقاط شجرة. تم القطع وضربة أخرى ستجزها نهائياً.

ألقيتُ بالرفش من فوق. كان هناك صوتٌ لوقع المعدن على العظم.

ثم توقف الانتفاض. فجأة حلّ صمت.

لم تتركني عيناها بينما كنت أغطّيها. في الموت كانت جميلة تقريباً.

خرجتُ من القبر الذي لن ينتبه له أحد وسط الضرر الذي خلفه معرض السفر الذي أقيم مؤخراً.

كانت الفتاة دائماً متلهفة لتقديم المساعدة، متلهفة كي تكون مفيدة لأحدهم، متلهفة على أن يكون لها هدف. وها هي الآن حصلت عليه. دُست على الأعشاب وتراجعتُ للخلف.

ثم شكرتها لمحافظتها على سرّي.

وأخيراً، قامت بإنجاز أمر جيّد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخامس والثلاثون

«ما الذي تفكرين فيه؟»، سألها براينت عندما جلست على مقعد الركاب.

«بخصوص ماذا؟».

«الطبيب وخبيرة الآثار؟».

«يبدو هذا بداية نكتة سيئة».

«هيّا. تعلمين ما أقصده. هل تظنين أنهما»...

«ما مشكلتك بحق الجحيم». أجابته بنزق. «قبل نصف ساعة كنت تتصرف مثل طفلة صغيرة، والآن تتصرف مثل امرأة عجوز تحب النميمة».

«عجوز» كلمة تؤذي، غُوف».

«أفضل أن أراك تستعمل قوة عقلك المحدودة في القضيّة لا في الحياة الشخصية لزملائنا».

حرك براينت كتفيه بلامبالاة، ثم وجه السيارة باتجاه برومسجوف. كانت محطتهما التالية زيارة لريتشارد كروفت في مكتبه الذي يقع في الشارع الرئيسي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وبينما كانا يتوجهان إلى هناك عبر منطقة «لاي»، نظرت كيم خارج النافذة، عاجزة عن منع نفسها من تخيل صورة فتاة عمرها خمس عشرة سنة تتلوى على الأرض وهي تسحب قدمها المكسورة، محاولة الفرار من ضربة الموت للنصل. من الممكن أن أول محاولتين مرّتا عبر اللحم والغضروف والعضلة لتصلا للعظم لم تكونا قاتلتين.

أغمضت عينيها، محاولة تخيل الخوف الذي مرّ عبر جسد الطفلة. ظلت كيم تائهة في أفكارها حتى وصلا إلى ضواحي برومسجوف، وإلى الموقع الذي كان سابقاً مبنى بارنسلي هول.

افتُتح المصح العقلي سنة 1907 مع قدرة استيعاب تصل إلى 1200 كأقصى عدد، وكان بيت أمّها أيضاً على امتداد السبعينات، عندما خرجت هي للمجتمع وعمرها ثلاث وعشرون سنة. أجل، كانت هذه ذكرى جيدة، فكرت كيم بينما تجاوزا المبنى الحكومي الذي بني بدلاً من المستشفى الذي أغلق، وهُدم أواخر التسعينات.

كان هناك حزن كبير على الصعيد المحلي عندما تم هدم برج الماء المزخرف سنة 2000. كان الهيكل القوطي مُصمماً من قطع آجر حمراء، وحجر رملي ومن تراكوتا (الطين الناضج) علت المبنى. كان ذلك البرج آخر شيء يذكّر بالمستشفى الذي ساهم بقسوة في موت أخيها.

توجه براينت إلى موقف سيارات صغير يقع خلف متجر كبير للحيوانات الأليفة وركزت كيم على تجميع شتات نفسها.

سارا في طريق مختصر. حيث سارا عبر أنبوب مجار يقع بين

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

محلين واستقبلتهما رائحة أول دفعة خبز لذلك اليوم من من محل «غريج» للمعجنات.

تأوّه براينت.

«لا تفكر حتى في الموضوع». قالت كيم.

نظرت للمنازل من أعلى، ومن أسفل. «هذا هو» قالت، مشيرة إلى باب أحمر منتصب بين محل بطاقات ومحل للملابس مُخفضة السعر.

جهاز للاتصال كان مثبتاً مباشرة فوق لوحة الاسم. ضغطت كيم عليه. ردّ صوت نسائيّ.

«نود رؤية السيد كروفت».

«أنا آسفة، ليس متاحاً حالياً. لدينا مشوار»...

«نحن نحقق بخصوص جريمة، الآن من فضلك افتحي الباب».

لم تكن كيم مستعدة للقيام بأعمال الشرطة عبر جهاز إلكتروني.

سمعت صوت تصفير لطيف، ودفعت كيم الباب. كان هناك درجٌ ضيّق يقود إلى الطابق العلوي.

في الأعلى وجدت باباً من كل جهة. كان الباب الذي على يسارها مصنوعاً من الخشب الصّلب، والباب الذي على يسارها يحملُ أربعة مربّعات من الزجاج.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فتحت الباب الذي على يمينها.

ووجدت امرأة داخل الغرفة الصغيرة التي كانت من دون نوافذ. خمّنت كيم أنها في منتصف عشريناتها، بشعرها المسحوب إلى الخلف بإحكام، استطاعت كيم رؤية بعض التجاعيد.

أخرج براينت شارته وعرّف بهما.

بالرغم من صغره، بدا المكان مرتباً وعملياً. شغلت خزائن الملفات الجدار. بينما زيّنت روزنامة، وبضع شهادات الحائط المُقابل. وانبعث صوت الإذاعة الثانية من مكبرات الصوت الخاصة بالكمبيوتر.

«هل نستطيع التحدث إلى السيد كروفت؟».

«لا، أخشى أنه لا يمكنكما ذلك».

نظرت كيم خلفها للباب في الجانب الآخر. «إنه ليس هنا، لقد خرج للقيام ببعض المشاوير».

ماذا يحصل مع هؤلاء المُساعدات؟ لماذا يشعرن بالحاجة لحماية لرجال في متوسط أعمارهن؟ هل هناك دروس خاصة بهذا الأمر يأخذنها في الكلية؟

«المستشار كروفت يقضي ساعات كثيرة يزور فيها ناخبيه في منازلهم».

خطر ببال كيم وصف «الجمهور الأسير»، كما تصورت كروفت وهو يرفض المغادرة حتى يحصل على وعد بتصويتهم.

«نحن نحاول التحقيق في جريمة قتل إذاً»...

«أنا متاكدة أنه يمكنني أن أجد وقتاً مناسباً لموعد». قالت وهي تمسك بمفكرة مقاس A4.

«مارأيك في أن تتصلي به فحسب، وتعلميه أننا هنا. سننتظره».

لعبت المرأة بلؤلؤة العقد الذي كان حول عنقها.

«لا يمكن إزعاجه بينما هو مشغول، وبالتالي إذا تودّين القيام بـ»..

«لا، لا أرغب في القيام بالشيء اللعين»...

«نتفهم أن المستشار رجل مشغول». قال براينت بلطف، وهو يلكز كيم. كان صوته خافتاً ودافئاً، مع نبرة تفهم. «لكن لدينا تحقيق بخصوص جريمة قتل يجب أن نقوم به. هل أنت متأكدة أنه ليس لديه وقت شاغر اليوم؟».

نقرت مساعدة كروفت على اليوم نفسه، لكنها هزت رأسها نافية. تابع براينت عينيها على المفكرة.

«صدقاً لا أستطيع أن أجد لكم وقتاً مناسباً حتى صباح الخميس عند»...

«هل تمزحين؟» قاطعتها كيم بصوت مرتفع.

«سنأخذ أي موعد لديك».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«التاسعة وربع، أيها المحقق».

وافق برباينت بإيماءة وابتسم. «شكراً لمساعدتك».

استدار برباينت وقاد كيم خارج الباب. حال خروجهما، استدارت كيم نحوه واستشاطت غضباً: «صباح الخميس، برباينت؟».

«طبعاً لا. كان مسجلاً في مفكرته أنه يعمل من المنزل طيلة المساء، ونحن نعرف أين يسكن».

«جيد». قالت، راضية.

«هل تعرفين، جوف، لا يمكنك دائماً أن تتنمّري على الناس كي تحصلي على ما تريدين».

لم تؤيده كيم الرأي. لقد نجحت هذه التقنية معها كثيراً.

«هل سبق أن سمعت بكتاب عنوانه كيف تكسب أصدقاء وتؤثر في الناس؟».

«هل سبق أن شاهدت one flew over the cukoo`s nest؟ لأنه كان هناك الممرضة رايتشيد في الفيلم».

ضحك برباينت عالياً. «أنا أقول فحسب، إن هناك أكثر من طريقة لسلخ قطّة».

«ولهذا أنت لديّ» قالت، متوقفة خارج مقهى. « لاتيه مضاعفة لي» قالت وهي تدفع الباب.

بالرغم من تنبيه براينت، لم تمتلك مطلقاً القدرة على جعل تصرفاتها تتلاءم مع الناس الآخرين. حتى حين كانت كيم طفلة كانت غير قادرة على الانضمام إلى أيّ نوع من الجماعات. لم تملك أيّ قدرة على إخفاء مشاعرها، اعتادت ردود فعلها الفطريّة أن تبدو على وجهها قبل أن تحظى بفرصة السيطرة عليها.

«هل تعرفين، يكون كل ما ترغبين فيه مجرد كوب من القهوة». تأوه براينت، وهو يضع الكوبين فوق الطاولة. «لديهم خيارات أكثر من مطعم صيني. على ما يبدو هذا أمريكي».

أحياناً يبدو لها كأن براينت خرج من كبسولة الزمن القادمة من أواخر الثمانينات.

«أيّ قضية بالنسبة إلي عبارة عن وجبة من ثلاثة أطباق. الجزء الأول مثل المقبلات. تقبلين عليه لأنك جائعة. هناك شهود، مسرح جريمة، بالتالي أنت متخمة بالمعلومات. ثم يأتي الطبق الرئيسي، ولنقل إنه مشاوٍ مختلطة. عليك أن تعرفي ما هو المهم. يوجد الكثير من الطعام، الكثير من المعلومات. إذاً، هل تختارين كل اللحم وتتركين الطعام الجانبي، أو تتخلّين عن النقانق بحيث يظل لديك مساحة لأجل التحلية؟».

«الآن، أغلبية الناس سيتفقون على أن حلوى البودينغ هي أفضل جزء، لأنه حين يتم إحضارها تكون الوجبة كاملة، وتكون الشهيّة في حالة رضا».

«هذه أكبر كمية من الـ»... قالت كيم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لكن براينت قاطعها. « آه، لكن انظري أين نحن. لقد أكلنا المقبّلات ولدينا الآن خطان للتحقيق. ونحن نحاول أن نعرف أيّ اتجاه يتوجب علينا أن نتبعه للحصول على التحلية».

أخذت كيم رشفة من قهوتها. كان برواينت يحب تشبيه الأشياء ببعضها بعضاً، والآن ومن جديد اختارت أن تنغمس في لعبته.

«الآن، سيكون للطبق الرئيسي معنى أكثر إن توقف بسبب ثرثرة الأمعاء».

ابتسمت كيم. لقد عملا معاً حقاً لمدة طويلة جداً.

«إذاً، هيّا، اضربيني بالنتيجة. ماذا كانت هذه الثرثرة؟».

«ماذا كانت نظريتنا الأولى؟».

«تتمثل نظريتنا الأولى في كون تيريزا وايت قُتلت بسبب ضغينة شخصية».

«ثمّ؟».

«بعد قتل طوم كورتيس ارتبنا في أنه شخص له علاقة بكريستوود».

«موت ماري أندروز؟».

«لم يغيّر حقاً تفكيرنا».

«اكتشاف جسد تحت الأرض؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«يقودنا للإيمان بأن هناك شخصاً ما يحاول تصفية ناس متورطين في جرائم وقعت منذ عشر سنوات».

«إذاً، للتلخيص، فإن نظريتنا أن الشخص الذي قتل فتاتنا الصغيرة هو الشخص الذي يقتل الموظفين كي لا يتم القبض عليهم بسبب جريمتهم الأصلية؟».

«طبعاً»، قال براينت، بصوت قاطع.

«أعتقد أنه كان أينشتاين من قال، إذا كانت الحقائق لا تتلاءم مع النظرية، غيّر الحقائق».

«ماذا؟».

«إن الشخص الذي قتل ضحيّتنا المدفونة كان متعمداً ومنهجياً. لقد خطط للقتل والتخلص من جثة واحدة على الأقل، من دون أن يتم القبض عليه. لم يترك أيّ دليل، وكان من الممكن أن تظلّ الجريمة غير مكشوفة، لولا مثابرة البروفيسور ميلتون».

«نمرّ سريعاً إلى طوم كورتيس. تم إنجاز العمل من خلال الكحول، لكن هذا لم يكن كافياً. كان هناك رسالة عالية وواضحة بأن هذا الرجل يستحق أن يموت».

ابتلع براينت ريقه. «جوف، لا تقولي لي إن حدسك يقول ما أظن أنه يقول؟».

«وما هو هذا؟».

«إننا نبحث عن أكثر من قاتل؟».

شربت كيم رشفة من قهوتها اللاتيه. «ما أعتقده، براينت، هو أننا سنحتاج إلى صحن أكبر».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السادس والثلاثون

«هل أنت متأكد أنها قالت إنه سيكون هنا؟». سألت كيم.

«أجل، هذا هو المكان، «ذي بول أند بلايدير» مشهور بكونه ثاني حانة على امتداد ذي ديلف ران».

يتكون «ذي ديلف ران» من ست حانات تناثرت على طول طريق «ذي ديلف». وكان قد شاع طقس مرور مجموعات من الرجال، ومؤخراً مجموعات من النساء، يمرون من باب مشرب إلى آخر، مستهلكين الكحول بقدر ما يمكن أن تحتويه أجسادهم اليافعة. وما من رجل يحترم نفسه فوق سن الثامنة عشرة ويقطن ضمن دائرة شعاعها ميلان، لن يعترف بأنه لم يقم بغزو «ذي ديلف ران».

طرق برواينت على باب منزل آرثر كونوب، حيث أعلمته زوجته اللامبالية أين يمكن إيجاد زوجها.

كان «ذي بول أند بلايدير» بناية ذات ثلاث نوافذ، مُؤثث بخشب الماهوجني ولونه من الخارج كلون الخردل.

«عند الحادية عشرة ونصف؟». سألت كيم.

كان الباب الخارجي يقود إلى ممر صغير مظلم. وعلى يسارها

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مباشرة البار. وعلى امتداد الجدار نفسه هناك أبواب للحمامات. تلاءمت الأبواب مع الخشب الداكن نوافذ وجعلت المكان الصغير خانقاً. وكانت رائحة البيرة أفظع من أقوى مسارح الجريمة التي شهدتها كيم على الإطلاق.

فتح برانيت الباب الذي يقود إلى البار على اليمين. لم تكن الغرفة مضاءة أكثر من الممر. وشغلت مقصورة ثابتة المحيط الكامل للجدار. كان تنجيد الأثاث مبقعاً وقذراً. والطاولات الخشبية مستقرة أمام المشرب محاطة بمجموعة من الكراسي.

في الزاوية اليمنى كان هناك جريدة ونصف قنينة بيرة.

اقترب برانيت من المشرب، وتحدث إلى امرأة في أوائل خمسيناتها كانت تجفف الكؤوس بواسطة فوطة مشكوك في أمرها.

«آرثر كونوب؟». سأل.

أومات برأسها باتجاه الباب. «في الحمام».

في اللحظة نفسها انفتح الباب، ودخل رجل لا يتجاوز طوله خمس أقدام، وهو يضبط الحزام في بنطاله.

«شطيرة جبن، مُورين». قال، ومشى مباشرة بينهما.

رفعت مورين غطاء بلاستيكياً مخدوشاً، متفحّصة محتواه، ثم وضعته على المشرب.

«وبيرة»، وهو يختلس النظر باتجاههما. «يمكن للشرطيين أن يحصلا على شراب».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

سكبت مورين الشراب ووضعته على المشرب. عدّ آرثر الفكّة ووضع المال في صحن.

«لا شيء بالنسبة إلينا، شكراً». قال برواينت، وقد كانت كيم ممتنة بصدق لذلك.

حشر آرثر نفسه بين الطاولة والمشرب وجلس.

«ما الذي تريدانه؟ سأل بينما جلس كل واحد منهما على مقعد من الناحية الأخرى للطاولة.

«هل كنت تتوقع قدومنا، سيد كونوب؟».

حرك عينيه بقلة صبر. «تقومان بالتنقيب في مكان كنت أعمل فيه. والزملاء الذين كانوا يعملون معي قتلوا بالتالي لن يطول الوقت حتى تقدموا للبحث عني».

أزال الغطاء الشفاف عن الشطيرة التي كان من الواضح أنها كانت الطعام الوحيد الصالح للتقديم. على الفور وصلت رائحة البصل إلى كيم. وقعت قطعة صغيرة من الجبن المبشور على الطاولة. لحس آرثر إبهامه، لمس الطاولة ليستعيد الجبن، ثم أكله من فوق إصبعه.

خمنت كيم أن هؤلاء اليدين لم يتم غسلهما بعد رحلتهاالأخيرة من الحمام، وفجأة وجدت نفسها تقاومُ شعوراً بالغثيان.

ضرب براينت ركبتها من تحت الطاولة. كان من الواضح أنه تمنى أن يقود هذه المحادثة، وقد كانت أكثر من سعيدة بأن تتركها له.

«سيد كُونوب، نتابع قضية في هذه الفترة. هل تظن أنه يمكنك مساعدتنا بهذا الخصوص؟».

«إذا أردت. فقط كن سريعاً واتركني في سلام».

شعرت كيم برغبة في أن تريه الصور التي التقطتها بجوالها، لكنها تذكرت في الوقت المناسب ملاحظة ثمينة قدمها لو وُودي. إذا كنت لا تستطيعين أن تلعبي جيداً... اتركي براينت يقوم بهذا.

كانت بشرة كونوب خريطة طريق لشعيرات دموية متفجرة، وتميزت بشحوب الذين قضوا حياتهم كلها في الشرب. كان بياض عينيه قد أصبح بلون اليرقان. وكان شعره أبيض، والتجاعيد على جبينه لم تشر إلى منصب مريح، وقياساً ومن عمق تجاعيده خمّنت كيم أن هذا الرجل قد وُلد عصبياً.

استعمل يديه الاثنتين كي يمسك بالشطيرة التي رفعها إلى فمه، ماضغاً الطعام بصخب. كان من الواضح أنه متعدّد المهام، حيث تكلم في الوقت نفسه وهو يمضغ. هيّا، اطرح أسئلتك واذهب للجحيم.

اختارت كيم أن تنظر بعيداً، بينما حوّل فمه الطعام إلى هريس امتزج فيه الجبن والخبز.

«ما الذي يمكنك أن تخبرنا به حول تيريزا وايت؟».

أخذ جرعة من البيرة.

جعّد أنفه. «لقد كانت متغطرسة وبالكاد تعاملتُ معها».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كيف كانت علاقتها بالفتيات؟».

«لم تكن فعلياً لديها علاقة بهن. يوماً بعد يوم لم تهتم بأمرهن. كي أكون صريحاً، أعتقد أن الأمر بالنسبة إليها كان كما لو كان المكان مملوءاً بحمولة من حيوانات المزرعة. كان لديها مزاج حاد حسب ما سمعت، لكن ما عدا هذا لا يوجد أي أمر يمكنني قوله».

«ماذا بخصوص ريتشارد كروفت؟».

«أحمق وسخيف». قال وهو يرتشف جرعة أخرى.

«هل كان حريصاً على العمل؟».

« ليس فعلياً. إذا ما ظلّ حياً يرزق عندما تصلان إليه، ستريان ما أقصده».

«هل كان معنياً أكثر بالفتيات؟».

«أنت تمزح أليس كذلك؟ لم يخرج من مكتبه ما يكفي ليتحدث مع أيٍّ واحدة منهن. تلخص عمله في الميزانيات والمتنوعات. وقد تحدث كثيراً عن القيام بترقيم المقاعد ومؤشرات الأداء، وكل هذه الوسائل التي لم تكن لتعني أي شيء للرجل الحاذق.

نقر آرثر أنفه. «لقد كان يرتدي دائماً ملابس أعلى من مستواه الوظيفيّ، ذلك الرجل».

«هل تعني أنه كان يرتدي ملابس جميلة؟».

«أقصد أنه ارتدى كل شيء جميل. بدلات، قمصان، أحذية، ربطات عنق. لم يكن يشتري كل هذا بمرتب موظفي اجتماعي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لهذا لم يكن يعجبك؟» سألت كيم.

نخر آرثر متذمراً :»لم يكن يعجبني لمليون سبب، لكن هذا لم يكن واحداً بينها». تجعّد وجهه بالاشمئزاز «خسيس ولقيط، خبيث. متكبّر وكتوم و»...

«بخصو ماذا؟» سأل برواينت.

حرك آرثر كتفيه باستهجان. «لا أعلم. لكن لماذا يحتاج رجل لجهازيْ كمبيوتر على مكتبه؟ هذا أمر يفوق فهمي. وكان ريتشارد دائماً يخفض شاشة الكمبيوتر الأصغر كلما دخلت إلى مكتبه. لا أعلم لماذا».

«هل عرفت طوم كورتيس؟».

أومأ آرثر برأسه موافقاً، بينما كان آخر جزء من الشطيرة يُهرس في فمه. «لم يكن شخصاً سيئاً. شاب ووسيم. كان أكثر واحد توجب عليه التعامل مع الفتيات. «حولوني إلى ساندويتش إن كان قد فاتهم تناول عشاء، ذلك النوع من المهام. كان شجاعا فيها».

«شجاعاً في ماذا؟»، سألت كيم.

«في التواجد في كريستوود، بالطبع. هذا هو الأمر، انظري. كل شخص كان هناك لأسبابه الخاصة. كان ذلك المكان انطلاقة جديدة لأي شخص أراد الحصول على واحدة. ما عدا ماري. كانت ملح الأرض، تلك المرأة».

استدارت كيم لثانية، مفكّرة في الاتهامات التي يمكن توجيهها

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

إلى هذه المجموعة من الناس الذين في أحسن الأحوال، لم يقدموا أيّ دفء، أو توجيه، أو رعاية حقيقية والأسوأ، أنهم قاموا بأمور أسوأ بكثير.

«هل عرفت ويليام بايني؟» سأل براينت.

قهقه آرثر. لم يكن صوت ضحكته لطيفاً. استدارت كيم، وحدّقت عن قرب في الرجل. كان تأثير الكحول قد بدأ يجعله يرتخي. كان تركيزه أخف، وقد أخذ جرعة جيدة أخرى من البيرة، منهياً زجاجته.

نهضت كيم وذهبت للبار. «كم واحدة شرب؟». سألت مُورين.

«ويسكي مُزدوج، وتلك بيرته الرابعة».

«هذا هو العادي بالنسبة إليه؟».

أومأت مُورين أنّ نعم، بينما كانت تملأ إناء بالمكسّرات المملّحة للاستعمال العام. لم تكن كيم لتأكل حبّة واحدة حتى لو كان AK47 مُصوباً إلى رأسها.

استدارت مُورين، وألقت بالكيس الفارغ في سلّة القمامة. «فور إنهائه تلك الزجاجة، سيطلب واحدة أخرى، وسأرفض. سينادينى بأسماء كريهة، ثم سيترنّح عائداً إلى بيته لينام قبل أن يعود مجدداً الليلة».

«الروتين نفسه كل يوم؟».

«أجل».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«يا الهي».

«لا تتأسفي كثيراً لأجله، أيتها المحققة. إذا ما كان لديك أي شفقة احتياطية، امنحيها لزوجته».

«إن آرثر رجل عجوز بائس، وقد كان ضحيّة طيلة الفترة التي عرفته بها. إنه ليس ذلك الجدّ المُدلّل، وهو شخص بغيض، سواء كان صاحياً أو سكرانا».

ابتسمت كيم لصراحة المرأة. وخلال الوقت الذي عادت لتجلس فيه، كان نصف الزجاجة قد اختفى.

«أجل، هذا اللعين بيلي، بيلي ذاك. الجميع كان يتراجع أمام بيلي. فقط لأنه كان لديه بنت مشلولة».

شعرت كيم بزمجرة تتصاعد عبر حلقها. حرّك براينت رأسه صوبها، فأرختْ كيم قبضتيها. لن ينتج أي شيء جيد، ألقتها له على الأرض. لن يتغير أبداً.

«أجل، لنعتني ببيلي. لنمنحه كل الأعمال السهلة، ونترك كل الخراء لآرثر. لنسمح لبيلي بأن يعمل في أي ساعات يريد، وآرثر يستطيع أن يحصل على البقية. كلنا لدينا مشكلاتنا اللعينة، لو كان قد حشر ابنته في منزل لم نكن أبداً لـ»...

مالت كيم للأمام، قريبة بما يكفي لترى آخر ومضة من الوضوح في عينيه.

«أبداً ماذا، سيد كُونوب؟» حثه براينت على الكلام.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

هزّ رأسه، ودارت عيناه، لكنه وجد كأسه أخيراً. رفعه إلى فمه وأنهاه.

رفع الكأس عالياً. «كأس آخر، مورين؟». صرخ.

«لقد حصلت على ما يكفي، آرثر».

«أيتها الساقطة الحقيرة»، قال مغمغماً، وهو يلطخ الكأس على الطاولة.

وقف، وتمايل.

«آرثر، ما الذي كنت ستقوله؟».

«لا شيء، اغرب عن وجهي واتركني وحدي. تأخرتم كثيراً».

تبعته كيم خارج المبنى، وأمسكت بذراعه. كان تسامحها إزاء هذا الرجل العجوز اللاذع قد نفد.

تكلّمت كيم بصوت مرتفع بينما اشتغلت سيارة بالقرب منهما.

«اسمع، أنت تعلم بأن ثلاثة موظفين سابقين ماتوا خلال آخر أسبوعين. على الأقل اثنان منهم قُتلا، وما لم تخبرنا بما تعرفه فعلى الأرجح ستكون أنت التالي».

حدّق فيها بنظرة ناقضت مستوى الكحول الذي انساب في جسده.

«دعيهم يأتوا، حبّاً بالله. سيكون هذا راحة، مرحباً بها».

سحب ذراعه من قبضتها، وتعثر على الطريق. تمايل باتجاه سيارة مركونة، ثم نحو الحائط، مثل كرة.

«هذا ليس جيداً، جُوف. لن يخبرنا بأيّ شيء في هذه الحالة. ربما يجدر بنا أن نزوره لاحقاً بعدما يكون قد نام وتخلّص من تأثير الكحول».

وافقته كيم واستدارت. توجّها عائدين نحو السيارة المركونة عند الزاوية تماماً.

مكتبة الرمحي أحمد

وبينما كانت كيم تفتح الباب، ضجّ الهواء بدويٍّ، تلته صرخة حادّة.

«ما كان هذا بحق الجحيم؟»... صرخ براينت.

على عكس براينت، لم تحتج كيم أن تسأل، واستدارت، وبدأت تركض عائدة باتجاه الحانة.

في داخلها، سبق أن عرفت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السابع والثلاثون

خلال ثوان أصبحت كيم بجانب آرثر كونوب المُتكوّم على الأرض.

«ابتعدوا»، صرخت.

خطا ثلاثة أشخاص على جنب، ووقف براينت بينها وبين هيكل الجسم الذي كان على الأرض.

قبل أن تحول انتباهها للضحية، أومأت كيم لليافعين الذين كانوا عبر الشارع يصوّبون هاتفاً جوالاً صوبهم.

انطلق براينت عبر الشارع، ومن دون حمايته بدأ الحشد بالتجمع من حولها من جديد.

«أيها الناس، تراجعوا الآن»، صرخت، بينما كانت تُعاين الضرر.

كانت ساق كونوب اليسرى عالقة في المزراب بزاوية غير طبيعية. انحنت كيم ووضعت إصبعين على عنقه، الأمر الذي أخبرها بالضبط ما سبق وتوقعته. لقد مات.

ثمة امرأة شابة كانت تدفع عربة أطفال، سبق أن طلبت سيارة إسعاف.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

استدار براينت ونظر إليها «جوف، هل تريدين مني أن»...

«احصل على تفاصيل»، قالت. لم تكن تتوقع أن يقوم فريقها بأي أمر لم تكن هي جاهزة للقيام به. وقد كانت متدربة. اللعنة.

ركعت على الأرض بينما استدار برواينت للشهود وحاول أن يبعدهم عن المنطقة.

أدارته على ظهره بحذر شديد. كان وجهه منقّطاً بواسطة حصاة من الطريق. وعيناه تحدقان في الفراغ، عالياً نحو السماء.

سمعت لهاث أحد الشهود، لكنها لم تكن تملك أيّ وقت للقلق بخصوص حساسية المتفرجين. إنها الطبيعة الإنسانية التي تحب التحديق في أشياء يمكن لاحقاً أن تتسبّب بكوابيس. لكن الآن كانت أولويتها آرثر كونوب. أرجعت رأسه إلى الخلف بلطف مستعملة إصبعين تحت ذقنه.

لم يكن سحاب سترته مثبتاً فمزقت قميصه. وضعت ظهر يدها اليمنى على منتصف صدره ووضعت يدها اليسرى فوق الكل، شابكة أصابعها. ضغطت بحدة على امتداد نحو ستة سنتيمترات. قامت بالعد حتى الثلاثين ثم توقفت.

تحركت نحو رأس آرث وبيدها اليُسرى أغلقت أنفه. ألصقت شفتيها فوق فمه ونفخت بانتظام.

نظرت إلى صدره الذي ارتفع نتيجة التنفس الاصطناعي. كررت العملية ثم عادت للقيام بالضغط.

كانت تعرف أن الإسعافات الأولية تُستعمل في المقام الأول للحفاظ على أداء العقل سليماً، حتى يمكن اتخاذ المزيد من التدابير لاستعادة عفوية الدورة الدموية، والتنفس. لم تفقد كيم سخريّتها، لقد كانت تحاول الحفاظ على عقل قضى صاحبه سنوات محاولاً تحطيمه.

توقفت ولولة صفارات سيارات الشرطة في مكان ما خلفها. تمثلت أولويّتهم في إغلاق الطريق للحفاظ على الأدلة. البقية سيهتمون بطرح الأسئلة على الشهود.

كانت واعية بالنشاط الذي يدور من فوقها وحولها، لكن تركيزها ظلّ مع الوجه الذي كان من دون حياة تحت يديها.

أحاط بها نشاز مجموعة من الأصوات، لكن صوتاً واحداً مرّ خلال تركيزها.

«جوف، هل أتولى عنك الأمر؟».

هزّت كيم رأسها من دون أن تنظر إلى أعلى. توقفت عن القيام بالضغط، كانت متأكدة أنها قد رأت الصدر يتحرك بمشيئته.

حدّقت بشدّة. لقد ارتفع صدره مرة أخرى. كان النور يعود إلى عينيه، وتسرّب تأوه حلقيّ خافت من بين شفتيه.

تراجعت كيم لتجلس على الطريق، وقد كانت ذراعاها مرهقتين من شدّة التعب.

نظر آرثر كونوب مباشرة إليها. رأت للحظة في نظرته أنه

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تعرف إليها، كما رأت وميض فهم، بينما كان الألم يعبر جسده عبر الأعصاب، باتجاه عقله.

تأوّه مرة أخرى، وتشوّهت ملامحه بتكشيرة.

وضعت كيم يدها على صدره «استرخِ، ستكون سيّارة الإسعاف هنا قريبا».

التقت نظراتهما، بينما سمعت هي صفارة أخرى على مسافة قريبة.

«انتهى». قال لاهثاً.

أحنت كيم رأسها ، «ما الذي انتهى، آرثر؟».

ابتلع ريقه وحرك رأسه من جانب إلى آخر. جعله الجهد يتأوّه مرة أخرى.

سمعتْ اقتراب خطوات المُسعفين.

«ما الذي قلتَه؟»

«إنهي الأمر». تمكّن من القول.

نظرت إلى عينيه، ورأت الضوء ينسحب منهما مرة أخرى.

ذراعاها المُتألمتان تحركتا باتجاه صدره، لكنها شعرت بأنها قد أبعِدت.

زيّان أخضران حجبا الرؤية عنها. تحسّس الرجل نبض آرثر.

وبدأت المرأة بالقيام بالضغط، بينما بدأ الرجل بإخراج المعدّات من حقيبته.

أمسك براينت بذراعها وقادها بعيداً.

«إنه الآن بين أياد جيدة، جُوفْ».

نظرت إلى الخلف، بينما كان المُسعف يُركّبُ الدوائر الخاصة بجهاز تحفيز التنفس على صدر آرثر كونوب.

حرّكت رأسها نافية، «لا، لقد مات».

«ما الذي قاله؟».

«طلب مني أن أنهي الأمر».

استندت إلى الحائط، وقد حلّ الإرهاق في جسدها بدلاً من الأدرينالين. «مهما كان الأمر الجحيمي الذي حصل في كريستوُود فقد عذّب هؤلاء الناس بقية حياتهم».

تكلم براينت «قال الشهود إنهم شاهدوا سيارة بيضاء تسرع مبتعدة. فعلياً لا أحد رأى الحادث، لكن أحدهم أقسم بأنها كانت أودي، والشاهد الآخر يقول إنها كانت سيارة BMW. قد لا يكون لأي سيارة علاقة».

استدارت ونظرت إليه. «براينت، لقد كان يمشي مترنحاً المئة ياردة التي تفصله عن بيته كل يوم من دون أي حادث».

«إذاً، أنت لا تظنين أن هذا مجرّد حادث سيارة تلاه هروب».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لا، برإينت، أظن أن القاتل كان هنا ينتظر، واللقيط كانت لديه الوقاحة للقيام بالأمر أمامنا مُباشرة».

لمس ذراعها بلطف. «هيّا، لنذهب كي تتمكني من تنظيف نفسك قبل أن»...

سحبت ذراعها وحررتها. «كم الوقت الآن؟».

«تجاوزت الثانية عشرة».

«حان الوقت للقيام بزيارة وديّة لصديقنا المستشار».

«لكن جُوف، بضع ساعات»...

«من الممكن أن تجعلنا متأخرين كثيراً». قالت، وهي تتجه عائدة نحو السيارة. «ماعدا ويليام بايني، فإن المستشار هو المُتبقي الوحيد».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن والثلاثون

«هل لديك أيّ من حلوى النعناع، براينت؟»، سألت كيم. استعملت ثلاثة مناديل مبتلّة لتنظيف وجهها، وعنقها، ويديها، لكن سواء كان هذا لسبب نفسي أم لا، فقد ظلّت نكهة البيرة والبصل عالقة بها، ولم تتلاش.

التقط براينت علبة جديدة من الجيب الجانبي لباب السائق. أخذت حبّة وألقت بها في فمها.

خطّت نكهة النعناع مساراً ملتهباً عبر رئتيها. «يا إلهي، هل تحتاج إلى رخصة من أجل هذه الحلوى؟»، سألت، بعد أن مسحت الدموع المُنسابة من عينها اليمنى.

«يمكنك التفكير في بديل».

نظرت عبر النافذة، بينما كانا يقتربان من مركز مدينة برومسغروف. اتخذ براينت الشارع اليمين متجاوزاً المبنى القديم للإصلاحيّة التي ظلت تعمل حتى سنة 1948.

على الرغم من أن المدينة لم يفصلها سوى عشرة أميال عن ستاوربريدج، لكنها بدت مثل عالم آخر بأكمله. وُثقت المنطقة في أوائل

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

القرن التاسع باسم «بريسمجراف»، وقد نمت بالزراعة وبصناعة المسامير. سكّانها محافظون بشدّة. الأثرياء، سكان الريف كانوا في المقام الأول بريطانيين بِيضاً، مع أربعة في المئة من أقليّات إثنيّة.

«هل تمازحني؟»، سألت كيم، بينما خرجا من جسر «ليتل هيث لاين».

كانت أسعار البيوت الممتدة على «ليكاي أيند»، تبدأ بأسعار من سبعة أرقام. وثمة سياجات من الأشجار العالية والمداخل الطويلة تحمي المنازل من التلصّص. ويسكن في هذه المنطقة المعروفة باسم «الحزام البنكي»، موظفو الشركات الذي يتمتعون بسهولة الحصول على سيارات BMW موديلات M5 و M40.

توقفت السيارة أمام حديقة مُسوّرة مفصولة ببوابة من الحديد المُطاوع.

أنزل براينت زجاج النافذة، وضغط على زر جهاز الاتصال الداخلي. أجاب صوت مشوّه، ولم تكن كيم متأكدة إن كان صوت رجل أو امرأة.

«شرطة ويست ميدلاندس». قال براينت.

لم يرد أحد، لكن أزيزاً خافتاً سجّل انسحاب البوابة الكهربائية إلى خلف الجدار الذي على اليسار.

قاد براينت السيارة إلى الداخل فور تشكّل ثغرة تكفي بمرورها.

قادهم الممشى المفروش بالحصى إلى فناء بالطوب الأحمر وإلى مزرعة من طابقين.

كان المنزل مشكلاً على شكل حرف L، واستطاعت كيم أن ترى مرآباً منفصلاً خلفه، حجمه كبير، بحيث كان يستطيع ابتلاع بيتها كفداء. وعلى الرغم من المساحة الكبيرة المخصصة للسيارات، فقد كان هناك سيارتان قد صُفتا على بقعة من الحصى على يمين المنزل.

وثمّة سقيفة مفتوحة تعلوها مظلّة وأصصٌ زُرعت فيها نبات الغار، وقد نُصبت على مسافات منتظمة.

«لن ترغب في التخلي عن كل هذا من دون معركة؟». سألت كيم.

«إنه شاهد، وليس مُشتبهاً فيه، جُوف»، قال وهو يتوقف خارج الباب الأماميّ.

«بكل تأكيد». قالت كيم، وهي تخرج من السيارة. «وسأكون متأكدة من تذكّر هذا عندما أحقق معه».

كان الباب مفتوحاً قبل أن يصلا إليه، وبالقرب منه رجل خمّنت كيم أنه ريتشارد كروفت.

كان يرتدي بنطالاً من نسيج «التشينو» كريميّ اللون، وفوقه قميص أزرق بحريّ اللون. كان شعره الرماديّ رطباً واستقرّت منشفة على كتفيه.

«اعذراني، لقد خرجت للتوّ من المسبح».

بكل تأكيد. لقد حظيت بمثل هذا الإزعاج تماماً طيلة الوقت.

«سيارات جميلة». لاحظت كيم» بلطف مشيرة إلى سيارتين موديل أستون مارتين DB9 وبورش موديل 911، تفصل بينهما مسافة.

رأت كيم أجهزة كاميرا مراقبة أعلى المبنى.

«الحراسة مكثفة بالنسبة لمستشار؟».

استدار. «أوه، الحراسة تخصّ زوجتي».

استدار إلى اليسار ولحقا به عبر باب بلوريّ مزدوج إلى داخل مكان، استنتجت كيم أنها قاعة من قاعات الاستقبال. كان السقف مُنخفضاً ومرفوعاً بأعمدة سميكة تمّ تجديدها بحرفيّة عالية. وأضاءت المكان أرائك جلد بلون الكاراميل، وجدران بنفسجيّة اللون. وكان هناك أبواب فرنسيّة الطراز تقود إلى مشتل برتقال يبدو أنه كان ممتداً على طول البيت.

«رجاء، تفضّلا بالجلوس إلى أن أرتب لبعض الشاء».

«أوه كم هذا متحضّر»، قال براينت بعدما غادر ريتشارد كروفت الغرفة. «سيعدّ لنا الشاء».

«أعتقد أنه قال «أرتب» لبعض العشاء. أنا متأكدة أن هذا لا يعني أنه سيعدّه لنا».

«ستنضمّ إلينا مارتا خلال لحظة». قال ريتشارد كروفت، وهو يعاود الدخول إلى الغرفة. كانت المنشفة قد اختفت، والشعر قد مُشّط كاشفاً عن شعر رمادي أكثر حول صدغيه.

«زوجتك؟».

ابتسم، كاشفاً عن أسنان كانت بيضاء أكثر من اللازم «لا، يا للسماوات. مارتا هي مُدبّرتنا المنزليّة. إنها تساعد نينا مع الصبيان وفي المنزل».

«والمنزل رائع جداً أيضاً، أيها المستشار».

«ناديني ريتشارد، أرجوك»، اقترح بأريحيّة.

«إن المنزل هو الطفل المحبّب لزوجتي. إنها تعمل باجتهاد، وتتوقع أن تسترخي في منزل مريح».

«وماذا تعمل زوجتك بالضبط؟».

«إنها محامية في مجال حقوق الإنسان. تدافع عن حقوق الناس الذين من المحتمل أنك لا تتمنّين أن تقضي وقتاً معهم».

فهمت كيم على الفور «الإرهابيّون».

«الأفراد المتهمون بنشاط إرهابي، قد يكون التعبير الأصحّ سياسياً».

حاولت كيم ألا تسمح لمشاعرها بالظهور على وجهها، لكن كان من المؤكد أن شعورها بالاشمئزاز كان جليّاً.

«كل واحد مُخوّل للاستفادة الكاملة من القانون، ألا توافقينني، أيتها المحققة؟».

لم تقل كيم شيئاً. لم تثق بما قد يقوله فمُها. لقد آمنت بكل حزم بأن القانون قابل للتطبيق على كل شخص، ولهذا عليها أن تعترف بأن هذا القانون نفسه يجب أن يوفر الدفاع للجميع. لذلك فهي توافقه الرأي. لكنها كرهت أن تتفق معه في الرأي، فقط.

والأكثر إثارة من عمل زوجته كان الانعدام الكامل لحركات وجهه عندما يتكلم. جبينه، والجزء العلويّ من وجنته لم يتحركا قط. بالنسبة إلى كيم، كان هناك أمر سرياليّ بخصوص عملية حقن المرء لنفسه طواعية بمادة مشتقة من أكثر السموم المعروفة حدّة. وبالنسبة إلى رجل قارب الخمسين من عمره، كان هذا فعلاً فيه فحش. شعرت كيم بأنها تنظر إلى دمية من الشمع، وليس إلى رجل.

لوّح بديه حوله قائلاً: «نينا تحب أن تعيش بطريقة جيدة، وأنا محظوظ وحسب، بأن لديّ زوجة تحبني كثيراً».

ربما تسرّب التعليق من فمه كاستنكار ذاتي، وبنيّة الإبهار. لكنه رنّ في أذني كيم كتعجرف، ورضا عن النفس.

على الأرجح، ليس بقدرما تحب نفسك، كانت كيم على وشك أن تُجيبه، لكن ولحسن حظها، نبّهها قدوم عربة تدفعها شابّة شقراء نحيفة، وكان شعرها أيضاً مُبللاً.

تبادلت كيم وبراينت نظرة فهم. يا للمسيح، لم يكن هناك رابط روحي يجمعه بزوجته.

قلقت كيم بشأن الصبيّين اليافعين المُهندمين في الصورة الموضوعة على حافة المدفأة.

فور مغادرة مارتا للغرفة سكب ريتشارد محتوى الإبريق الفضيّ في ثلاثة أكواب صغيرة.

رأت كيم أنه لا وجود للحليب، كما لم تشمّ رائحة القهوة. فرفعت يدها ورفضت.

«لقد نويتُ القدوم للمركز لرؤية إن كان يمكنني تقديم أي مساعدة، لكني كنت مشغولاً جداً مع الناخبين».

حتى نبرة صوته كانت مُخادعة. تساءلت إن كان من الممكن أن تجده قابلاً للتصديق أكثر لو كان في مكتبه. لكن هنا، وسط الفخامة التي تحيط به، ولمعرفتها ما الذي سبق أن فعله، لم تستطع كيم السيطرة على موجة الاشمئزاز التي ولّدها فيها.

«حسناً، ها نحن هنا، إذاً، لو أمكننا طرح بعض الأسئلة وحسب، سنكون في طريقنا للمغادرة».

«بكل تأكيد، أرجوك، تفضّلي».

اتّخذ مجلسه على الأريكة المقابلة، ومال للوراء، وقد وضع قدمه اليمنى فوق ركبته اليسرى.

قرّرت كيم أن تنطلق من البداية. كل خلية فيها كرهت هذا الرجل لكنها ستحاول أن تضمن أن رأيها الشخصيّ لن يؤثر في حكمها المهنيّ.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لديك علم بأن تيريزا وايت قد قُتلت منذ وقت قريب؟».

«عمل رهيب»، قال، من دون تغير في تعابيره.

«لقد أرسلتُ ورداً».

«فكرة لطيفة، أنا متأكدة».

«أقلّ ما يمكنني فعله».

«وهل تعلم بخصوص طوم كورتيس؟».

حرّك كروفت رأسه ثمّ خفضه «هذا مُروّع».

كانت كيم لتراهن بمنزلها على أنه أرسل ورداً.

«هل لديك علم بأن ماري أندرواز قد توفيت مؤخراً أيضاً؟».

«لا ، لم أكن أعلم». نظر باتجاه مكتبه. «عليّ أن أسجّل ملحوظة كي أرسل»...

«ورودا». أكملت له كيم. «هل تتذكّر موظفاً اسمه آرثر كونوب؟».

بدا ريتشارد كأنه يفكّر للحظة. «نعم، نعم، كان واحداً من المُعاونين».

«لقد تحدثنا إليه في وقت سابق اليوم».

«أرجو أنه على ما يرام».

«لم يتمنّ أن تكون بالمثل».

ضحك ريتشارد، وأخذ كأساً من الشراب الأخضر. «أجد أنه من النادر أن يتذكّر الناس رؤساءهم بمحبّة. خاصة إن كان هؤلاء الناس كسالى. لقد وبّختُ السيد كونوب في أكثر من مناسبة».

«لأي سبب؟».

«النوم خلال الوظيفة، أداؤه في العمل غير جيّد»...

توقفت كلماته، وقد بدا عليه أن هناك أكثر من سبب.

«و؟».

«تأديبات من يوم لآخر وحسب».

«ماذا بخصوص ويليام بايني؟».

لمحت كيم تغيّراً خفيفاً في عينيه. «ماذا بخصوصه؟».

«حسناً، لقد كان الحارس الليليّ الآخر. هل تلقى التوبيخات نفسها؟».

«مطلقاً. ويليام كان عاملاً مثالياً. أفترض بأنكما تعلمان بظروفه الشخصيّة؟».

وافقت كيم بإيماءة من رأسها.

«لم يكن ويليام ليقوم بأي أمر قد يتسبب بفقدانه لعمله».

«هل يمكنك القول إنه كان يعامل أفضل من آرثر كونوب؟»، دفعت كيم بالحديث. كان هناك أمر ما بهذا الخصوص. استطاعت أن تشعر بهذا.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«بصراحة، على الأرجح تغاضينا عن أمر، أو اثنين».

«مثل ماذا؟».

«حسناً، عرفنا أن ويليام قد يذهب إلى منزله في الليل إن كانت ابنته تمرّ بفترة سيّئة على وجه الخصوص، أو إن كانت جارته غير قادرة على متابعتها، لكنه لم يترك أبداً الفتيات من دون مراقبة، لذلك مرّرنا الأمر. أعني، أننا عرفنا بالأمر لكن»... هزّ كتفيه باستهجان.

«أي شيء ما عدا هذا؟ أشار آرثر بأن»...

«حقاً، أيتها المحققة. أظن أن آرثر كونوب قد وُلد مفعماً بالمرارة. لو التقيت به كنت ستعرفين أنه واحدٌ من ضحايا الحياة. كل أمر سيئ في حياته كان غلطة شخص آخر، وليس بإرادته».

«وفي وقت أبكر من اليوم ربما حاول أن يعبّر عن رأي ما عندما دهسته سيارة من الخلف، وتركته للموت».

ابتلع ريتشارد كروفت ريقه. «وهل...مات؟».

«لا نعرف بعد، لكن لا يبدو وضعه مُبشراً».

«يا إلهي. يا لهذا الحادث الرهيب والتراجيدي». تنهّد بعمق. «حسناً، في هذه الحال، ما من سوء في أن أكون نزيهاً تماماً معك، أيتها المحققة».

«أرجوك افعل». قالت كيم، عاجزة عن رؤية الخيول المتوحشة التي بدت كأنها تسحب الكلمات من فمه.

«قبل الحريق بفترة ليست بالقصيرة، لفت انتباهي أن آرثر كان يُزوّد إحدى الفتيات بالمخدرات. لم تكن بالمسألة الكبيرة، ولكن الأمر يتعلق بمخدرات مع ذلك».

«لماذا؟»، سألت كيم بتأكيد. لو تم اكتشافه، لربما كانت أفعاله ستكلّفه عمله، وتسجيلاً جنائياً مع احتمال قضائه بضعة أشهر في السجن.

«كان ويليام الحارس الليلي، وقد كان يناوبه حارس آخر في ليلتي إجازته، وقد شكّل هذا مصدر راحة. كان من النادر أن يطلب آرثر ساعات عمل إضافيّة. كان بقيّة الموظفين يجهلون أن آرثر يقضي أول جزء من مناوبته في الحانة. وقد تم اكتشاف هذه الحقيقة من مجموعة من ساكنات كريستوود، واستغللن الوضع لمصلحتهن».

«هل قمن بابتزازه؟»، سأل براينت.

«ليست هذه هي الكلمة التي قد أود استعمالها، أيها المحقق».

باعتباره كان المسؤول عن بيت الرعاية، فمن المؤكد أنها لم تكن تلك الكلمة المناسبة.

«كان من الواضح أن آرثر ظل هادئاً لخوفه من فقدان عمله».

«يتوجب عليه ذلك». انفجرت كيم. «لقد كان مسؤولاً عن سلامة نحو خمس عشرة فتاة، أوعشرين فتاة، تتراوح أعمارهنّ بين ست إلى خمس عشرة سنة. أي شيء كان من الممكن أن يقع لأولئك الأطفال بينما كان هو في الخارج».

نظر إليها ريتشارد بتساؤل:»أنتِ تبرّرين تصرفات تلك الفتيات، أيتها المحققة؟».

لا لم تكن كذلك، لكنها لم تجد إلى الآن أي شخص أوكلوا له مهمة الاعتناء بتلك الفتيات وأعطى المهمة أدنى اهتمام.

اختارت كلماتها بعناية. «لستُ كذلك. ومع هذا، لو كان آرثر يقوم بواجبه على أتمّ وجهن لما وجد نفسه في ذلك الموقف».

ابتسم موافقاً. «سُجلت النقطة، أيتها المحققة. لكن الفتيات المعنيات لسّنَ مواطنات نموذجيّات».

حاربت كيم موجة الغضب المُفاجئة التي اجتاحتها. جعل سلوك تلك الفتيات، وبصفة آلية، منهنّ جانحات من دون أخلاق، ومن دون مستقبل، أو وعد. ومع قُدوة مثل آرثر كونوب لم تستغرب ولو قليلاً.

تساءلت كيم عن الكشف المفاجئ الذي قدّمه لهم ريتشارد بخصوص آرثر. ما الذي سيجنيه من هذا؟

«المزيد من الشاء؟».

«سيّد كروفت، لا تبدو قلقاً بصفة خاصة، لكون كل زملائك السابقين يموتون بطريقة غيرة طبيعية؟».

«من خلال حسابي هناك جريمتا قتل، وموت طبيعيّ، وحادث قد يكون، وقد لا يكون قاتلاً».

«ما الذي حلّ بكريستوود طيلة السنوات الماضية؟»، سألت بتركيز.

أجاب ريتشارد كروفت في نفس واحد. «أتمنّى لو عرفتُ، لكنني كنت هناك آخر سنتين فقط من عمل المنشأة».

«وخلال تلك الفترة عددُ الهاربات بالتأكيد قد ارتفع، ألا توافقني؟».

التقت نظراتها مباشرة، لكن رجفة انزعاج هدّدت هدوءه الظاهري. لقد صعّدت تقنيتها من العام إلى التحقيق الشخصي. لم يعجبه أنها كانت تسأل بخصوص إدارة المنشأة خلال فترة تولّيه لها.

«بعض اليافعين لا تعجبهم القوانين، بغض النظر عن نواياهم الحسنة».

من خلال ذكريات كيم كانت مُعظم القوانين قد وُضعت لتلائم الموظفين لا متساكني مؤسّسات الرعاية.

«تحدثت عن آرثرن لكن إلى أي درجة كنت أنتَ متواصلاً مع المتساكنات المقيمات في كريستوود؟

«ليس كثيراً. لقد تم توظيفي كي أتخذ قرارات أكثر تنظيمية، كي أدير المنشأة بكفاءة».

استعماله المتواصل لمفردة «منشأة» جعل كريستوود تبدو كأنها وحدة أمنية في برودمُور أكثر من كونها منزلاً مخصصاً للصغار المهجورين.

«سيد كروفت، هل لديك أي سبب يجعلك تعتقد أن أي واحد من زملائك قد رغب في إيذاء أي واحدة من تلك الفتيات؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وقف. «طبعاً، لا. كيف يمكنك أن تسألي أصلاً مثل هذا السؤال؟ هذا أمر رهيب كي يقال. كل واحد وُظف في المنشأة كان للعنأية بأولئك الأطفال».

«نظير راتب شهري»، قالت كيم، قبل أن تتمكّن من السيطرة على نفسها.

«وهناك من لم يكن كذلك». صرخ كردّ عليها. «حتى القسّ لم يعرف كيف يتعامل مع بعض من تلك الفتيات».

«ماذا بخصوص آرثر؟».

«لقد قام بغلطة. لم يكن ليؤذي أي واحدة».

«أفهم هذا، سيد كروفت، لكن لدينا جسد ما، قد يبدو أنه جسد فتاة مراهقة مدفونة في أراضي كريستوود، وهناك أمر أستطيع استنتاجه بيقين كامل، أنها لم تكن هناك بنفسها».

ظلّ واقفاً، ومرّر أصابعه عبر شعره، كردّة فعل وحيدة على كلماتها. كان من الصعب قراءة ملامح وجهه تحت تأثير البوتوكس.

«سيد كروفت، هل قدّمتَ أنت، أو أي شخص تعرفه، اعتراضات على عملية الحفر التي أراد أن يقوم بها البروفيسور ميلتون في الأرض؟».

«قطعاً لا. ليس لديّ أي سبب لفعل هذا».

وقفت وواجهته. «وأخيراً، السؤال الأخير الذي لديّ قبل أن أتركك بسلام. أين كنت في ليلة قتل تيريزا؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أصبح وجهه قرمزيّاً وأشار نحو الباب.

«أدعوك إلى مغادرة بيتي حالاً. ألغي عرضي بتقديم المساعدة، وأي أسئلة إضافية يجب أن توجه من خلال محاميّ الشخصي».

تحركت كيم باتجاه الباب. «سيد كروفت، أنا أكثر من جاهزة لمغادرة «بيت زوجتك»، وأودّ أن أشكرك على وقتك».

خرجت كيم عبر الباب الأمامي، بينما انسابت سيارة رانج روفير فضية على رقعة الحصى. لم يأخذ السائق المساحة الشاغرة الموجودة بين السيارتين الأخريين، ما يشير إلى أن شيئاً آخر كان يُصفّ هناك عادة.

خرجت أنثى نحيفة من السيارة، وسحبت حقيبة سفر من الكرسي الخلفيّ. كانت ترتدي طقم عمل أسود، مع تنورة مُقلّمة تجاوزت أسفل ركبتيها. وكانت تنتعل حذاء ذا كعب يبلغ أربعة إنشات. كان شعرها أسود، وملتمعاً لكنه مسحوب إلى الخلف بصرامة على شكل ذيل حصان.

وبينما كانا يمرّان، لم تستطع كيم نفسها ملاحظة أن المرأة كانت فعلاً مذهلة. وقد كافأت المرأة نظرتها بابتسامة متسامحة، وأيماءة مُقتضبة.

«حسناً، بحق الجحيم، ما الذي يعجبها به؟ سألها برايِنت.

حرّكت كيم رأسها بينما دخلت للسيارة. انغلق الباب خلف الزوجين. بنهاية الأمر مازالت هناك أمور غامضة في العالم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

شغّل براينت السيارة، وجعلها في وضعية التراجع للخلف. «جُوف، هل ستجدين ذات يوم طريقة تلعبين فيها بلطف؟».

«بكل تأكيد، في اللحظة التي أجد فيها رفاق لعب يعجبونني».

تنهّدت، وعاودت النظر إلى المنزل، وللحظة فكّرت في ويليام بايني، وابنته لُوسي. كان للأقدار من دون شك خلل في وجهة نظرها.

«بماذا تفكّرين؟» سألها براينت، بينما كانت البوابة تُفتح كي تحرّرهما.

«أفكّر في ردّة فعله بخصوص أخبار الفتاة المدفونة».

«ماذا بخصوصها؟».

«لم يسأل حتى إن كنا قد تعرّفنا إلى صاحبتها. لم يُصدم لأي شيء أخبرناه به. من الممكن أن يكون البوتوكس قد أفقد وجهه القدرة على الإحساس، لكنه لم يسيطر على حركة عينيه».

تفاعل حدس كيم ضد السيد ريتشارد كروفت. كانت متأكدة أنه يعرف شيئاً ما. لكنها مازالت تطارد خيطاً مراوغاً، تطارد آخر قطعة حين ستسحبها، ستنكشف كل أسرار كريستوود.

الفصل التاسع والثلاثون

«ماذا كانا يريدان؟»، سألت نينا كروفت، وهي تضع حقيبتها على الأرض في الممر.

«كانا يسألان عن كريستوود». أجابها ريتشارد، بينما كان يتبع زوجته إلى المطبخ. بعد خمس عشرة سنة معاً كان هناك أمران يخصّانها لم يفشلا أبداً في إثارة إعجابه.

الأمر الأول هو أنها مازالت تبدو رائعة، مثلما كانت في اليوم الذي التقيا فيه. سقط رأساً على عقب في حبّها، ولسوء حظه لم يتغيّر هذا الأمر من وقتها.

الأمر الثاني، هو أن الجفاء الجليديّ لم يتلاشَ من عينيها منذ سبع سنوات.

توقفت نينا وسط المطبخ الواسع. ووقف هو في الجانب الآخر. واجهته عبر أدوات المطبخ ماركة «لي كروزيه» التي لم يتم استعمالها قط.

«ما الذي قلته لهما؟»، سألت.

خفض عينيه. قبل سبع سنوات، بعد ولادة ابنه الثاني، كان في

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

قمّة نشوته. مشاهدته لولادة زوجته الجميلة، أثارت بداخله شعوراً حاداً بالحماية، وبالحب، فاعتقد أن الرباط الذي يربطه بزوجته كان غير قابل للكسر. شعر بأنه كان قادراً على أن يثق بها بخصوص أي أمر.

يومان بعدها، وبعد أن وضع هاريسون في مهده، شعر ريتشارد بأنه كان مقرباً ما يكفي من زوجته كي يكشف لها أسرار كريستوود. لم يتقاسما الفراش بعدها مُجدّداً.

لم يكن هناك لا غضب، ولا اتهامات مُضادّة، ولا تهديد بتسليمه. ضباب جليديّ تشكل بينهما، ولم يتلاشَ من وقتها.

«ما الذي سألا عنه؟».

قصّ عليها المحادثة كلمة، كلمة. لم تبدِ أي انفعال على الإطلاق إلى أن وصل إلى الأسئلة الأخيرة. فقط وقتها نفر عرق في خدّها. عندما انتهى شعر بالعرق يتشكّل تحت شعره بينما انتظر إجابتها.

«ريتشارد، سبق أن قلت لك منذ سنوات إنني لن أتسامح مع أخطاء ماضيك إن أثرت في حياتي، أو في حيوات أطفالي».

«هل كان هذا في الليلة التي غادرتِ فيها فراشي للأبد، حبيبتي؟».

كانت لهجتها، مثل ضربة في معدته، مثل قصْمة في ظهره.

«أجلْ، حبّي، أي انجذاب شعرت به مات بعد اعترافك تلك الليلة. كان من الممكن أن تكون فضيحة بما يكفي إذا ما فُتح تحقيق في كريستوود، وتم كشف عجزك عن إبقاء يديك بعيداً عن نقود المنشأة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

رفعت عينيها إلى السقف كأنها كانت تخاطب هاريسون. «أن تأخذ مالاً مخصصاً لتلك الفتيات كان أمراً يستحق اللوم، يا حبي». قالت ببرود، «لكن ما قمت به لتغطي على الأمر. حسناً... بصراحة، الكلمات تتحداني».

مرّة أخرى لعن صراحته المطلقة معها في تلك الليلة. نعم، لقد أخذ راتباً إضافيّاً صغيراً لنفسه. لقد كان يستحقه، ولم ينقص من مال الفتيات شيئاً. كانت حاجاتهن الأساسية مُلبّاة طيلة الأوقات.

الاشمئزاز على وجه زوجته وجد طريقه إلى قلبه الذي رفض أن يسمح لها بالذهاب. كانت ردّة فعل كروفت الفوريّة هي مُهاجمتها، أراد أن يؤلمها بطريقة قد تثير بداخلها أي نوع من المشاعر.

نقر على رأسه، وابتسم. «حسناً، على الأقل لديّ شخص جاهز كي يمنحني الحب، حتى لو لم تقدّمه لي زوجتي».

أمسك ريتشارد أنفاسه. سيرحّب بأي ردّة فعل فيها إحساس حقيقيّ. أي شيء قد يشير إلى بقايا ما كان بينهما سابقاً.

ضحكت عالياً. لم يكن صوتاً ناتجاً عن الفرح، أو السّعادة. «هل تقصد مارتا؟».

لم تكن هذه ردّة الفعل التي توقعها. ابتسامة ماكرة تشكّلت على وجهها.

بدأت الغرفة تنغلقُ عليه. «أنتِ... أنتِ تعرفين بخصوص مارتا؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أعرف بخصوص ماذا، يا حلو»... أنا أدفع لها بسخاء مقابل ذلك».

تراجع ريتشارد إلى الوراء كأنها صفعته. لقد كانت تكذب. يجب أن تكون كذلك.

«أوه ريتشارد، أنت سخيف، ومجنون عجوز. لدى مارتا عائلة كبيرة في بلغاريا لتدعمها بهذا العمل. يتكفل راتبها بطعامهم. و... ساعات عملها الإضافية ترسل أخويها الاثنين إلى المدرسة، بالتالي إذا كانت تبدو متشوّقة لتمارس الجنس معك فهذا يعود لأنني أدفع لها بالساعة. وأنا سعيدة بأن أدفع، لأنها تستحق كل قرش».

استطاع ريتشارد أن يشعر بتلّون وجهه، بينما تجلت الحقيقة البشعة. لهذا كانت مارتا شديدة الإلحاح في وقت سابق من اليوم.

«أيتها العاهرة باردة القلب».

تجاهلت نينا الشتيمة، واستدارت نحو آلة القهوة. «لقد قلت لك سابقاً إنه لن يكون هناك، ولو إشارة تلميح بفضيحة متصلة باسمي. لقد عملتُ بجهد كبير لأحقق الحياة التي أحياها، وبسبب مكانتك في المجتمع فأنا لا أمانع أن أحظى بك كمسافر طالما سافرت بصمت.

شعر ريتشارد بالقرف من حياته يغمره. كانت الفائدة الوحيدة التي يمثلها بالنسبة إلى زوجته مكانتُه المرموقة كعضو في البرلمان، مهنة قدّمت لها الاحترام، وناسبت عملاءها المثيرين للاشمئزاز.

«لا تُصدم كثيراً، عزيزي. إنه ترتيب نُفذ بطريقة جيّدة، ويجب أن يستمر كذلك».

اقشعرّ جسمه لفكرة مشاركته السرير مع مارتا مجدّداً بعد ما عرفه. كان ريتشارد يشعر بأن هناك علاقة حقيقية بينهما، وها قد اكتشف الآن أنه لم يكن بينهما أي شيء ما عدا راتب إضافيّ.

«لكن لماذا مارتا؟» سأل، وهو مازال يشعر بالذهول من اعترافها.

«إن صورتي في المجتمع هي كل شيء، ولن أسمح لك بتلطيخها. أنت رجل ولديك احتياجات مُعيّنة لكنني لن أتسامح إزاء معاشرتك لإحدى العاهرات المريضات التي قد تلتقطها خارجاً في الشوارع، وتعرّض أطفالي للخطر».

نظر إلى نينا وهي تخرج هاتفها المحمول، «الآن، هيّا انصرف مثل صبيّ مؤدّب، بينما أواصل تنظيف فوضاك».

كان ريتشارد مثل من يقف على قمة اتخاذ قرار. يستطيع أن يستدير ويذهب بعيداً، خارج هذا البيت، بعيداً عن برود نينا وسيطرتها.

يستطيع أن يذهب مباشرة إلى الشرطة ويحرّر العبء الذي بداخله. يستطيع أن يتحرّر من هذه المرأة ومن الحياة التي يحياها.

فكّر في راتبه الضئيل كمستشار، 65.000 باوند سنوياً. كان راتبه الشهري بالكاد يغطي فواتير ماء وكهرباء البيت. بينما خُصّص راتب زوجته لدفع قسط القرض المنزلي، ومصاريف السيّارات، إضافة إلى

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الـ5000 باوند خاصته الخاصة بمصروف الجيب التي تستقر في حسابه البنكيّ عند بداية كل شهر.

استدار ريتشارد، ومشى باتجاه غرفة المكتب. فقط حين انغلق الباب خلفه جفف قطرة العرق التي استقرت خلف أذنه. آخر لمحة من كبريائه منعته من فعل هذا أمام زوجته.

تيريزا وطوم ماتا، وكان آرثر في طريقه لذلك. أراد ريتشارد الإيمان بأن ميتاتهم كانت مصادفة. يجب عليه أن يؤمن بهذا... لأن عدم الإيمان بهذا يعني أمراً واحداً فقط، إنه على الأرجح سيكون التالي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الأربعون

اتصلت كيم برقم ستايسي بينما كان برانيت يعطي طلب الطعام عبر المجيب الصوتي لماك دونالد. ردّت ستايسي عند الرنّة الثانية.

«ستايس، سنحتاج إلى أي عنوان يوجد لديك للسّاكنات السّابقات لكريستوود، لأننا نخسر الموظفين بسرعة».

«أجل، سمعنا هنا بما حصل لآرثر. سبق أن جاء هنا وودي باحثاً عنك».

«وُودي يبحث عني». همست لبرانيت بينما كانت ستايسي تنقر على لوح الكمبيوتر.

كشّر برانيت.

«حسناً، أول واحدة في القائمة، أوه حسناً إنهما اثنتان. أختان توأم، باسمي بيثاني ونيكولا أدامسون. هذا عنوان نيكولا في بريندليبلايس في بيرمينجهام».

قرأت كيم بصوت مرتفع العنوان بينما خربشه برانيت على ورقة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«حسناً، هل تستطيعين تعقب أي أثر للقسّ الذي سبق أن ذكرتِه من قبل؟ لقد ظهر اسمه مرة أخرى في التحقيق، لذلك أعتقد أنه يستحق زيارة. من المحتمل أن الفتيات قد تحدّثن إليه».

«سأعمل على هذا، جوف».

«شكراً ستايس، هل من جديد من داوسون؟».

«لم يتصل بي».

أنهت كيم الاتصال.

«كان يجب علينا العودة حقاً للمركز بعدما حدث باكراً اليوم»، قال براينت.

كانت كيم تعرف جيداً أنه كان يجب عليهما أن يُقدما لوُودي تلخيصاً لعمليات الكرّ والفرّ التي يشهدها التحقيق، ويتبع هذا الإجراءات النفسية التي يتوجب القيام بها بعد الشهادة على أي «حادث صادم».

«سأجهّز لاحقاً تقريراً، وأذهب للتحدث إلى وُودي لكن الوقت يُداهمنا. سبق أن خسرنا أربعة أشخاص عملوا في كريستوود في الفترة التي أغلق فيها».

أخذت كيم قضمة من برغر الدجاج. كان مذاقه شبيهاً بمذاق الورق المُقوّى. وضعتْه على جنب، وأخرجت هاتفها المحمول.

أجابها داوسون على الفور.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كيف هي الأمور؟»، سألت.

«على قدم وساق. كيريس في الحفرة مع أدواتها اليدويّة، لسنا بعيدين كثيراً عما يوجد هناك في الأسفل مهما كان هذا الشيء».

استطاعت كيم أن تُميّز الإرهاق في صوته. «هل قمت بزيارة لويليام بايني؟».

«تمّ هذا، جُوف». اتصلتُ بشركة الـATD للتأكد من أن جهاز الإنذار يعمل. نظفت، وجرّبت أجهزة الاستشعار الأمامية، والخلفية التي تعمل على امتداد خمس عشر قدماً. جعلتُه يحرك بضعة أصص ويبعدها عن السياج ويغيّر بطارية قلادة الطوارئ الخاصة بلُوسي، للتأكد فقط.

«أوه، وقد طلبت من كل شرطي دوريّة أن يضم منزل بايني ضمن محيط فحصه».

ابتسمت كيم. لهذا داوسون ضمن فريقها. كانت هناك أوقات تكون فيها إدارة داوسون مثل رعاية أمّ لصغيرها. فهناك أيام يستنفد فيها صبرها، وهناك أيام أخرى كان يُؤدي فيها عمله ببراعة.

«جُوف، أردت أن أخبرك أنهم أعلنوا عبر الإذاعة أن آرثر كُونوب مات».

لم تقل كيم شيئاً. عرفت مسبقاً أنه لن ينجو.

أنهت المحادثة معه. «كونوب». همست.

«مات؟». سأل براينت.

أومأت كيم ثمّ تنهّدت. لو كانت صادقة تماماً، سيكون من الصّعب قياس حجم موت آرثر كونوب. زوجته لم تكن مهتمة بأماكن تواجده. ولا أحد من بين الذين تحدثوا معهم عبّر عن أي مودّة للرجل على الإطلاق، سواء في الماضي، أو في الحاضر. ربما تشعر مُورين بخسارته من خلال تراجع مبيعاتها من البيرة والساندويتشات أسبوعياً، لكن قلة من سيحزنون جديّاً لموته.

كانت كيم تودّ لو تفكّر في أن الرجل الفظّ الذي لا يُطاق كان ذات مرة إنساناً لائقاً، وكبُر ببطء ليصبح لاذعاً مع العمر، لكن إنكاره الوقح لأفعاله التي قام بها منذ عشر سنوات، حطّم الأمل الخاطئ. شكّت كيم في أن مُورين كانت محقة بشأن آرثر. لطالما كان أنانياً وخبيثاً، لكنها الآن تتساءل إن لم يكن أكثر من هذا. إلى أي درجة قد يكون تمادى ليغطي آثار أفعاله؟

بينما كان براينت يمسح فمه بمنديل ورقيّ، حدّقت كيم في الساعة على لوحة القيادة. لقد تجاوزت الساعة الثالثة، والكثير من أوراق العمل بانتظارها في مركز الشرطة. سبق أن كان هذا اليوم طويلاً وشاقاً، ويمكنها دائما أن تبدأ بالعمل على قائمة المتساكنات السّابقات غداً. كان جسدها يطالبها بالاستحمام وبقليل من الراحة.

«إذاً، هل تريدين مني التوجه نحو ذلك العنوان في بيرمينجهام، جوف؟».

ابتسمت وأومأت برأسها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الحادي والأربعون

ممتدة على مساحة سبعة عشرة فدّاناً، كانت بريندلايبلايس أكبر بناء متعدّد الاستعمالات في المملكة المتّحدة. ومن جهة القناة توجد المصانع والمدارس ذات الطابع الفيكتوري التي جُدّدت ضمن نطاق أساليب معمارية مُستحدثة. وقد انطلق المشروع سنة 1993 وقدّم للآن ثلاث مناطق بارزة.

كانت بريندلايبلايس تجمعاً لبنايات مُنخفضة الارتفاع، وتوجد فيها مساحات فخمة مُخصّصة للمكاتب، ووحدات البيع بالتجزئة، وغاليريات، بينما ضمّ برج «ووتير أيدج» الحانات والمطاعم والمقاهي. بينما امتدت الوحدة السكنية من «سانفوني كُورت».

«جُوف، ما الذي نقوم به بطريقة خاطئة بحق الجحيم؟» سأل براينت، بينما وقفا في الطابق الرابع من مبنى الملك إدوارد وُورف.

فتحت الباب امرأة نحيفة ورياضية ترتدي بنطالاً أسودَ، وتي شيرت رياضياً ضيّقاً. عبّر وجهها عن جهد من كان يقوم بتمارين رياضية.

«نيكولا أدامسون؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«وأنت من تكونين؟».

عرض براينت شارته كشرطي، وقدّمهما كليهما.

وقفت على جنب ورحّبت بهما إلى داخل الشقة التي كانت ذات سقيفة مفتوحة.

خطت كيم على الأرضية المُبلّطة بخشب الزان الذي امتدّ حتى المطبخ.

كانت هناك أريكة من الجلد الأبيض نُصبت بطريقة مائلة قُبالة حائط عليه تلفزيون ذو شاشة مسطّحة، وخلفها أجهزة إلكترونيّة مختلفة مثبتة على الحائط. لا أسلاك أو كابلات كانت ظاهرة للعيان.

كانت طاولة الطعام الزجاجيّة محاطة بكراسي مصنوعة من خشب السّاج، عند نهاية قاعة الجلوس. وفي الخلف توقفت الأرضية الخشبية وبدأ البلاط الحجري.

خمّنت كيم أنها كانت تنظر لما يقارب 1500 قدم مربعة كمساحة لغرفة المعيشة، قاعة الجلوس.

«ماذا تحبّان أن أقدّم لكما، شراباً، شاياً، قهوة؟».

قالت كيم «قهوة، أقوى ما لديك».

ابتسمت نيكولا أدامسون بانفتاح. «ذلك النوع من الأيام، أيتها المحققة؟».

دخلت المرأة إلى مطبخ تكوّن من خزانات بيضاء بياضاً لامعاً مع لمسات من الخشب البنيّ.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لم تجب كيم، لكنها واصلت التحرك في المكان. كان الحائط الذي على اليسار مشكلاً بأكمله من البلور، تتخلّله بعض الأعمدة الحجرية والدائرية فقط. وفي الخلف هناك شرفة، ومن دون أن تخرج استطاعت كيم أن ترى المشهد المطلّ على قناة بريندلي لُووب.

كما رأت آلة مشي رياضية مغطّاة جزئياً. حسناً، حلّلت، إن كنت ستتمرّنين فإن هذه هي الطريقة المناسبة للقيام بهذا.

كانت شقة رائعة، مثيرة للإعجاب بالنسبة إلى امرأة في منتصف عشريناتها، كانت في بيتها في منتصف بعد الظهر.

«ما هو عملك؟»، سألت كيم بحدّة.

«عذراً؟».

«لديكِ مكان جيّد هنا. كنت أتساءل فحسب، ماذا تعملين لتدفعي ثمنها؟».

كانت كيم قد خلفت اللباقة والدبلوماسية في مكان ما وراءها نحو الساعة الحادية عشرة صباحاً. كان اليوم يمتد كيوم طويل، والمرأة حرّة أن تجيب، أم لا.

«لستُ متأكدة بماذا يهمّك عملي. لكنه بكل تأكيد عمل قانوني، لكنني سأخبرك، أنا راقصة، راقصة تعرٍّ، وحدث أنني جيّدة جداً في عملي».

خمّنت كيم أنها على الأرجح كانت كذلك، فقد كانت حركاتها رشيقة، ومرنة بطريقة طبيعية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

سحبت عربة تحمل كوبين تصاعد منهما البخار، وقنينة ماء.

«أعمل في الروكسبيرج». قالت، وهي تفكّر في أن هذا سيشرح كل شيء، وبالنسبة إلى كيم كان هذا ما فعله. لقد كان النادي مخصّصاً للأعضاء أصحاب العضوية فقط، ويقدّم التسلية الموجّهة لكبار الناس المهنيّين. وإدارة النادي الصّارمة أمّنت بضع زيارات من الشرطة المحليّة، عكس النوادي الأخرى وسط مدينة بيرمينجهام.

«هل تفهمين لماذا نحن هنا؟»، سألها براينت الذي أخطأ في الجلوس على أريكة من القطيفة، بحيث كان يحارب كي يجلس مستقيماً قبل أن يغرق بأكمله في الأريكة.

«بكل تأكيد. لستُ متأكدة إلى أي درجة يمكنني مساعدتكما، لكن خذا راحتكما واسألاني أي شيء».

«كم كان عمرك عندما كنتِ في كريستوُود؟».

«أيتها المحققة، أنا وأختي كنا داخل وخارج بيوت الرعاية منذ عمر السنتين».

«كم كان عمرك في تلك الصورة؟»، سألت كيم، مشيرة إلى صورة في إطار فضيّ موضوعة على الطاولة الصغيرة بجانبها.

كانت ملامح الفتاتان الاثنتان متطابقة مثل ملابسهما. كلتاهما ارتدت قميصاً خشناً وأبيض اللون من المتجر المُوحّد المجاني. تذكّرت كيم تلك الملابس جيداً والسّخرية المجانية التي تأتي معها.

كلتاهما ارتدت سترة صوفيّة ورديّة اللون، وعليها رسم وردة

على الجانب الأيسر. كل شيء كان متطابقاً ما عدا الشعر. واحدة تركت شعرها الأشقر منساباً، بينما ربطت الأخرى شعرها إلى الوراء بواسطة رباط مطّاطي.

التقطت نيكولا الصورة وابتسمت، «أتذكّر هذه السترات جيداً. أضاعت بيث سترتها وسرقت سترتي. كان هذا الأمر الوحيد الذي تخاصمنا بخصوصه على الإطلاق».

فتح براينت فمه لكن التعبير على وجه كيم أسكته. كان وجه المرأة قد تغيّر. لم تعد تنظر للصورة بل تجاوزتها.

«قد تبدوان غير أنيقتين جميلتين لكن تلك السترتين كانتا ثمينتين. سألت ماري عن مجموعة من المتطوعين للمساعدة في مسح الدهان. عرضنا أنا وبيث المساعدة لأن ماري كانت امرأة جيدة فعلت ما بوسعها. عند نهاية اليوم أعطتنا بضعة باوندات نظير عملنا». وأخيراً رفعت نيكولا عينيها. ارتسمت على وجهها ملامح الحزن والحنين في الوقت نفسه.

«لا يمكنكما أن تتخيلا ما الذي شعرنا به. في الصباح التالي مباشرة ذهبنا إلى بلاكيث، إلى السوق. قضينا طيلة النهار نتجول بين الأكشاك مقرّرتين ما سنشتريه. والسترات لم تكن بالشيء الكثير لكنها كانت لنا ملكنا، ومن محل جديد وتميزتا بالجِدّة. ليست ملابس الفتيات الأكبر منّا سناً، أو ملابس مستعملة من المحل الخيريّ. كانت السترتان جديدتين وكانتا ملكاً لنا».

هربت دمعة من العين اليُمنى لنيكولا. أعادت الصورة إلى مكانها، وجففت خدّها.

«يبدو هذا سخيفاً ولا يمكنك حقاً أن تفهمي»...

«بلى، أستطيع». قالت كيم.

ابتسمت نيكولا بتسامح. «لا، أيتها المحققة، أنت حقاً لا يمكنك»...

«أجل، أستطيع حقاً». كرّرت كيم.

التقت نيكولا بنظرتها ونظرت إليها لبضع ثوان قبل أن يبدو عليها الفهم.

«وللإجابة عن سؤالك، كان عمرنا أربع عشر سنة في تلك الصورة».

نظر براينت إلى كيم وأشارت له أن يواصل «هل قضيتما كل الوقت في بيت الرعاية في كريستوود؟» سأل.

حرّكت نيكولا رأسها بالنفي. «لا، كانت والدتنا مُدمنة على الهيروين، وأودّ أن أقول إنها حاولت أقصى ما يمكنها لكنها لم تفعل. إلى أن بلغنا الثانية عشرة، كانت حياتنا مزيجاً من بيوت التبنّي، وبيوت الرعاية المُخصّصة للأطفال، ووالدتنا التي تتعافى من الإدمان فتستعيدنا. أنا فعلاً لا أتذكّر كل شيء جيداً».

تستطيع أن تؤكد كيم من عينيها أنها لم تكن تعاني أي مشكلة في التذكّر.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لكنكما حصلتما على بعضكما بعضاً؟ قالت كيم، وهي تنظر للصورة. طيلة ست سنوات عرفت كيم ذلك الشعور.

وافقتها نيكولا. «أجل، كان لدينا بعضنا بعضاً».

«آنسة أدامسون، لدينا سبب يدعونا لأن نقرر أن الجسد الذي اكتشفناه مدفوناً تحت الأرض هو جسد واحدة من ساكنات كريستوود».

«لا، أنت لست جديّاً». قالت وهي تحرّك رأسها.

«هل هناك أي أمر تستطعين تذكّره من الفترة التي قضيتها هناك، ويمكن أن يساعدنا؟».

كانت عينا نيكولا مشغولتين بالتفكير والبحث عن ذكرياتها.

لم يتكلم واحد منهما لا هي، ولا براينت.

ببطء، قالت نيكولا» صدقاً لا أستطيع التفكير في أي شيء. احتفظت أنا وبيث بكل شيء لنا. لا يوجد أي شيء يمكنني تقديمه».

«ماذا عن أختك؟ هل تعتقدين أنها قد تقدر على مساعدتنا؟».

حرّكت نيكولا كتفيها باستهجان، بينما بدأ جوّال كيم بالرنين. ثانيتان لاحقاً، من بعد، رنّ هاتف براينت. كلاهما ارتبك وقطع الرنين.

«آسف بخصوص هذا». قال براينت. «ما الذي كنا نقوله؟».

«ربّما يمكن لبيث أن تتذكّر شيئاً ما. إنها تقيم معي في هذه الآونة». عاينت نيكولا ساعتها. «يجب أن تكون في البيت خلال نصف ساعة إذا ما كنتما تودّان أن تنتظرا».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بدأ هاتف كيم بالذبذبة في جيبها. «لا، سيكون الأمر على ما يرام». قالت وهي تقف.

«إذا ما تذكّرت أي أمر، أرجوك اتصلي بنا»، قال براينت وهو يقدّم يده.

«بكلّ تأكيد»، قالت وهي تقودهما نحو الباب.

استدارت كيم، عازمة على أن تسدّد تسديدة طويلة. «هل تذكرين أيّ بنت من البنات كان لها غرام خاص بالخرز؟».

«الخرز؟».

«ربّما إسوارة؟».

فكّرت نيكولا للحظة ثم ضغطت يدّها على فمها.

«أجل، أجل، كان هناك بنت اسمها ميلاني. كانت أكبر منّي لذلك لم أعرفها جيداً. كانت واحدة من الفتيات «المرحات»، واحدة من مُسببي المشكلات».

حبست كيم أنفاسها.

«أجل، الآن أتذكّر الخرز. أعطت بعضاً منها لأحسن صديقاتها. كُنّ مثل جمعية صغيرة».

«أجل، بالطبع، كنّ ثلاثاً. كلهن امتلكن الخرز».

شعرت كيم بقلبها يغرق. كانت مستعدّة للمراهنة على أن ثلاثتهن هربن.

الفصل الثاني والأربعون

«اللعنة»، قال براينت عندما دخلا للسيارة.

شعرت كيم بالغثيان. «هل تفكّر في ما أفكّر فيه؟»

«إن كان هناك احتمال جسد آخر كي نجده، فإذاً نعم».

«استبدل كلمة احتمال بكلمة ممكن. وضعت كيم حزام الأمان واستدارت». لقد سجلت تلك الأسماء على ورقة، صح؟».

«أجل»، قال براينت. أخرجت كيم هاتفها وفعل بالمثل.

«اتصالان ورسالة نصيّة من داوسون». قالت.

«اتصالاتي التي تلقيتها أنا من وودي».

كلاهما فتح علبة البريد الصوتي الخاصة به. استمعت كيم إلى صوت داوسون المتحمس، ثم محت الرسالة.

قال براينت «وُودي يريد مني العودة إلى المركز في الفترة الزمنية نفسها، وحسب ما سمعتُ، موهوبة مثلك، فأنت بارعة في التواجد في مكانين في الوقت نفسه».

استدار نحوها. «إذاً، جُوف، العمود ألف، أم العمود باء؟».

نظرت كيم إليه ورفعت حاجباً واحداً.

«أجل، فكّرتُ أن هذا ما ستقولينه».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثالث والأربعون

سحب السيارة إلى رقعة غير معبّدة. لقد احتاجوا لأربعين دقيقة لعبور ثمانية أميال من مركز بيرمينجهام.

فتحت كيم الباب. «تثبّت مع داوسون، تأكد من أنه بخير».

«سأفعل، جُوف».

هرولت كيم باتجاه الخيمة. أصبح الموقع الآن يبدو مثل منطقة امتياز في مهرجان أكثر منه مسرح جريمة. تريّثت كيم عند المدخل. استدارت ونظرت لأسفل التلّ، للمنزل الذي في الوسط، وللسجينة في داخله، ولوّحت بيدها. في حال كانت هناك ورأت تحيتها.

استدارت كيريس عندما دخلت.

نظرت كيم إلى الحفرة. «أين ذهبت؟ سألت، وقد أنّثت الجسد من دون تفكير. لم يكن هناك طريقة أكيدة لمعرفة إن كان هذا الجسد الثاني لأنثى باستثناء حدسها، وكان هذا عادة كافياً بالنسبة إليها.

«الجسد عند دان في الخيمة الأخرى. لقد تم اخراجه قبل نصف ساعة، غربلنا ثلث التراب في الحفرة، وفكرت في أنك قد تريدين أن تعرفي أننا وجدنا أكثر»...

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«خرز»، أنهت كيم جملتها.

«كيف عرفتِ؟».

«هل من أمر آخر؟»، قالت كيم متجاهلة سؤالها.

تنهّدت كيريس بقوة وقالت ببطء «لقد قمنا بمسح كامل للموقع ووجدنا «...

«كتلة إضافية». قاطعتها كيم مُجدداً.

وضعت كيريس يدها اليمنى حول خصرها. «هل يجب عليّ العودة للمنزل الآن وحسب؟».

ابتسمت كيم. «آسفة، أنا فقط مُتعبة. إنه يوم من تلك الأيام. هل ستنتهون من هذه المنطقة الثانية غداً؟».

«أول أمر سأقوم به في الصّباح البدء بالحفر في المنطقة رقم ثلاثة. لم نعلّمها بعد. لا نريد منح النسور سبقاً». قالت كيريس، قاصدة الصحافة. «لا نعرف بعد على وجه التأكيد إن كانت الكتلة الثالثة جسداً آخر».

كانت كيم مُتيّقنة من هذا.

«تتابع الصحافة كل حركة من حركاتنا، لذلك جعلت الرّفاق ينهون المسح، ثم يبعدون الجهاز، ويبتعدون عن منطقة الاهتمام كي لا يثيروا شكّ الصحفيين».

«كيف ستعرفين أين ستحفرين بالضبط إن لم تكوني قد علّمت المنطقة؟»، سألت كيم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لقد قستُ بالأقدام المسافة التي تفصلني عنها انطلاقاً من حدود الخيمة. ثقي بي، سأعرف».

وثِقت كيم بها.

«تتمثل الأخبار الجيّدة في أن الموقع رقم واحد يمكن إغلاقه وإعادة تعبئته بالتراب غداً. أحتاج فقط لتوقيع بخصوص هذا ويمكن انتزاع الخيمة الأولى».

«هل هناك أمر آخر مهم؟».

«بعض القطع الصغيرة من الملابس، جمعتها كلها في أكياس، وعلّمتها بأرقام وأعدتُ إرسالها للمختبر. قد تساعدنا على تحديد الهويّة».

بعد لقائهم بنيكولا، خمّنت كيم أنه سيكون اختياراً من أصل ثلاثة.

«شيء آخر؟».

حرّكت كيريس رأسها بالنفي، وابتعدت.

قدّرت كيم إصرار المرأة. تقبّلت كيم أن دافعها هي كان نابعاً من شيء آخر أكثر من الحاجة لحلّ هذه القضية. حاولت إقناع نفسها بأنه لا يوجد فرق، لكن كان هناك فرق. لقد عرفت ألم ماضي هؤلاء الفتيات. ولا واحدة منهن استيقظت ذات يوم واختارت المُستقبل المُخطَّط لهن. ولم يكن من الممكن نسب سلوكهنّ إلى عام محدّد،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

شهر، يوم، أو وقت. كانت رحلة تدريجية بين القمم والقيعان إلى أن تخنق الظروف الأمل في نهاية الأمر.

تذكّرت كيم كيف سُمّيت فقط «طفلة». كلهم في مراكز الرعاية تمّت تسميتهم «طفل» بالتالي لا يضطر الموظفون إلى تذكّر أسمائهم.

فهمت كيم أن دافعها في هذه القضيّة قد انبثق من حاجة للبحث عن العدالة لأولئك الأطفال المنسيّين، وأنها لن تبطئ إيقاعها إلى أن تحقق تلك العدالة.

وقد قدّرت أي شخص حاول أن يحافظ معها على هذا الإيقاع.

«كيريس»، قالت كيم عندما وصلت للمخرج. «شكراً».

ابتسمت كيريس.

توجهت كيم إلى خيمة المُعدّات. كان دانيال مواجهاً لها بظهره لكنها استطاعت أن ترى أنه كان برفقة اثنين آخرين مشغولين بترقيم أكياس بلاستيكية.

«أيها الدكتور، ما الذي حصلت عليه؟».

«ماذا، لا شتائم، لا إساءات؟».

«انظر، أنا متعبة لكني متأكدة أنني أستطيع جمع»...

«لا، هذا حسن. اليوم أستطيع العيش من دونها».

لاحظت كيم أن الطبيب كان أكثر تجهّماً من العادة. كانت كتفاه

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

منحنيتين قليلاً بينما كان يغلقُ بإحكام كيساً بلاستيكياً احتوى على الهيكل العظميّ. وكانت هناك شرائط بيضاء عليها علامات سوداء سُجِّل عليها الموقع والعظام.

اقترب مساعده من غطاء صندوق التخزين لكن دانيال قال له «ليس بعد».

كانت كيم مرتبكة. سبق أن رأت أجساداً مجمّعة من قبل، حيث توضع العظام الأثقل أسفل الصندوق، ويوضع فوقها الأخفّ وزناً بالترتيب تصاعديّاً، بحيث تكون العظام الأكثر هشاشة في الأعلى.

عادة يكون الهيكل العظميّ آخر شيء تتم تعبئته.

وقفت إلى جانبه بينما كان يقترب من صندوق بحجم صندوق حفظ السنادويتش، سبق أن فرش بداخله منديلاً ورقيّاً. مجموعة من العظام الصغيرة كانت مُكوّمة أقصى يمين الطاولة. ارتجفت يده قليلاً.

«راشد، أم غير راشد؟». سألت كيم.

«بالتأكيد غير راشد. لا أستطيع أن أقدّم لك أي فكرة في هذه اللحظة كيف ماتت. في الفحص الأول لا توجد أي علامات واضحة للعنف على جسدها».

كان صوته هادئاً وقد تحكّم فيه.

شعرت كيم بالتشوّش للحظة. «انتظر لحظة، أيها الطبيب. لأن أول ضحية لدينا كانت يافعة لم أكن أستطيع أن أفرض عليك تحديد

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

إن كانت أنثى أم ذكراً، لكنك فجأة تشير إلى هذه الضحية الجديدة كأنثى حتى من قبل أن تأخذ العظام إلى المختبر؟».

خلع نظاراته وفرك عينيه. «هذا صحيح. ليس لديّ أي شك في تأنيث الضحيّة رقم اثنين، أيتها المُحققة».

ثم نظر إلى صندوق الساندويش «لأن هذه السيّدة الصغيرة كانت حُبلى».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الرابع والأربعون

«يا لهذا اليوم الدمويّ»، قال براينت، وهو يركنُ السيارة في المنطقة الخلفية من المركز. كانت تلك أول كلمات تُنطق منذ غادرا الموقع. «كان داوسون هادئاً جداً هناك».

«هل أنت متفاجئ؟».

بدوره لم يستطع داوسون رفع عينيه عن الصندوق الأصغر إلى أن استقرت العظام في الصندوق الأكبر بجانب عظام الأم.

«عدْ إلى البيت، براينت. سأذهب لرؤية وُودي وبعدها سأعود للمنزل بنفسي».

كان الوقت قد تجاوز السابعة، وقد شارفا على دخول ساعتهم الثالثة عشرة من يوم العمل السادس. ودّ براينت لو ظل بجانبها، لكن كان لديه عائلة أمّا هي فلا.

استعملت آخر دفقة من طاقتها لصعود الدرج حتى الطابق الثالث. طرقت الباب وانتظرت.

بينما ناداها وودي لتدخل تعجّبت كيم من درجة تحكّمه في غضبه التي احتوتها مفردة «ادخلي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت الكرة الخاصّة بتخفيف التوتر في يده مسبقاً عندما اتخذت كيم مجلسها.

«هل رغبت في رؤيتي، سيّدي؟».

«منذ ثلاث ساعات، عندما اتصلتُ، كان ليكون هذا ملائماً أكثر» زمجر.

نظرت كيم إلى يده اليمنى، وأمكنها أن تقسم بأنه كان بإمكانها أن تسمع الكرة الخاصة بالتوتر تبكي طالبة الرحمة.

«كان هناك تطورات في الموقع تطلّبت»...

«ستون لقد كنت شاهدة في حادث صادم».

«قيادة براينت ليست بذلك السوء»، أجابت بضعف. لقد كان يوماً طويلاً.

«اصمتي. أنت واعية تماماً بالإجراءات وبضرورة عودتك للمركز لأجل الاستجواب ولفحص السّلامة».

«كنتُ على ما يُرام، اسأل براينت»...

«ستعذرينني إذا ما اخترتُ ألا أضيّع وقتي بهذا». جلس ونقل كرة التخلص من التوتر إلى يده اليسرى. اللعنة، لم تخرج من الغابة بعد.

«لديّ التزام، واجب العناية، الأمر الذي تجعلين تحقيقه مستحيلاً. يجب أن أقدم لك الدعم والمشورة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«عندما أحتاج لأحد يخبرني ما الذي يتوجب عليّ أن أشعر به سأحرص على إعلامك».

«ألا تشعرين بشيء من الممكن أن يكون هو المشكل، ستون؟».

«هذا ليس مشكلاً بالنسبة إلي، سيّدي».

مال إلى الامام وعينيه مركزتان عليها: هذا ليس صحيح حاليا لكن في النهاية ستأثر السلبيّة عليك وعلى قدرتك الوظيفية».

شكت كيم بهذا. كانت هذه هي الطريقة التي لطالما تعاملت بها مع الأمور. كانت تجمع الأمور السيئة بعيداً في صناديق وتغلق عليها بإحكام. كان السرّ يتمثل في عدم فتحها أبداً للصناديق وسؤالها الوحيد لماذا لا يعتمد الناس طريقتها.

يقول المثل القديم إن الزمن سيتكفل بكل شيء. وقد امتهنت فنّ السيطرة على الوقت. في الوقت الفعلي فشلت في إنقاذ حياة آرثر كونوب قبل سبع ساعات، لكن النشاط الكثيف الذي قامت به حلال هذه الساعات أبعدها عن الذكرى. داخل عقلها، يمكن أن يكون الحادث قد وقع الأسبوع الماضي. وانطلاقاً من هذا، كان الحدث أبعد بكثير في ماضيها مما قد يعتقده وُودي.

«سيّدي، شكراً لاهتمامك لكنني حقاً على ما يُرام. أتقبّل أنه لا يمكنني إنقاذ الجميع، ولا أضرب نفسي عندما يموت الناس».

رفع وودي يده قائلاً «ستون، هذا يكفي. لقد اتخذتُ قراري.

فور انتهاء هذه القضية ستبحثين عن استشارة نفسية، أو ستواجهين الأيقاف».

«لكن»...

«إن لم تقومي بهذا فإن الأمور السيّئة في الداخل ستحطّمك».

ما حملته بداخلها كان أمراً لا يعني أحداً سواها. تمّ احتواؤه والإقفال عليه وحبسه. كان خوفها الوحيد في تركها تخرج. أن تحرر ما بداخلها سيكون بكل تأكيد علامة على تحطّمها.

تنهّدت بقوّة. كان هذا صراعاً ستؤجله ليوم آخر.

«لن يكون هناك أي نقاش إضافي بخصوص هذا الموضوع، لكن قبل أن تنصرفي، هناك أمر آخر».

«رائع»، فكّرت.

«لقد تلقّيت اتصالاً من مدير الشرطة الذي تلقّى بدوره اتصالاً من قائد الأمن، وكلاهما يريدك خارج هذه القضيّة». عاود الجلوس. «إذاً، أخبريني من الشخص الذي أزعجته اليوم بالضبط؟».

لم يكن هناك من فائدة في الكذب عليه. كان من الواضح أن أحدهم لديه علاقات قويّة.

«سيّدي، أستطيع أن أقدّم لك قائمة لكنها لن تكون مُفصّلة. ومع ذلك، الشخص الوحيد الذي أعلم بأنني أثرت غضبه بكل هذا القدر سيكون ريتشارد كروفت، لكنني لا أتخيّل أن لديه ذلك النوع من العلاقات والتأثير».

كانت هناك استراحة قصيرة عندما تلاقت أعينهما. زوجته، قالا، معاً في الوقت نفسه.

«ما الذي قلته له؟».

«العديد من الأمور»، أجابت مفكّرة في أن زوجته يجب أن تكون تحبّه كثيراً في نهاية الأمر .

«هل هو شاهد، أم مشتبه فيه؟».

«القليل من الاثنين».

«اللعنة، ستون. متى ستتعلمين أن هناك عاملاً للأمور السياسيّة عندما يتم التحقيق عند هذا المستوى؟».

«لا، سيّدي، يوجد عامل الأمور السياسية عند التحقيق على مستواك أنت. أمّا مستوأيا أنا فما زال يتمثل في كشف الحقيقة».

حدّق بها وُودي متجهّماً. حين قالت ذلك لم تقصد كيم المعنى الذي رنّت به الجملة. اعتمدت على حقيقة أن وُودي يعرف أنها لم تقصد هذا، واختارت ألا تفتح فمها.

سألت «إذاً، هل ستتبع التعليمات وتخرجني من القضية؟».

«ستون، أنا لا أحتاج إلى حثّ منك كي أتمتع بالحسّ السليم. لقد سبق أن تمّ الردّ عليهما بأنك ستواصلين الإشراف على هذه القضيّة».

ابتسمت كيم. كان يجب عليها أن تعرف هذا.

«من الواضح أن لدى المستشار أمراً يخفيه، وإلا فإنه لم يكن ليطلق سراح كلب الحراسة خاصّته».

للمرّة الأولى منذ أيام، منحها وُودي ظل ابتسامة. «إذاً، أعتقد أنه من الأفضل أن أحرر كلب الحراسة خاصّتي».

«أجل، سيّدي»، قالت كيم، مبتسمة.

الفصل الخامس والأربعون

نقّلت كيم نظرها بين براينت وستايسي. «حسناً، إنه يوم جديد. سيذهب داوسون مباشرة إلى الموقع وسيتصل عندما يكون هناك المزيد لإعلامنا به».

«إذاً، لنلخص الأمور. من بين الأعضاء الستة لكريستوود الذين حدّدنا هوّياتهم، لم يتبق إلا اثنان، ريتشارد كروفت، وويليام بايني. ولا أظنّ أننا سنحصل على المزيد من ريتشارد كروفت. لكنه بالتأكيد يخفي شيئاً ما».

«جُوف، اثنان من مطالب الاعتراضات على مشروع التنقيب الخاص بالبروفيسور قدّمتها الشركة القانونية «ترايفيس، دُون وكوهين».

«شركة زوجة كروفت؟».

وافقت ستايسي بإيماءة «إنها تعمل تحت اسمها الأوسط كوهين».

«إذاً، فمهما كان الأمر الذي يخفيه، فهي تعرفه».

«هل تستحق زيارة إلى مكتبها، جوف؟»، سألها براينت.

«سبق أن حاولت إخراجي من القضية ولن أمنحها ذخيرة إضافية. لن نحصل منها على أية مساعدة. مهما كان الأمر الذي يخفيه كروفت، فإن زوجته جزء منه وستسدّ علينا الطريق عند كل منعطف».

«إلى أي مدى تعتقدين أنها قد تصل؟».

«هذا يعتمد على مستوى الخراب المُحتمل». أجابت كيم، متذكّرة المنزل الفخم والسيارات، من دون نسيان السيرة المهنيّة.

وقفت كيم عند اللوح الذي قُسّم إلى قسمين. كان القسم الأول قد قُسّم بدوره إلى أربعة. تفاصيل تيريزا وايت، وطوم كورتيس شغلت المربّعين الفوقيين. بينما شغلت تفاصيل ماري أندروز، وآرثر كونوب المربعين اللذين في الأسفل.

«هل وصلنا أي شيء من التحليل الجنائي الخاص بآرثر؟». سألت كيم.

«وجدوا زجاجاً مكسوراً من المصباح الأمامي وبعض الجزيئات من دهان أبيض عالقة في ساق بنطاله. وهم يحاولون تحديد أصلها الآن.

حدّقت كيم بقوة في الجانب الثاني من اللوح. وعلى الرغم من عجزها عن إثبات قتل ماري أندروز وآرثر كونوب، إلا أنها كانت تعرف أن ميتتيهما مرتبطتان بأمر شرير حصل قبل عشر سنوات.

ما الذي فعلتموه؟». سألتهم جميعاً بصمت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت الجهة المعاكسة من اللوح مقسومة إلى اثنين، وقد حملت تفاصيل الأجساد المدفونة التي تم استخراجها. عرفت كيم أن اللوح سيُقسم من جديد قبل نهاية اليوم.

ثلاثة أسماء كتبت على جنب.

ميلاني هاريس.

ترايسي مُورغان.

لويز دُونستون.

«كيف تمضي عملية تحديد الهويّات؟». سألت ستايسي وهي تتابع نظرة كيم.

من دون أن تستدير قالت كيم: «يبدو أن البنات الثلاث كونَّ مجموعة مقرّبة. آمل أن يقدر الدكتور بايت على أن يقدم لنا أدلّة أكثر لتحديد هوية كل فتاة».

«هل تظنين أنه هناك أكثر من ثلاث، جُوف؟» سألت ستايسي.

هناك سبب ما يجعل مجموعة معيّنة مستهدفة. فكّرت كيم بصمت.

«هل تستطيعين إيجاد معلومات أكثر عن ثلاثتهن في الفيسبوك من دون أن يتم كشفك؟

«أوه أجل. عندما سألتُ إن كان أحدٌ قد تذكّرني، سألت إحدى الفتيات إن كنتُ أنا تلك الفتاة السمراء الصغيرة الخجولة ذات النظارات السميكة التي تتلعثم في الكلام. فأجبتُها بأنني هي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«وما الذي اكتشفته بخصوص القس؟».

«القس الوحيد الذي استطعت أن أجده، ولديه علاقة بكريستوود هو فيكتور ويلكس، الرجل قام بعمل خيريّ ما. وقد برز اسمه في بعض المنشورات على الفيسبوك. وقد أشارت إليه جميع الفتيات بمودّة باسم «الأب». وقد اعتاد أن يزور المكان مرة في الشهر ليقدّم خدمة قصيرة للفتيات».

«أي نوع من الخدمات؟».

«من الصعب أن أعرف. وجدت أنه قضى بضع سنوات في بريستول، وبضع سنوات أخرى في كوفنتري، وسنة في مانشستر. أرسلت ببعض الإيميلات لأرى إن كنت أستطيع الحصول على المزيد من المعلومات».

«أين هو الآن؟».

«دادلي».

«منذ متى؟».

نقرت ستايسي على لوح المفاتيح. «منذ سنتين».

«هل لديك عنوان؟».

مررت لها ستايسي قطعة من الورق سُجل عليها العنوان، بينما ردّ برايانت على اتصال هاتفي.

«جوف، كان هذا الاتصال من مكتب الاستقبال. لديك زائر».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تجهّمت كيم. لقد كانت مشغولة جداً كي تترك كل شيء من أجل نزهة.

«عاود الاتصال بهم و»...

«جوف، زائرتك هي بيثاني أدامسون، وعلى ما يبدو أنها منزعجة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السادس والأربعون

«هل يمكنني أن أساعدك؟». سألت كيم عند مكتب الاستقبال.

استدارت المرأة فتراجعت كيم مباشرة. ولم يكن هذا بسبب مقدار التشابه بينها وبين نيكولا، فقد كانتا توأماً متطابقاً. لكن المفاجأة كان مردّها قلة تشابه مظهر الأختين.

لم تقدّم المرأة يدها لتصافحها. «اسمي بيثاني أدامسون وأريد التحدّث إليك».

تراجعت كيم نحو الرواق وأشارت لبيثاني أدامسون بأن تتبعها.

رنّ صوت رتيب لعكاز خلفها، بينما اتجهت لقاعة المقابلات رقم اثنين. نقرت كيم رقم المفتاح الإلكتروني للباب، وأمسكت بالباب مفتوحاً. دخلت المرأة متجاوزة إياها، ومرتكزة على العكاز في يدها اليمنى.

لاحظت كيم أن حذاء بيثاني كان مُسطّحاً وعملياً ومرتفعاً حتى ركبتيها. كانت بينيث ترتدي جينزاً أسود فضفاضاً. وغمرت سترة شتوية ضخمة الجسد الضئيل الذي بدا أكثر هشاشة مقارنة بجسد أختها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ليس لديّ الكثير من الوقت، آنسة أدامسون».

«ما سأقوله لن يحتاج إلى الكثير من الوقت، أيتها المحققة».

تفاجأت كيم من قوة حضور لهجة البلاك كاونتري في كلامها.

أشارت لها كيم بالجلوس، بينما تفحّصت مظهر المرأة. لو لم تكن تعرف أنهما توأم لكانت قد فكرت في أن بيثاني كانت الأخت الكبرى لنيكولا وأنها كانت أكبر منها بكثير.

كان الشعر الأشقر مسحوباً إلى الخلف بشدة على شكل ذيل حصان، وبدت جذور شعرها غير مغسولة ودهنية. وجه بيناثي، على الرغم من تطابق بنيته مع وجه نيكولا، إلا أنه بدا أنحف وأكثر قسوة من وجه أختها.

لم يكن تقسيم حصص الحيوية والكاريزما لمصلحة هذه الأخت التوأم.

لاحظت كيم كأن المرأة أراحت ثقلها كله على العكاز. أشارت كيم للمقعد كي تجلس لكن بيناثي رفضت.

ظلت كيم واقفة أيضاً. واجهتا بعضهما بعضاً عبر الطاولة المعدنية.

«تحدّثتِ مع أختي البارحة».

صُدمت كيم للخشونة التي شاهدتها على وجه المرأة. كانت شفتاها رقيقتان، وجعل التجهّم حاجبيها أكثر اقتراباً من بعضهما بعضاً.

أومأت كيم مقرة «برز اسماكما خلال تحقيق نقوم به حالياً».

«لا يوجد أي شيء لنخبرك به».

تآمرت معها كيم قائلة: «كيف يمكنك معرفة هذا؟».

التقت نظراتهما. كانت عينا بيثاني أدامسون باردتين ومن دون مشاعر. لا توجد فيها لا مشاعر غضب، أو شغف. عينان ميّتتان وعنيدتان فقط. كان جليّاً أن هذه المرأة لم تجرّب قط لحظة فرح في حياتها.

«أعرف وحسب».

شبكت كيم ذراعيها. «كانت أختكِ أكثر تعاوناً معنا».

«حسناً، إنها لا تفهم، هل تفهم؟».

«تفهم ماذا؟».

تنهّدت بيث بقوة. «كانت سنواتنا الأولى صعبة. وُلدنا لأم عاهرة من الطراز الأول، كانت تدخلنا وتخرجنا من بيت العناية الاجتماعية مثلما يفعل أحدهم بالكتب من المكتبة. وكوننا أصبحنا أكبر فإن فرصنا في أيّ حياة حقيقية مهما كان نوعها قد تلاشت. لأنه لم يكن مرغوباً فينا. كل ما حصلنا عليه كان علاقتنا مع بعضنا بعضاً».

«أفهم هذا، آنسة أدامسون، لكن»...

«لم تكن سنواتنا في كريستوُود أسعد أوقاتنا، ولا يمكنك أن تفهمي شعور أن تولدي لأم تريدك فقط من أجل البدل المالي المخصّص للأطفال».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

التقت عينا المرأة بنظرة كيم ولم تتركها.

«لم نحظ في طفولتنا بأي حبّ، أو استقرار، ولا نريد مواصلة تذكّرها. ما من واحدة منّا تريد هذا».

فهمت كيم أكثر مما ودّت الاعتراف به. فعلى الرغم من سلوك المرأة، كانت كيم متلهفة لإخراج ما في أعماقها. لقد فهمت كيم جيداً السلوك الدفاعي للمرأة ومن أين يأتي. لكن كان لدى كيم جثث قديمة وجديدة مُتكوّمة حولها.

«ماذا حدث في ذلك المكان، بيث؟». سألت كيم بهدوء.

«اسمي آنسة أدامسون إذا لم تجدي مانعاً، وما حدث هناك أمر عليك أن تكتشفيه بنفسك، أيتها المحققة، لكن لا تورطيني أنا، أو أختي. لن يكون هذا جيداً بالنسبة إلى كلينا».

«حتى لو كان هذا سيساعدنا على الإمساك بقاتل؟».

«لم يُسجل أي انفعال على الوجه الميّت، ولا حتى ذاك. إن أختي مؤدّبة جداً كي تطلب منك هذا لكنني لستُ كذلك. لهذا دعينا وشأننا».

«لو استوجب هذا التحقيق التحدث مُجدداً إلى واحدة منكما»...

«لن أفعل هذا لو كنتُ مكانك. إن لم تتركينا وشأننا، أعدكِ بأنك ستندمين على هذا».

عبّرت بيثاني أدامسون المسافة التي تفصلها عن الباب بسرعة مُفاجئة. غادرت حتى قبل أن تستوعب كيم أنها هُدِّدت.

بدلاً من تحذير كيم، ولّدت كلمات المرأة لديها الشعور المعاكس بالضبط.

الآن أصبح هناك سؤال آخر يحترق بداخلها.

لقد مرّت كل من نيكولا وبيث بالطفولة نفسها، لكنهما مثل فصلين متضادّين من السّنة. إذاً، ما الأمر الذي وقع بحق الجحيم كي يجعل من بيثاني أدامسون هذا الشخص العدائي والبغيض؟

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السابع والأربعون

يقع سكن «ذي هوليتري» بين «برايرلي هيل» و«ووردسلي». كان مجلس التنمية كله الذي بُني أول السبعينات، ممتداً على مساحة ميلين، وقد أصبح الآن منزلاً على الأقل لثلاثة مرتكبي جرائم جنسيّة من المسجلين في قائمة المجرمين.

عند دخولها، كانت كيم تتذكّر دائماً دوائر الجحيم التي تحدّث عنها دانتي. تشكّلت الطبقة الخارجية من منازل مُسبقة الصنع رماديّة اللون، وقد كانت نوافذها إما مكسورة، وإما مكسوّة بألواح خشبيّة، أو مُسيّجة بالقضبان. كانت الأسيجة التي تفصل بين المنازل قد اختفت منذ وقت طويل. واستُعملت حدائق المنازل الفارغة كمكبّ مناسب للقُمامة من قبل السكّان المحليين. وانتشرت على الطريق سيّارات قديمة.

أما الطبقة الداخلية، فتشكلت من شُقق صغيرة، بحيث شكّلت كل اثنتي عشرة شقة وحدة سكنية. وتنافس كل حائط خارجي على رش الوسخ حيث عرضت تفاصيل عن العصافير، والنحل، أكثر مما يقدمه منهاج المدرسة. كانت هذه معركة حارب فيها المجلس وخسر. لم تحتج كيم لمغادرة السيارة كي تشمّ رائحة العفن المنتشرة في الأروقة

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

التي وُزعت فيها الأدوية أكثر من الموجودة في صيدليات «بوتس». ووسط المنطقة كان هناك ثلاثة مبانٍ عالية ارتفعت فوق بقية المباني.

«تعرفين، جُوف، لو صحيح أن «تُولكين» قد أطلق تسمية الجزر المظلمة لمُوردو بعد تسمية البلاك كاونتري، فمن المؤكد أنه نظر في هذا الاتجاه».

لم تعترض كيم. لقد كانت هذه هي الأرض التي نسِيها الأمل. عرفت هذا جيداً لأن هُوليتري كانت بيتها أوّل ست سنوات من حياتها.

ركن برواينت السيارة أمام صف من المباني التي كانت ذات مرة مَحال لخدمة السّكان. كان آخر محل أغلق محل بيع الجرائد بعد أن تمّ السطو عليه بسكين أشهره صَبِيّان يبلغان من العمر اثنتي عشرة سنة.

ثمّة مجموعة من سبع بنات في منتصف مراهقتهن يتجوّلن قريباً من المدخل. ملأن الباب بأجسادهنّ وتصرفاتهنّ، على حد سواء. نظر براينت إليها، وابتسمت كيم كردّ عليه.

«لا تقسي عليهن، أوكي، جُوف؟».

«بالطبع لن أفعل».

تراجع براينت بينما وقفت كيم بجانب قائدة المجموعة. كان شعرها ملوناً بثلاث درجات من البنفسجيّ، وكانت بشرتها اليافعة التي لا تغمرها التجاعيد، مزيّنة بالحلقات المعدنية.

أخرجت يدها قائلة :» معلوم الدخول».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

التقى نظر كيم بنظرتها وحاربت كي تكبح ابتسامتها. «كم؟».

«مئة؟».

حركت كيم رأسها بالرفض. «لا، هذا كثير. هناك كساد اقتصادي، تعرفين».

ابتسمت الفتاة بتكلّف وشابكت ذراعيها. «لأجل هذا سأحافظ على الأسعار مرتفعة».

قهقهت الفتيات المقرّبات منها بسخرية وتلاكزن فيما بينهن.

«حسناً، أجيبي عن سؤال بسيط وستحصلين على صفقة».

«لن أجيب عن أسئلة لأنك لن تدخلي أيتها العاهرة».

رفعت كيم كتفيها بلا مبالاة، وبدأت تستدير. «حسناً، سأمشي مبتعدة وحسب، لكن على الأقل حسب طريقتي حظيتِ بفرصة».

كان هناك تردّد لثانية «حسناً هيّا تكلّمي؟»

استدارت كيم عائدة ونظرت للوجه المتلهف للمال.

«أخبريني كم ينبغي عليّ أن أدفع إذا ما طلبتُ أن تمنحينني خمس عشرة في المئة كتخفيض؟»

بدا التشوّش على ملامح الفتاة . «أنا لا أعرف الـ»...

«انظري، لو ذهبت للمدرسة، لكنتِ قادرة على أن تبتزي نقوداً أكثر». مالت كيم نحوها بحيث فصل إنش فقط بين وجهيهما. «الآن ابتعدي من الطريق قبل أن أسحبك من الخاتم المعلق في أنفك».

حافظت كيم على صوتها خافتاً، وسمحت لعينيها بأن تقوما بالعمل.

حدّقت فيها الفتاة دقيقة كاملة. لم ترمش كيم.

«هيّا بنا، يا فتيات هذه العاهرة لا تستحق». قالت وهي تتحرّك نحو اليسار. تبعتها المجموعة.

عندما أفسح المجال أمامها، استدارت كيم. «أيتها السيدة، عشرة مقابل مراقبة السيّارة».

تردّدت الفتاة لكن فتاة ثانية لكزتها من الخلف. «اتفقنا»، زمجرت.

تبعها برايئت إلى المبنى. ما من شيء ذو قيمة إلا وقد انتُزع، بما في ذلك ألواح الأسقف. كان هناك شقّ من سبع أقدام عبر من الزاوية اليمنى ليصلُ حتى وسط الحائط الخلفيّ. ووقف ثلاثة رجال في الزاوية المعاكسة. استداروا كلهم. بدا عليهم الذعر، وتجاوزوهما باتجاه الباب. يتمتعُ المجرمون المحترفون مثل الكلاب البوليسيّة بالقدرة على شمّ رائحة الشرطة من على بعد البلد المجاورة.

«هل كان هذا بسبب شيء قلناه أيها الصبيان؟» سأل برايئت.

واحد منهم امتص الهواء من خلال أسنانه كعلامة على عدم الاحترام، وحركت كيم رأسها بلامبالاة. لقد كان الشعور مُتبادلاً.

تعرفت كيم إلى الرجل المُتبقي، كان هو الرجل نفسه الذي كان موجوداً في فرن حرق الجثث في اليوم الذي لاحقا فيه جسد ماري أندروز.

«القس ويلكس، لم أتعرف إليك بملابسك هذه»، لاحظ براينت بسخرية.

ابتسم فيكتور ويلكس بتسامح غير خفي إزاء التعليق الذي من الأكيد أنه سمعه من قبل مرات كثيرة. بالرغم من أن براينت لم يجانب الحقيقة. فبارتدائه للجلباب الخاص بالمعبد، كان وجه ويلكس يبدو للحظة وجهاً يبعث على التبجيل والاحترام ويبعث على الإحساس بالألفة. أمّا هنا، في محيطه العادي، فقد كان يبدو رجلاً عادياً، مجرّد كهل. تقديرها الأول له في المحرقة وضعه في أواخر الخمسينات من عمره، ولكن الآن ومن دون الزيّ بدا أصغر بعشر سنوات. ملابسه المريحة التي تمثلت في جينز فاتح اللون وبلوزة زرقاء، بيّنت جسداً فيه عضلات أكثر من الدهن.

«هل يمكنني أن أقدّم لكما شراباً؟»، سأل وهو يشير إلى وعاء فضيّ.

لاحظت كيم آخر إصبعين من يده اليُمنى. لقد كانتا ملتويتين نحو الأسفل مثل خُطّاف صنّارة صيد. كانت هذه إصابة سبق أن شاهدتها كيم من قبل في مفاصل الذين يمارسون المصارعة الحرّة. هذه الإصابة تضافرت مع طوله المتوسط لتُخمّن كيم أنه مارس المُلاكمة في فترة ما من حياته.

نظرت كيم للوعاء ولكزت براينت فأجاب «لا شكراً، أيها القس... أقصد أيها الكاهن»...

«فيكتور، أرجوك».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ما الذي تفعله هنا بحق الجحيم؟»، سألت كيم. ما من شخص عاقل كان ليدخل إلى هذه المنطقة باختياره.

ابتسم. «أحاول أن أمنح الأمل، أيتها المُحققة. هذه المنطقة هي من أكثر المناطق حرماناً في البلاد. أحاول أن أريهم أن هناك طريقة أخرى. من السهل أن نلقي بالأحكام على الآخرين لكن بداخل كل شخص يوجد جزء طيب، عليك أن تبحثي فقط».

آها، ها هي، فكّرت بينما تغيّر صوته إلى نبرة أسلوب إلقاء موعظة.

«ما هو معدل نجاحك؟». سألت كيم متضايقة. «كم روحاً أنقذت؟».

«أنا لا أتعامل بالأرقام، عزيزتي».

«لحسن الحظ،» قالت، وهي تطوف في الغرفة.

بدأ براينت بالحديث حول التحقيق.

«نفهم أنك كنت تزور كريستوُود بانتظام، وتتحدث مع الفتيات؟».

«هذا صحيح».

«نحن أيضاً نفهم أنك كنت تنوب عن ويليام بايني؟».

«هذا أيضاً صحيح. جميعنا وقتها كنا نعمل بالنيابة عنه. كان في وضع لا يُحسد عليه، أنا متأكد أنك ستتفقين معي بهذا الخصوص. التزامه بالاعتناء بابنته مثير للإعجاب. إنه يشعر بالامتنان الأبديّ

لحياة لُوسي. ويرعاها بلا تعب، أو كلل. كل الموظفين قاموا بأفضل جهدهم لدعمه. فكّر للحظة ثم أضاف. «حسناً، أغلبية الموظفين».

أنهت كيم جولتها في الغرفة ثم وقفت إلى جانب براينت. «بالحديث عن الموظفين، هل يمكنك أن تخبرنا من كان يعمل هناك خلال الفترة التي كنت فيها مَعنياً بكريستوُود؟».

مشى فيكتور باتجاه الوعاء المعدنيّ، ولم تستطع كيم أن تسيطر على دهشتها لعدم سرقته.

وضع كيس شاي في كوب بلاستيكي. «ريتشارد كروفت كان قد عُيّن وقتها حديثاً في منصب المدير. كان دوره إدارياً على المستوى الأول. أعتقد أن دوره تلخص في الضغط على المصاريف وتحسين فعاليّة المنشأة. كان لديه تواصل ضئيل مع الفتيات، وهكذا أراد الأمر أن يكون. لطالما شعرت بأنه لم يتحرّك من مكتبه، وبأنه كان دائماً مستعجلاً على الانتهاء من العمل».

«ماذا بشأن تيريزا وايت؟».

«حسناً بالطبع، كان هناك خصومة بينهما الاثنين. كانت تيريزا تأمل بالحصول على وظيفة المدير، وبالتالي كانت مستاءة من حصول ريتشارد على المنصب».

حرّك ويلكس كيس الشاي. «لم تكن تيريزا امرأة دافئة بصفة خاصة، وقد اصطدمت هي وريتشارد مباشرة. كرها بعضهما بعضاً والجميع عرف بهذا الأمر».

مثير للاهتمام، فكّرت كيم، لكنه لا يفسّر أن هناك اثنين، ومن الممكن ثلاث بنات مدفونات تحت التراب.

«نعتقد أن تيريزا كانت حادّة الطباع قليلاً»..

حرّك فيكتور كتفيه بلامبالاة ولم يقل شيئاً.

«هل رأيت أي دليل على هذا؟».

«لا، لم أشاهد هذا بصفة شخصية».

«لكن شخصاً آخر فعل؟»، دفعت كيم بالحديث.

تردّد ثم فتح يديه. «أنا لا أرى أيّ أذى قد يحدث الآن إذا ما أخبرتكم بالتالي. حيث حدثتني تيريزا عن شكوى وشيكة ستُوجّهُ ضدها. وسبق أن سمعت همسات بأن كان هناك صفعات على فترات مُتباعدة، أو دفع على الأرض عندما يخرج التوتر اسوأ ما في تيريزا. لكن هذه الشكوى كانت أمراً مختلفاً. حيث لكمت الفتاة بقوّة في معدتها إلى درجة أنها سعلت دماً».

شعرت كيم بأن قدمها بدأت تنقر على الأرض. وضعت يدها على ركبتها كي تجعلها ثابتة.

«وكانت تلك هي الشكوى؟».

حرّك رأسه بالنفي. «لا، لم تكن تيريزا قلقة بخصوص الهجوم بقدر ما كانت قلقة عن الاستنتاج الذي سيُفهم من الشكوى».

«وماذا كان الاستنتاج؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أن تيريزا وايت ضربت الفتاة لأنها رفضت ممارسة الجنس».

«وهل فعلت هذا؟».

بدا فيكتور غير متأكد. «لا أظن هذا. كانت تيريزا صادقة معي بخصوص الهجوم. واعترفت بما قامت به بالضبط، لكنها أقسمت أن هذا لم يكن له علاقة بالجنس. كانت تعرف أن مثل هذا الادّعاء سيحطمها. مثل هذه اللطخة ستلتصق باسمها لبقية حياتها».

أغلقت كيم عينيها وفكرت. لم تتوقف الأسرار عن الانكشاف.

«من كانت المشتكية؟»، سألت كيم. كانت لتراهن على درّاجتها النارية وبيتها وعملها بأنها كانت واحدة من الفتيات الثلاث.

«لم تبح لي بهذا، أيتها المُحققة. كان الحديث الذي أجريناه لمصلحتها فقط. أرادت أن تتحدث لتُوضح الأمور داخل نفسيّتها فقط».

بالطبع فعلت هذا، فكّرت كيم. لم تفكّر تيريزا وايت بكل تأكيد في قول الحقيقة.

«ماذا بخصوص طوم كورتيس؟»، سأل براينت.

فكّر فيكتور للحظة. «أوه، تقصد الطبّاخ؟ كان شخصاً هادئاً نوعاً ما. لم يتخاصم مع أحد. كان نوعاً ما حملاً وديعاً، كما أفترض أنكم قد تسمونه. طُرد بضع مرات لأنه كان حميمياً أكثر من اللازم مع الفتيات».

«حقاً؟»، سألت كيم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كان في منتصف عشريناته، وأصغر موظف هناك، بحيث كان أفضل من يستطيع التواصل معهن. البعض فكّر ربما أفضل أكثر من اللازم، لكن كانت هذه مجرد إشاعة، لذلك أفضل ألا أضيف تعليقاً».

«لكن بكل تأكيد لديك رأي حول الموضوع».

تصلّب وجه فيكتور وأصبح قاسياً، وحرك يده اليمنى في حركة رفض. «لن ألوّث اسم رجل ميّت عندما لم أر بنفسي أيّ دليل على على عمل غير لائق».

«هل نستنتج أن الآخرين فعلوا هذا؟».

«ليس أنا من يتوجب عليه قول هذا، ولن أتأمل في الموضوع».

«فهمنا، فيكتور»، هدّأه برااينت. «من فضلك أكمل».

«ماري أندروز كانت نوعاً ما امرأة غير عقلانية، وعلى الأرجح منحت الفتيات معظم الاهتمام. كانت حازمة، لكنها كانت مُحبّة ومُتواجدة عند الحاجة أيضاً. لم يكن هذا مجرد عمل بالنسبة إلى ماري».

«وآرثر؟».

ضحك فيكتور. «أوه، آرثر كونوب، لقد نسيت أمره تقريباً. لطالما شعرتُ بأنه كان شخصاً غير محظوظ. لطالما تساءلت ما الذي وقع في حياته ليجعله لاذعاً جداً وعدائياً. كان رجلاً غريباً، لم يحب أحداً».

«ويليام بايني على وجه الخصوص؟»، سأل برااينت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أوه، لا أظن أن الأمر كان شخصياً. ويليام شخص من الصعب كرهه. أعتقد أن آرثر انزعج من كون بقية الموظفين قاموا بأعمال لمساعدة ويليام. لم يكن يحب أن يحصل أحد على شيء لا يحصل هُو عليه».

«كيف تعامل مع الفتيات؟».

«من، آرثر؟ لم يتعامل معهن على الإطلاق. لقد كره كل واحدة منهن. وبسبب طبيعته كان هدفاً سهلاً بالنسبة إليهن. كنّ ينصبن له المقالب، يخفين أدواته، ذلك النوع من الأمور».

«هل قُمن بمقالب لويليام؟».

فكّر فيكتور للحظة. مرّ شيء عبر وجهه لكنه نفض رأسه.

«ليس فعلياً، لأن مناوبة ويليام كانت في الليل، بالتالي تعامله مع الفتيات كان قليلا».

فكّرت كيم أن هناك أمراً ما لا يخبرهم به.

«ما الذي يمكنك أن تخبرنا به عن الفتيات اللاتي كنّ هناك؟».

«لم يكنّ مجموعة سيّئة. البعض منهن كنّ هناك مُؤقتاً بسبب ظروف عائلية. ووُضعت بعضهن هناك بسبب تعرضهنّ للمعاملة السيّئة. وأخريات ظللن في المركز إلى أن طالب بهنّ أحد أفراد عائلتهن، وهناك بعضهن لم يكن لديهن أقارب على الإطلاق».

«هل تذكر بنتين توأم، نيكولا وبيثاني؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تشكّلت ابتسامة في عينيه. «أوه أجل. كانتا فتاتين صغيرتين وجميلتين. لو أتذكّر بطريقة صحيحة، كانت نيكولا الأكثر انفتاحاً. كثيراً ما كانت بيثاني تختفي خلف أختها وتتركها لتتكلم».

«لم تختلطا كثيراً مع بقيّة الفتيات. أفترض لأنهما حظيتا ببعضهما بعضاً».

«إذاً، لم تكن توجد فتيات مثيرات للمشكلات؟»، سألت كيم. فوصفه المثاليّ لم يشبه أي بيت من بيوت الرعاية التي سبق أن عاشت فيها كيم.

«بكل تأكيد كان هناك فتيات أكثر عنفاً. سيّدات صغيرة لا يمكن الوصول إليهن. كان هناك ثلاث فتيات على وجه الخصوص...أنا آسف، لا أتذكّر أسماءهن. كنّ سيئات بما يكفي، وهن منفصلات، لكن حين أصبحن مجموعة واحدة متماسكة قمن برعاية بعضهن وتسببن بمختلف أنواع المتاعب، سرقة، تدخين، صبيان». نظر بعيداً ثم أضاف «وأموراً أخرى».

«أية أمور أخرى؟» سأل برايانت.

«حقاً ليس من واجبي قول هذا».

«هل قمن بإيذاء شخص ما؟»، تدخّلت كيم.

نهض فيكتور ووقف عند النافذة. «ما من أمور جسديّة، أيتها المحققة».

«إذاً كيف؟»، سألت كيم، وهي تنظر باتجاه برايانت.

تنهّد بقوة «كنّ شديدات القسوة، خاصّة حين يجتمعن معاً».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ما الذي فعلته؟»، دفعته كيم للكلام.

ظلّ فيكتور عند النافذة. «كانت واحدة من الفتيات تعيش في المنطقة، وكانت تعرف بلقب لُوسي. ذات يوم ثلاثتهن اقترحن أن يلعبن مع الطفلة بينما يذهب ويليام للقيام ببعض المشتريات.

«ولكونه كان شخصاً كثير الثقة، وافق ويليام، واستغلّ الفرصة كي يذهب للسوبرماركت. وعندما عاد بعد أقل من ساعة لم يجد لا الفتيات ولا لُوسي».

«قلب البيت رأساً على عقب».

استدار فيكتور ومشى نحوهما. «هل تريدان أن تعرفا أين وجدها؟».

شعرت كيم بنفسها وهي تصرّ على فكها.

«قمن بتعريتها، وحشرن جسمها الصغير في حاوية قمامة. لم تكن تملك القوة في عضلاتها كي تخرج». ابتلع ريقه. «كانت عالقة هناك لأكثر من ساعة، مغطاة بالقمامة والطعام ووسخ حفاظاتها. الطفلة الصغيرة المسكينة كانت تبلغ من العمر وقتها ثلاث سنوات فقط».

شعرت كيم بتصاعد الغثيان بداخلها. على الرغم من أنهم حاولوا إيجاد حلّ لهذه القضية إلا أنهم يُرجعون كل مرّة إلى عتبة باب ويليام ولوسي بايني.

لقد حان الوقت من أجل حديث آخر.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن والأربعون

«ما الذي يحدث هناك بحق الجحيم؟»، صرخت كيم، بينما اتجها بالسيارة نحو منزل بايني. كان هناك سيارة إسعاف وسيارة مسعف أوليّ مركونتين في الخارج. وكانت الأبواب الخلفيّة لسيارة الإسعاف مفتوحة على اتساعها.

بينما ركضت كيم حول السيارات، خرج مُسعفان من البيت يحملان نقّالة.

الوجه الصغير والهش للوسي شغل بالكاد السرير المؤقت الضيق. حملاها كما لو كانت رضيعة. كان ضمور أطرافها أكثر وضوحاً خارج كرسيّها المتحرك. غطّى قناع الأوكسجين وجهها الصغير، لكن كيم استطاعت أن ترى الخوف المنبعث من عينيها.

لمست كيم ذراعها لمسة خفيفة لكن المسعفين تحرّكا بطريقة مستعجلة كي يضعا لوسي في مؤخرة سيارة الإسعاف.

هرع ويليام بايني خارجاً من البيت. كان وجهه مجرداً من اللون. وكانت عيناه على وسعهما ومرعوبتين.

«ما الذي حدث؟»، سألت كيم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كانت تتنفس بصعوبة خلال الليل، لكنها بدت أفضل هذا الصباح. كنت في الطابق العلوي أغيّر الأسرة ومن المؤكد أنها وقتها قد تعرضت مجدداً لصعوبات لكنها لم تستطع أن تصدر أيّ صوت. لم تستطع أن تُنبهني».

كلاهما وقف وراء سيارة الإسعاف بينما ثبّت المسعفان النقالة في وضعية ثابتة.

احمرت عينا ويليام بينما قاوم كي لا يبكي. « لقد تدبّرت أمرها كي تضغط على الزر المعلق في عقد حول رقبتها، وسمعتُ صوت اقتراب صفارات الإنذار من مسافة قريبة. عندما نزلتُ عائداً للأسفل كانت قد أصبحت زرقاء اللون». نفض رأسه بينما بدأت دموعه تنساب. كان صوته أجشّ ومرتعباً. «من الممكن أن تموت لأنني لم أستطع أن أسمع صوت صرختها طلباً للمساعدة».

فتحت كيم فمها كي تواسيه لكن واحداً من المسعفين قفز خارج السيارة.

«سيّدي، نحتاج إلى»...

«يجب أن أذهب. أرجوكما اعذرا»...

دفعته كيم باتجاه مؤخرة سيارة الإسعاف المنتظرة.

فور انغلاق الأبواب خلفه ابتعدت سيارة الإسعاف بسرعة بأصوات صفّارات الإنذار والأضواء.

شعرت كيم بألم في حلقها، بينما كانت تشاهد السيارة تختفي من مجال الرؤية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لم يبدُ هذا جيداً، جُوف؟».

لم تجب كيم، وعبرت الطريق نحو موقع الحفر. دخلت إلى خيمة الضحية رقم اثنين. كانت كيريس على ركبتيها داخل الحفرة. استدارت وابتسمت.

قدّمت لها كيم يدها. انتزعت كيريس قفازاً مطاطيّاً، وتمسّكت بكيم بينما خطت خارج الحفرة. كانت يدها دافئة وناعمة ومطلية ببُودرة «التالك» من داخل القفاز.

سألت كيريس «سمعت صفارات الإنذار. هل كل شيء على ما يُرام؟».

رفعت كيم كتفيها بلا مبالاة. لم يكن هناك من داع للشرح بخصوص ما حصل للوسي. لم تكن كيريس ضمن تلك المنطقة من التحقيق، وردّة فعلها العاطفية حيال البنت الصغيرة لم تكن منطقية حتى بالنسبة إلى كيم نفسها، ولن يؤثر في شيء شرحها الموضوع لشخص آخر.

«إذاً، انتهيت من الموقع رقم واحد؟»، سألت كيم. كان القبر الأول قد أعيدت تعبئته، ووضعت قطع من الأعشاب فوقه. بدا منظره مثل زراعة شعر سيّئة. تم انتزاع تلك الخيمة لكن واحدة أخرى نُصبت.

«أيّ أمر جديد هناك؟».

«نحن نقترب أكثر. قراءات جهاز القياس المغناطيسي تشير إلى أن الكتلة أصبحت على بعد أقل من قدمين الآن».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

خلافاً لكريس التي كانت عالمة والتي لن تقرّ بأنه جسد حتى ترى العظام، كانت كيم قد عرفت بحدسها أن تلك الكتلة هي الفتاة الثالثة. الآن أصبح الأمر يتعلق بتحديد هوية كل واحدة منهن.

«أي أمر إضافي؟».

«لدينا الخرز» قالت، متحركة نحو طاولة قابلة للطيّ. «إحدى عشرة خرزة. وهذه». ورفعت كيريس كيساً بلاستيكياً.

أخذته كيم منها وشعرت بسماكة النسيج.

«أخمّن أنها فانيلا». عرضت كيريس رأيها.

«بيجاما؟».

«يُحتمل، لكن لدينا فقط الجزء العلوي».

«لا وجود للجزء السفليّ؟».

حرّكت كيريس رأسها بالنفي.

لم تقل كيم شيئاً. غياب القطعة السفلية من البيجاما شكّل صورة في عقلها جعلتها تكزُّ على أسنانها.

«من الممكن أن يكون نسيجاً مختلفاً، بيجاما من قطعتين غير متلائمتين، أو أن يكون النسيج قد سبق وتحلّل».

أومأت كيم بصمت. يمكنها أن تأمل في هذا.

«لا شيء آخر؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

قدّمت لها كيريس طبقاً مملوءاً بشظايا مُلطخة بالطين.

«قطع صغيرة من المعدن، لكن لا شيء قد نفكّر في أنه على علاقة بقتلها».

«ما التالي؟».

مسحت كيريس يديها في بنطالها الجينز. «الموقع الثالث، هل تأتين؟».

تبعتها كيم حتى الخيمة الثالثة.

«أتيتِ في الوقت المناسب بالضبط، جُوف»، قال داوسون عندما دخلت.

نظرت للأسفل حيث يوجد وبصورة جليّة شكل قدم نتأت من الأرض المظلمة.

الأشخاص السبعة الذين كانوا في الخيمة حدقوا للأسفل في القبر الذي لم يكن عميقاً. لم يكن مهماً أنه كان ما توقع أغلبيتهم أن يجدوه. استحقّ كل جسد لحظة احترام، إعلاناً صامتاً عن اتحادهم وتعاهدهم على إيجاد مرتكب هذه الجرائم وتسليمه للعدالة.

استدارت كيريس كي تواجهها. التقت كيم بنظرتها. كانت نظرتها متألمة ومتضايقة ومُصمّمة أيضاً.

كان صوتها خافتاً وخشناً، بينما قالت ما فكر فيه كل واحد آخر حولهما.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كيم، يجب أن تكتشفي السافل ابن الكلب الذي فعل هذا».

وافقت كيم بإيماءة من رأسها وخرجت من الخيمة. كانت لديها بالضبط نيّة القيام بهذا.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل التاسع والأربعون

«جُوف، لقد وصلتني رسالة»، قال براينت وهما يخرجان من الخيمة.

«لدى الدكتور دان شيء يريدنا أن نراه».

لم تقل كيم شيئاً وتوجهت عائدة إلى أسفل التل. شغّل براينت السيارة وتوجه صوب مستشفى راسيلس هول. كان يعرف متى يتوجب عليه تركها وحدها.

اندلعت موجة من الغضب والاهتياج في داخلها. مهما كان الذي اقترفته هؤلاء الفتيات، فهن لن يستحققن الموت. فكرة أن شخصاً ما شعر بأن حيواتهن في متناول يده، أشعرتها بالغثيان. لقد سبق أن كانت واحدة من هؤلاء الفتيات، وكلهن يستحققن فرصة للمحاربة.

إن بداية سيّئة في الحياة لا تملي بالضرورة أفعال المستقبل. كانت كيم شاهدة حيّة على هذه الحقيقة. وَعَدت سنواتها الأولى بحياة من الجريمة والمخدرات ومحاولات للانتحار، وربما بأسوأ من هذا. كل علامة طريق وجهتها نحو تحطيم الحياة، سواء حياتها أو حياة الآخرين، ولكن كيم انتصرت على المصير المُعد مسبقاً لها. وما

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

من أمر دلّ على أن الضحايا الثلاث لم يكن قادرات على تحقيق هذا الانجاز نفسه.

أوقف برواينت السيارة خارج الباب الرئيسي للمستشفى. وقفزت كيم خارجاً، وبدأت السير. لحق بها برواينت فقط عندما بلغت باحة المصاعد.

«يا إلهي، خففي من خطوتك، جُوف. أستطيع تدبّر أمري في لعبة الريجبي. لكن المحافظة على إيقاعك نفسه، تلك مسألة أخرى».

«هيّا، أيّها الجد، أسرع».

دخلت كيم إلى مستودع الجثث. استطاعت أن ترى أن عظام الضحيّة رقم اثنين قد عرضت على طاولة بجانب الضحية رقم واحد.

وبالرغم من أنها كانت ميتة، إلا أن كيم لم تخف شعورها بالارتياح بأن الضحية رقم واحد لم تعد بعد الآن وحيدة في برودة المختبر. لو كانتا صديقتين في الحياة فهما معاً مجدداً.

كان أيّ ارتياح قد شعرت به قصير الأجل حيث رأت مجموعة العظام الصغيرة إلى جانب الضحية الثانية.

«الطفل؟»، سألت.

حرك دانيال رأسه مقراً بهذا.

لم يتبادلا أي مزاح، أو تحيّة. نظرت كيم عن قرب. كانت العظام

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

صغيرة جداً بحيث لم تترابط لتشكل بنية جسد حقيقيّة، الأمر الذي وجدته كيم أكثر إثارة للحزن.

تمثّل عمل دانيال في فحص هذه العظام، واستخراج أدلّة منها، والادعاء بأنها لم تكن الأجزاء المكوّنة لطفل. كان المطلوب منهم جميعاً أن يتمتعوا بالحياد العلمي. وكانت هناك حاجة لانتزاع العواطف من القضيّة. لكن كان عليه أن يُحلّل أدلّة من حياة لم توجد قط. وهو أمر لم تكن كيم لتستطيع القيام به.

لن تكون هناك سخرية اليوم.

«كم العمر؟»، سألت.

«تبدأ العظام بالتشكّل في الأسبوع الثالث عشر. وعند الولادة يمتلك مولود جديد نحو 300 عظم. سأقدّر أن هذا المخلوق الصغير كان في منطقة ما بين الأسبوع العشرين والأسبوع الخامس والعشرين».

إنسان من دون شك، فكّرت كيم. دينياً وقانونياً كان إنساناً. لم يكن يُسمح بالقيام بالإجهاض بعد اثني عشر أسبوعاً، إلا إذا كانت الأم معرّضة لخطر كبير.

«إذاً، لدينا قتل مُزدوج، جُوف، الأم والطفل؟».

انجذبت يداها للعظام. أرادت أن تغطّيها. لم تعرف كيم سبب رغبتها هذه.

تحرّك دانيال حول الطاولة ووقف بين الفتاتين «لا أعرف إن كان هذا سيساعد في شيء، لكن لديّ خلفية أكبر حول الضحيّة رقم واحد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كان طولها نحو خمس أقدام، تغذيتها كانت ضئيلة، وسأقول بالأحرى أنها كانت تعاني سوء التغذية».

أخرج برباينت دفتره.

«لم يكن مُعتنى بأسنانها، والقواطع السفلية فوق بعضها بعضاً. إصبعان من يدها اليسرى كُسرتا، وأصيبت عظمة ساقها اليُمنى بكسر. هذه الإصابات ليست قريبة زمنياً من تاريخ الموت».

«سوء معاملة في الطفولة؟».

«احتمال كبير». قال واستدار مبتعداً، لكن ليس قبل أن تلمحه يبتلع ريقه بصعوبة.

استدار إلى الضحيّة رقم اثنين. «لا أملك المستوى نفسه من التفاصيل بعد بخصوص ضحيّتنا الثانية، لكنني فكرتُ في أن هناك أمراً يجب أن تعرفيه».

تحرّك نحو بداية الطاولة، وحرّك الفك السفليّ للضحيّة رقم واحد. «ألقي بنظرة أقرب داخل أسنانها».

اقتربت كيم أكثر. استطاعت أن ترى ما الذي لاحظه دانيال بخصوص الأسنان السفليّة المُعوّجة، لكن ما عدا وجود لثة، أو لحم متصلين فإن الأسنان بدت لها طبيعيّة نسبياً.

«الآن ألقي بنظرة على الضحيّة اثنين».

استدارت كيم واقتربت من الهيكل العظمي للمرأة الثانية. كانت

أسنانها مستقيمة إلى حد معقول، وما من علامة ظاهرة تدل على تعرّضها لحادث صادم، لكن كان هناك شيء ما مختلف في اللون العام لمينا الأسنان.

«هل تم تنظيف الضحيّة رقم واحد؟»، سألت .

«ولا واحدة من الاثنتين قد نُظفت». قال دانيال.

تبخّرت سريعاً قدرة كيم على التسامح مع ألعاب التخمين، وقالت: «وضّح لي الأمر أيها الطبيب».

«إن الوسخ الموجود داخل أسنان الضحيّة رقم واحد كان موجوداً، وكان سيجد طريقه نحو تجويف الفك بمرور الوقت، بعد أن يكون اللحم قد تحلّل، على الأرجح من خمس إلى ست سنوات بعد الموت. أما الوسخ داخل أسنان ضحيتنا رقم اثنين فقد كان هناك منذ أول يوم دُفنت فيه تحت الأرض».

ربطت كيم سريعاً النقاط التي بسطها دانيال. كانت هناك طريقة واحدة فقط كي يتمكّن التراب من أن يصبح ثابتاً داخل الأسنان سريعاً جداً.

لقد دُفنت هذه الفتاة حيّة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخمسون

كانت ترايسي أوّل واحدة «تهرب»، وكانت هناك أوقات تمنّيتُ فيها لو أنها لم تفعل هذا. كانت وخزة الندم التي شعر بها لاحقًا مفاجئة جداً، ومجهولة بالنسبة إليه، حتى إنه حارب كي يجد لها اسماً.

لم يكن التفكير بأثر رجعيّ أمراً يتشكّل بصفة طبيعيّة لدى المريض النفسي إلا إذا كانت الخطة قد حدثت بطريقة خاطئة، ووقتها حين يستعيد تسلسل الأحداث فهذا يحدث فقط عبر طريقة تحليليّة، وليست عاطفيّة.

مال العالم نحو محوره، بينما كنت أصارع تلك المُتطفلة على الأرض. لاحقاً بعد التنفيذ، فهمتُ أن الندم لم ينتج بسبب ما فعلته، ولكن لأنني لن أراها من جديد، وأنني لن أشاهد اهتزاز وركيها بينما تتحرك في الغرفة.

كان الندم منسجماً فقط مع ما قد كان ضائعاً بالنسبة إلي.

استعاد العالم استقامته.

ورغم ذلك، عرفتُ أن ترايسي كانت مختلفة. كان هناك إناث يلفتن الانتباه، رغم أنهنّ صغيرات في السن. حين يدخلن إلى غرفة ما،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تستدير نحوهنّ كل الرؤوس، وتشردُ العيون. ليس لهذا علاقة بالجمال، لكن له علاقة بجوهر داخليّ، بروح لا تُقهر. تصميمٌ يجعل من صاحبه سيُحقق أيّ أمر انتواه في عقله.

إنه أمرٌ جذّاب ومحفّز.

عرفتُ أن جسد ترايسي البالغة من العمر تسع سنوات، قد بيع مقابل خمسة وثلاثين باونداً من طرف أمّها، دينا. أسبوع بعدها بيع مقابل مبلغ أكثر بكثير حين فهمت دينا معأيير السوق. أسبوعان بعدها، سُحبت دينا من هذه التجارة تماماً. تمّ انتشال ترايسي من قِبل الرعاية الاجتماعية، بعد يومين من عيد ميلادها الرابع عشر. أدخلت إلى كريستوود ووضعت مع فتيات أخريات تمّ استغلالهن، فتيات ضُربن، اغتُصبن، جرى تجاهُلن.

لم تكن ممتنّة.

لم تكن ضحيّة، وأرادت أن تبقى حيث كانت بالضبط.

تعلّمت بالطريقة الصّعبة أنها لا تستطيع أن تثق بأحد، كانت ترايسي قد أخفت أرباحاً من دينا لمدة سنتين. لم تتذمّر ترايسي بشأن تحديات الحياة. حولتها ببساطة لمصلحتها الخاصة.

حدثتني بكل شيء يخصّ حياتها المُبكّرة. لقد ذكّرتني برواية واقعية تتم قراءتها من كتاب. ربما مرة، او اثنتين، تلعثمت لكنها سرعان ما تمالكت نفسها، وواصلت الحديث.

أصغيتُ إليها بتفهم، وبيّنتُ لها تضامني.

ثمّ مارسنا الجنس. تصحيح... أنا حصلت على الجنس وهي حاربت. الاغتصاب كلمة بشعة، ولا يمكنها أن تعرف ما حدث بيننا.

بعدئذ وقفت ستايسي ونظرت مباشرة في عيني. كانت نظرتها باردة، ومتآمرة.

«سيكلّفك هكذا كثيراً». قالت.

لم أكن خائفاً أن تخبر ترايسي أي شخص بما حدث بيننا. فهي لم تكن تثق بأحد، تثق فقط نفسها. ستجد طريقة تستعمل بها ما حدث ضدّي، بحيث تحصل على فائدة من أجل نفسها.

افتتنتُ بتفاؤلها الحيوي، ولم أتفاجأ حين سحبتني إلى إحدى الزوايا بعد بضعة أشهر.

«أنا حامل وهو طفلك». قالت، بلهجة انتصار.

تسلّيتُ بالموقف رغم أنني شككت بالتفصيلين. أكثر ما أحببته بخصوص ترايسي قدرتها على تحويل أي وضع لمصلحتها الشخصي.

«إذاً؟» سألتها. كلانا كان يعرف أن باب التفاوضات كان مفتوحاً.

«أريد نقوداً»، قالت.

ابتسمتُ. بالطبع كانت تريد نقوداً. كان السؤال الحقيقي، كم تريد. المعاملات السابقة جعلتني أتصوّر رقماً معيناً في عقلي. سيكون ثمن الإجهاض مع مبلغ صغير إضافيّ. التكلفة العاديّة للقيام بالأعمال.

ظللتُ ساكتاً، مُستعملاً أقوى سلاح متوفر لديّ للتفاوض.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أمالت رأسها وانتظرت. كانت تعرف هذا الأسلوب أيضاً.

«كم؟»، سألتُ بطريقة مُتساهلة. كان هناك أمر ما بخصوص هذه الفتاة.

«كفاية».

أومأت موافقاً. بكل تأكيد سأعطيها ما يكفي.

«هل خمسمئة»...

«هذا حتى لا يقترب من المبلغ الذي أريده». قالت وهي تُضيّق عينيها.

كان يجب البدء بعرض صغير كبداية. لا أحد يعرف. سبق وأن نجح الأمر معي مرتين من قبل...

«خمسة آلاف أو أفتح فمي وأتكلم».

ضحكت عالياً. كان هذا أكثر من مبلغ اضافي صغير. «الإجهاض لا يُكلّف»..

«أنا لن أقوم بالإجهاض. ما من مجال. أريد النقود كي أذهب بعيداً. ربتت على بطنها. «كي أبدأ من جديد».

مستحيل أن يحدث هذا. أنا إنسان عقلاني. كنتُ أعرف أنها لو وجّهت لي اتهامات الآن فلن يُصدّقها أحد، لكن مع اختبار «دي إن أي» لن أكون حراً أبداً. إن تاريخ ميلاد هذا الطفل سيكون تهديداً متواصلاً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لا يمكن لهذا الطفل أن يولد أبداً.

أومأتُ بتفهمي لموقفها. احتجتُ للوقت كي أفكر، للوقت كي أستعد.

لاحقاً في تلك الليلة كنتُ مُستعداً.

«علينا حقاً أن نحتفل بهذا الأمر، بشراب». قلتُ لها وأنا أسكب كمية من الفودكا في كميّة قليلة من الكوكاكولا.

«هل جلبت مالي؟»، سألت وهي ترفع كأسها.

ربتت على جيبي العلويّ «ما الذي تخطّطين للقيام به؟».

«سأذهب إلى لندن، وأحصل على شقة، وعمل ثم أعود للدراسة كي أحصل على بعض الشهادات».

استمرت في الحديث وواصلتُ أنا ملء كأسها. بعد عشرين دقيقة أصبحت عيناها غائمتين وكلماتها مُبهمة.

«تعالي معي، أريد أن أريكِ شيئاً». مددتُ لها يدي. تجاهلتها ووقفت، ثمّ سقطت على الأرض. احتاجت إلى بضع دقائق كي تتمكّن من الوقوف مُجدداً. هذه المرة ترنّحت باتجاه الباب مثل كلب في مضمار سباق. تقدمتُها وفتحتُ لها الباب الخلفيّ. جعلتها الهبّة المفاجئة للهواء النقيّ تتراجع وتسقط فوقي. أوقفتها، لكنّ ساقيها تشابكتا، وسقطت على الأرض.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ضحكت بينما كانت تحاول رفع نفسها عن الأرض. ضحكتُ معها، وقبضتُ عليها من أعلى ذراعيها ثمّ قدتها عبر الأعشاب.

خمس وعشرون خطوة واسعة باتجاه الشمال الغربي، ثمّ ألقيتُ بها. سقطت داخل الحفرة على ظهرها. ضحكت من جديد. وفعلتُ مثلها.

انحنيتُ في الحفرة إلى جانبها، ويداي حول حنجرتها. كان ملمس بشرتها تحت راحتيّ مُثيراً، حتى وهي تحاول أن تُلقي بيديّ بعيداً. كانت عيناها مغلقتين، وتلوّت تحتي نصف واعية. كانت حركة وركيها وبروز صدرها مُخدِّرين. ولا يمكن تجاهلهما. انتزعت «الشورت» المهلهل وألقيتُ به بعيداً في حركة واحدة سريعة، ومباشرة أصبحتُ بداخلها.

كان جسدُها طيّعاً بين يديّ، كما لو أنها تأرجحَت في منطقة داخل الوعي وخارجه. تحرّكت مُعتقدة أنها كانت في حلم. لم تكن هناك مقاومة مثل المرّة الأولى.

عندما نهضتُ دارت عينيها للوراء. جثمتُ بجانبها في المساحة المحدودة للحفرة والتقطت الشورت المُمزق. إنه ملكي سأحتفظ به للأبد. يمكن أن يساعدني على التذكّر.

مُجدداً وجدت يدأي حنجرتها. كانت إبهاما كفيّ تحومان فوق حلقها لكنهما لا تضغطان عليه. كان وجهها الجميل لا يزال مبتسماً من الذهول.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مرتعباً، قفزتُ خارج الحفرة. أول رفشة تراب استقرت فوق جذعها. لم تفتح عينيها بعد.

عملتُ بانتظام، ملأتُ الحفرة خلال دقيقة. هذه الطريقة في العمل لم تكن جديدة بالنسبة إلي.

أحكمت إغلاق الحفرة جيداً، وأعدتُ وضع الأعشاب.

بقيتُ معها نصف ساعة. لم أرغب في أن تكون وحيدة.

جلستُ بجانب القبر، ولعنتُها بسبب ما جعلتني أقوم به. لو لم تكن جشعة جداً. لو قبلت المال لأجل الإجهاض وحسب، لكانت كل الأمور ستكون على ما يُرام.

ذلك الطفل لم يكن يمكن أن يُولد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الحادي والخمسون

تنهّد براينت بقوّة، وألقى بحبّة من حلوى النعناع في فمه. كانت هذه ردّة فعل فوريّة لديه بعد مغادرة أي مكان يُمنع التدخين فيه.

«هل يمكنك التفكير في أي أمر أسوأ من الدفن حيّة؟»، سألها بينما وصلا للسيارة.

«أجل، أن أدفن حية برفقتك». قالت مُحاولة تحسين مزاجها.

«شكراً لهذا، جُوف، لكنني أقصد، هل يمكن حتى أن تتخيّلي هذا؟».

حرّكت رأسها بصمت. كانت هذه طريقة للموت مرعبة جداً كي تُفهم. خمّنت كيم أن أغلبيّة الناس تتمنى الموت بسلام خلال النوم. أما هي فلطالما فضلت فكرة الموت بطلق ناريّ.

يجب أن تكون الضحية رقم اثنين فاقدة للوعي، أو عاجزة بطريقة ما، كي تتمدّد في الحفرة. قد تكون استعادت وعيها وقد أحاطت بها العتمة الكثيفة للأرض. لم تكن قادرة على الرؤية، أو السماع، أو على تحريك عضلة. ربما حاولت الصراخ، كردّة فعل طبيعية أمام الرعب. قد يكون فمُها امتلأ بالوسخ، وكل نفَس حاربت على سحبه سدّ أنفها

وحنجرتها أكثر. قد تكون أنفاسها انسحبت من جسدها ببطء، بينما لم يكن فمها يبتلع سوى التراب.

أغلقت كيم عينيها، وحاولت تخيّل خوف الفتاة، وتخيّل الذعر الهائل الذي شلّ الفتاة ذات الخمس عشرة سنة التي كانت نصف عارية. كان هذا سواداً لم تستطع كيم فهمه.

«كيف استطاع مثل هذا الشيطان أن ينمو في إنسان، أقصدُ، أين بدأ؟».

باستهجان قالت كيم «إدموند بيرك» لخّص الأمر جيداً حين قال» كل ما هو ضروريّ كي ينتصر الشيطان، ألا يفعل الرجال الطيبون شيئاً».

«ما الذي تقولينه، جُوف؟».

«أقول إن هؤلاء الضحايا لا يمكن أن يكنّ أولى ضحاياه. من النادر أن تكون جريمة دمويّة باردة بهذا القدر أول علامة على عقل شرير».

«لقد وُجدت علامات مُبكّرة، إما أنها بُرّرت، وإما تمّ تجاهلها».

استدار برواينت ناحيتها وقال: «كم تظنين مرّ من الوقت كي تموت؟».

«ليس طويلا»، لكنها أضافت داخل عقلها أن تلك الفتاة قد شعرت بالوقت كأنه عمرٌ بأكمله.

«شكراً لله».

«تعلم، براينت. لا أستطيع القيام بهذا بعد الآن»، قالت وهي تنفض رأسها.

«ما هو هذا، جُوف؟».

«لا أستطيع الاستمرار في الإشارة للضحايا بالأرقام، ضحيّة واحد، ضحيّة اثنين. لقد حصلن على ما يكفي من هذه المعاملة عندما كنّ على قيد الحياة. لدينا ثلاثة أجساد، وثلاثة أسماء وأحتاج لمطابقتها.

حدقت كيم خارج النافذة، وانبثقت ذكرى مفاجئة. كان عيد ميلادها الخامس عشر قد حلّ مابين الفترة التي قضتها مع العائلة المتبنّاة رقم خمسة، والعائلة رقم ستة.

قبل يومين من عيد ميلادها اقترب منها أحد الموظفين وسألها:

«عيد ميلاد كيم غداً، ونحن نقوم بجمع المال من أجل هديّة. هل تريدين التبرّع ببعض النقود؟».

حدقت به دقيقة بدت طويلة، لترى إن كان أدرك أنه طلب منها المساهمة لأجل هديّتها. ظلّ وجهه من دون تعبير.

«إلى أين، جُوف؟»، سأل براينت، وهو يقترب من مخرج المستشفى.

بفضل المعلومة التي قدّمها لهم دانيال بايتي، عرفت كيم أنه

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كان هناك شخص واحد بإمكانه مساعدتهم، بغضّ النظر عن التهديد الذي تلقته في وقت سابق ذلك اليوم.

«براندلايبلايس، أظن، براينت. حان الوقت للذهاب ورؤية التوأم».

ركّزت في الطريق أمامها «يجبُ أن أعرف أسماءهن».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثاني والخمسون

فتحت نيكولا أدامسون الباب عند الطرقة الثانية، وهي مرتديّة بيجاما من الحرير. كان شعرها منفوشاً، وقدّمت لهما تثاؤباً كتحيّة.

«آسفان إن أيقظناك». قال براينت.

لم يكن هناك شكّ في بخصوص ذلك، بالرغم من أن الوقت بالكاد تجاوز وقت الغداء.

تثاءبت مرّة أخرى وفركت عينيها. «كانت ليلة طويلة في النادي». وصلتُ هنا نحو الخامسة صباحاً.. ليلة البارحة، لا يهم أيّ وقت كان».

أغلقت نيكولا الباب وتوجّهت مباشرة نحو المطبخ. بالرغم من أنها هي نفسها كانت تبلغ من العمر أربعاً وثلاثين سنة فقط، تساءلت كيم هل كان هناك وقت على الإطلاق نهضت فيه من فراشها وهي تبدو رائعة هكذا.

«أنا سعيدة بالتحدث، أيها الرفاق، لكن دعوني أحصل على قهوة سريعة أولاً».

أبعدت كيم حقيبة يد على جنب، وجلست على الأريكة. «قدّمت أختك لرؤيتي هذا الصباح».

استدار رأس نيكولا بسرعة. «ماذا فعلت؟».

«لم تكن متحمّسة جداً لفكرة أنك تساعديننا».

حركت نيكولا رأسها ونظرت بعيداً. أعادت مرطبان القهوة الفورية إلى الخزانة بضجة كبيرة.

تولّد لدى كيم شعور بأن هذه لم تكن المرة الأولى التي تتدخل فيها بيث.

«ما الذي قالته لك؟».

«أمرتني أن أترككما وشأنكما، وألا أفتح جراحاً قديمة».

أحنت نيكولا رأسها وبدا كأن التوتر قد غادر جسدها.

«أفترض أنها تبحث عني، وحسب. أعرف أنها تبدو فظّة لكنها، تفرط في حمايتي وحسب. إنها الطريقة التي يكون عليها التوأم فقط.

أجل إنها كذلك، فكّرت كيم.

«لكنني فتاة كبيرة، وقد عرضت تقديم العون لكما، وبالتالي إن كان هناك أيّ أمر تريدان أن تسألاني بخصوصه، باشرا به». ابتسمت. «خاصّة الآن ولديّ قهوة».

«هل آذت أختك ساقها مؤخراً؟»، سألت كيم، متسائلة إن كان هذا يُفسّر مرارة المرأة.

«لا، إنها إصابة جرح منذ الطفولة. سقطت سقطة عنيفة

بعدما تسلّقت شجرة تفاح عندما كان عمرنا ثماني سنوات. تهشّمت عظام ركبتها. في النهاية، التأمت العظام لكن في الطقس البارد تؤلمها الإصابة. الآن، ما الذي يمكنني أن أساعدكما به؟».

أخرج برواينت مُفكّرته. « لدينا معلومات أكثر حول ضحايانا، وفكّرنا في أنك ربما تساعدينا على كشف هوية كل واحدة».

«بكل تأكيد، إن كنت أستطيع».

«أولى ضحايانا كانت على الأرجح أطول واحدة. نحيفة، وأسنانها السفليّة معوجة»...

«ميلاني هاريس»، قالت نيكولا بيقين.

«هل أنت متأكّدة؟».

قالت نيكولا «أوه نعم. لقد عانت كثيراً بسبب تلك الأسنان. لقد عانت كثيراً من تنمّر الفتيات في المدرسة إلى أن انضمت إلى الفتاتين الثانيتين. لم يسخر منها أحد بعد ذلك. بدت دائماً غير متجانسة إلى جانب الفتاتين الأخريين، لكونها أطول منهما بكثير، بدت مثل الحارس». ثم كأنها استيقظت أضافت، «قيل لنا إنها هربت».

لم تنبس كيم وبراينت بكلمة.

حرّكت نيكولا رأسها من جانب لآخر «من قد يكون رغب في إيذاء ميلاني؟».

«هذا ما نحاول اكتشافه».

«هناك ضحية ثانية، نيكولا»، قالت كيم بهدوء، «وهذه الضحيّة كانت حبلى».

مالت نيكولا عبر الطاولة، والتقطت حقيبة اليد التي سبق وأن أبعدتها كيم. أخرجت منها علبة سجائر وولاعة. حين زاراها أوّل مرّة لم تشاهد كيم أي دليل على أنها تدخّن.

وضعت سيجارة بين شفتيها، لكنها فشلت في إشعالها. نجحت في هذا عند المحاولة الثالثة.

«ترايسي مورغان». همست نيكولا.

نظرت كيم إلى براينت الذي رفع حاجبيه.

«هل أنت متأكدة؟»

«أجل، أنا متأكدة. ليس أمراً أفتخر به بصفة خاصة، ولكنني حين كنت صغيرة كنتُ كثيرة التطفل. كان يُكتب دائماً في تقريري المدرسيّ «يمكن لنيكولا أن تنجز أفضل لو اهتمّت بشؤونها الخاصّة بقدر اهتمامها بشؤون الآخرين».

ضحك براينت «لديّ واحدة في المنزل مثلك بالضبط».

واصلت نيكولا الكلام: «حسناً، اعتدتُ التسلّل في الأرجاء واستراق السمع من وراء الأبواب. أذكر أنني سمعت ترايسي تخبر الفتاتين بأنها حامل».

«هل لديك فكرة من كانت تلتقي؟»، سألت كيم. من الممكن أن يكون هذا مساراً آخر.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لا، سمعتها تقول إنها ستتحدث للأب، لكنني لم أبقَ هناك لوقت طويل خشية أن يقبضن عليّ».

«هناك ثالثة؟ أليس كذلك؟»

لم يقولا شيئاً، ومنحاها دقيقة كي تستوعب الأخبار.

«لويز كانت الفتاة الأخرى. لا أتذكّر اسمها العائلي لكنها كانت القائدة للمجموعة، كانت الأعنف. لا أحد كان يعبث مع لويز. حتى بعد أن هربت الأخريان، آسفة بعد أن ماتتا، لا أحد تجرأ على العبث معها». توقفت لثانية. «تعرفان، الآن حين أفكّر في الأمر، كانت مصرّة على أن رفيقتيها لم تهربا».

«هل هناك أي أمر خاص في لويز قد يساعدنا على التعرف إلى هويتها؟».

أطفأت نيكولا السيجارة في منفضة زجاجية. «أجل، كان لديها طقم أسنان اصطناعية. ثلاث أسنان من أسنانها حُطّمت في معركة مع فتيات من مدرسة أخرى. كرهت كيف كان يبدو شكلها من دونها. فتاة أخرى في كريستوود خبأت الطقم ذات ليلة على سبيل المزاح. فكسرت لويز أنفها».

«هل تعرفين أيّ شيء عن حادث له علاقة بابنة ويليام بايني؟».

قطّبت نيكولا حاجبيها «تقصدين رجل الليل؟». لم نكن نراه كثيراً. لم أسمع أبداً بأي أمر على وجه الخصوص، لكنني أتذكر أنهن وضعن في التوقيف لمدة شهر لقيامهن بأمر ما. كن دائماً جاهزات للتسبب بالأذى. ومع ذلك... لن يستحققن هذا المصير».

قلب براينت صفحة في دفتره. «هل تتذكّرين طوم كورتيس؟».

ضيّقت نيكولا عينيها. «كان أصغر واحد بين الموظفين. كان يبدو خجولاً قليلاً وبعض الفتيات أعجبن به. وضعت يدها على فمها وقد شهقت :»أوه لا، أنتما لا تفكران في أنه من الممكن أن يكون هو والد»...

تلاشت كلماتها رغم أنها عجزت حتى عن إتمام جملتها.

سبق وأن خطرت هذه الفكرة في ذهن كيم، لكنها اختارت ألا تجيب نيكولا.

عند هذا المستوى من الحديث، شعرت كيم بأن نيكولا لم تعد قادرة على تقديم أي إضافة لهما.

وقفت كيم. «شكراً لوقتك، نيكولا. أرجوك لا تتشاركي هذه المعلومات مع أيّ أحد إلى أن نُعلن عن هويّات الضحايا رسمياً».

«بكل تأكيد».

توجّهت كيم صوب الباب ثم استدارت. «أي واحدة ذهبت أولاً؟».

«عفواً؟»

«من اختفت أولاً، ميلاني، أم ترايسي؟ سألت كيم.

سبق أن ذكرت لهم نيكولا أن لويز كانت الأخيرة.

تغضّن وجه نيكولا، بينما كانت تفكّر. «ترايسي ذهبت الأولى، لأن ميلاني ولويز فكّرتا في أنها اختفت بسبب حملها».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أومأت كيم برأسها وكانت في منتصف الطريق خارج الباب.

«أيتها المحققة»...

استدارت كيم.

«بخصوص ما قالته لك أختي، سأكون مسرورة وجاهزة دائماً لتقديم المساعدة بأي طريقة أقدر عليها».

شكرتها كيم، وغادرت.

«إلى أين الآن جُوف؟»، سألها براينت.

أشارت ساعة كيم إلى أن الساعة تجاوزت الثالثة. «عدْ إلى المركز».

أخرجت هاتفها واتصلت بداوسون.

«مرحباً، جُوف». أجاب.

«ما هو الوضع في الموقع، كِيفّ؟».

«تمت تعبئة القبر الثاني وأصبح الجسد الثالث نصف مكشوف. ودكتور بايت في طريقه للقدوم. لأنها ليست مدفونة عميقا جداً، فنحن نأمل إخراجها بحدود الليلة».

كانت كيم واعية إلى أيّ درجة ترهق فريقها. « أول ما يصل الطبيب إلى هناك، غادر المكان. يكفيك لهذا النهار. لن يكون هناك أي شيء لن نحصل عليه في الصباح».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«جُوف، أفضّل البقاء، إن كان هذا ممكناً».

ألا يقبل داوسون بوقت استراحة فإن هذه سابقة أولى من نوعها.

«كِيف، هل أنت بخير؟».

شعرت كيم من نبرته بالثقل المفاجئ في صوته.

«جوف، لقد شاهدت جسدَي بنتين صغيرتين يُستخرجان من هذه الأرض وإن كان الأمر مناسباً لك أفضّل متابعة كل التفاصيل».

أحياناً كان داوسون يصدمها.

«حسناً كِيف. سأتصل بك لاحقاً».

«هل أنت حقاً متفاجئة إلى هذه الدرجة؟» سألها براينت.

«لا. إنه صبيّ جيد، إذا ما كنت تفتقر إلى حكم بخصوصه».

«وأنا أريده ضمن فريقي في أيّ يوم من الأسبوع». قال براينت مُنهياً الحديث.

لم يكن كلاهما عادة يغنّي اللحن نفسه، لكن براينت يستطيع أن يكون موضوعياً حين يتوحب عليه ذلك.

خرجت كيم من السيّارة التي أوقفها براينت.

«اذهب واطمئن على ستايسي. وسجل هذه الأسماء على اللوح».

أرادت كيم محو الإبهام العالق بأسمائهن بأقصى سرعة ممكنة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ثم عد إلى بيتك».

اتجهت كيم نحو الدراجة النارية وتريثت بينما كانت تفك الخوذة.

كان هناك أمراً خطأ في نيكولا. كان هناك أمر يلتهم حدس كيم من الداخل، أمرٌ كان يجب عليها أن تلتقطه. كان الأمر كأن عينيها لمحتا شيئاً لم يسجله عقلها.

الفصل الثالث والخمسون

للمرّة الثانية على التوالي من اليوم نفسه، رأت كيم المدخل الرئيسي لمستشفى راسيلز هُول. سحبت الدراجة على الرصيف، وجرّبت حظّها في الحصول على بطاقة.

بدخولها للمستشفى، مشت بين مجموعة من المرضى والزوار الذين كانوا ينفثون دخان سجائرهم تحت إشارة «ممنوع التدخين».

اقتربت من مكتب الاستقبال على يسارها. حيث توجد امرأة، ابتسمت لها وأشارت البطاقة المعلقة على صدرها بأن اسمها بريندا.

«لوسي بايني، سبق وأن أدخلت في وقت سابق؟».

«هل أنتِ قريبة لها؟».

أومأت كيم موافقة: «ابنة عمها».

نقرت بريندا بعض المفاتيح على لوح الكمبيوتر. «C5، الجناح الطبي».

تجاوزت كيم مقهى المستشفى، وعاينت لوح الاتجاهات. أخذت المصعد نحو الطابق الثاني، وتوجهت صوب الجناح الغربيّ، مفسحة المجال لمرور سرير يُجر بالعجلات أخرج من غرفة العمليات.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كان في المنطقة صوت أزيز لطيف للآلات وأصوات منخفضة. كانت عربة الوصفات الطبية تمرّ من قاعة إلى أخرى.

استطاعت كيم أن تلاحظ أنها لحقت بالدقائق الأخيرة من وقت الزيارة. جلس الأقارب بصمت، وقد سبق وقالوا كل ما يمكن أن يفكروا في قوله، وجلسوا الآن ينتظرون أن تعلن الساعة عن موعد انتهاء الزيارة.

اقتربت من ممرضة وسألتها «لُوسي بايني؟».

«القسم الجانبي، عند الباب الثاني».

تجاوزت كيم الباب الأول الذي كان يقود إلى مطبخ صغير. وصلت إلى الباب الثاني وترددت يدها قبل أن تطرق. سحبتها مباشرة قبل أن تلمس خشب الباب.

كانت لوسي نائمة بسلام في سرير كبير، وقد تم إسناد رأسها بواسطة خمس وسادات. وثُبِت جهاز مراقبة في إبهام يدها اليمنى. وعلى يمينها أصدر جهاز أزيزاً منتظماً. وعلى المنضدة بجانبها بطاقة كُتب عليها «تعافى سريعاً»، ودبّ من القطيفة رماديّ اللون.

دخلت كيم للغرفة وتجاوزت ويليام بايني الذي كان يشخر قليلاً على مقعد في الزاوية.

وقفت بجانب السرير ونظرت للوجه النائم. بدت لوسي أصغر بكثير من عمرها. لقد عانت كثيراً. لم تطلب هذه الفتاة هذا المرض القاسي الذي سرق ببطء قوتها وقدرتها على الحركة، ولم تطلب والدة

تهجرها. وبكل تأكيد هي لم تطلب أن تُحشر في حاوية للقمامة من قبل ثلاث بنات حمقاوات.

اليوم كادت لوسي أن تموت. حاولت أن تصرخ لكن كل ما انبثق منها كان الصمت. وعلى الرغم من الحياة التي حظيت بها هذه الفتاة الشجاعة وذات العزيمة فإنها قد حاربت. غرست أظفارها وسحبت نفسها لأعلى الحافة لأنها وبكل بساطة أرادت أن تعيش. كونها تدبرت أمرها كي تضغط على زر الطوارئ، كان شهادة على هذه الحقيقة.

كيم أيضاً لم تحصل على فرص كثيرة للبقاء على قيد الحياة. عندما نُقلت كيم من الشقة في «هوليتري» رافقتها أشكال رؤوس صامتة، وتنهّدات عميقة حتى المستشفى، حيث تمّت تغذيتها وريدياً من دون توقع بالنجاح. كان جسدها البالغ من العمر ست سنوات بوزن حصاة ونصف. وكان شعرها يتساقط في كتل، وكانت عاجزة عن التكلم. لكنها في اليوم الثالث، استقامت جالسة.

التقطت كيم منديلاً ورقياً ومسحت خيطاً رفيعاً من اللعاب من على ذقن لُوسي.

أخيراً، فهمت تعاطفها مع الطفلة الصغيرة التي لم تعرفها إلا منذ بضعة أيام. كانت لُوسي مُقاتلة. لم ترغب في الاستسلام وقبول البطاقات التي اختارها القدر لها. كل يوم حاربت كي تعيش، حاربت ضد كل الإمكانات التي لم تكن لمصلحتها.

في وقت سابق من ذلك اليوم كان بإمكانها اختيار عدم الضغط على زرّ الطوارئ. كان من الممكن أن ترضخ وتستلم لمرضها، وتختار

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

المصير الأكثر سلاماً، لكنها لم تفعل، أمرٌ واحد أوقفها عن فعل هذا، الأمل.

هل يمكن لهذه الشابّة الصغيرة أن تحظى بحياة أفضل من التي تملكها الآن؟». تساءلت كيم. هل يمكن لوجودها أن يكون أكثر أماناً وأكثر بهجة؟ لم تكن لديها أدنى فكرة، كل ما عرفته تمثّل في أن تلك الطفلة الضئيلة كان لديها جوهر داخليّ تشكّل من الشجاعة والعزيمة. وهذا ما أثار إعجاب كيم.

وبينما وضعت كيم المنديل على المنضدة انتبهت إلى تغير حدث في الخلف، كان الشخير الخفيف قد توقف.

لم تستدر. «تعرف أنه يجب علينا أن نتحدث؟» سألته بنعومة.

«أجل، أعلم، أيتها المحققة». أجاب ويليام، بثقل.

غادرت كيم الغرفة. كان الوقت قد حان لتعود إلى البيت. كان لديها عمل يتوجب عليها القيام به.

الفصل الرابع والخمسون

تصفّحت بيث مجلة. لم تكن لديها أدنى فكرة أيّ مجلة كانت لكنها كانت تسجل موقفاً.

تستطيع أن تشعر بقلق نيكولا. فهن لم يتحدثن منذ عودة بيث. كانت تعرف أختها. كانت نيكولا تريد أن تسألها ما المشكلة، لكنها كانت تخشى الإجابة. تمثلت الحقيقة في كون نيكولا لم تكن تستطيع أن تتعامل مع الإجابة.

كانت نيكولا دائماً تكره عندما يغضب منها الآخرون. كانت تحب إرضاء الناس. أرادت أن يكون الجميع سعداء. وقد كلفتها هذه الصفة غالياً. كلفتهما الاثنتين.

ورغبتهما في إرضاء الآخرين ستكلفهما غاليا مرة أخرى.

كانت بيث غاضبة جداً بحيث لم تستطع رفع رأسها. حدّقت في الورقة. لن تستطيع نيكولا أن تمسك لسانها لوقت أطول. قلّبت بيث صفحة بلامبالاة.

«كلمتني ميرا بالأمس». قالت نيكولا. «وقد ذكرت لي أنك كنتِ فظّة جداً معها».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كنتُ كذلك». قالت بيث.

إن اختارت أختها التحدّث معها عن أمور تافهة بدلاً عن طرح المشكلات الحقيقية العالقة بينهما، فهذا أمر لا يزعجها. ستضعف نيكولا في النهاية.

«لما يجب أن تكوني لئيمة جداً؟ لم تفعل لك المرأة شيئاً».

أجابت بيث باستخفاف:» إنها بقرة عجوز كثيرة الضجيج، وتريد حشر أنفها في شؤون الجميع. لماذا تهتمين بماذا تفكر؟».

«لأنها جارتي، ولأنه يتوجب عليّ الإقامة هنا». توقفت نيكولا. «هل قلت لها إنني سأضيفك في عقد الإيجار؟».

ابتسمت بيث لنفسها. يبدو أن تلك الأكذوبة الصغيرة جعلت العاهرة تظل مسْتيقظة لساعات.

«أجل، أنا من قال لها هذا».

«هل تحاولين جعل حياتي أصعب بينما أنتِ هنا؟».

«تعرفين نيكولا، لقد طلبتُ منك أن تقومي بأمر ما، لكنك تجاهلتني. طلبتِ مني أن أكون لطيفة مع العجوز الشمطاء وتجاهلتك. ما الفرق؟».

«حبّاً بالله، بيث. أعلم أنك غاضبة مني. هلاّ ذكرتِ لي السبب وحسب؟».

ابتسمت بيث داخلياً. كانت تعرف أختها جيداً. لطالما فعلت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

قلبت صفحة أخرى. «أيّ سبب تريدين؟».

«أيّ سبب ستقدّمينه لي. أي شيء قد يوقف هذه المُعاملة الصامتة. تعلمين بأنني أنزعج حين تكونين غاضبة مني».

أوه أجل، كانت بيث تعرف هذا جيداً.

«لقد طلبتُ منك ألا تتحدثي إليها؟».

« مع من؟»، سألت نيكولا. كان واضحاً من صوتها أنها، أجبرت نفسها على طرح السؤال. كانت نيكولا تعرف جيداً عن من كانت تتحدث.

قلبت صفحة أخرى، وهي تعلم جيداً بأن هذا سيثير حنق أختها أكثر. كانت نيكولا تريد اهتمامها الكامل. كانت تكره قدرة بيث على الجلوس بهدوء والتركيز في أمر آخر بدلاً من أن تكون مُستنزفة تماماً، جرّاء المناخ المتوتر بينهما. مثلما كانت هي تشعر.

«هل تقصدين المحققة؟»، سألت نيكولا.

«امممم».

«يا إلهي، بيث، كيف يمكن أن تكوني باردة جداً؟ إنهم يجدون جثثاً مدفونة في المكان الذي كنا نعيش فيه».

«و؟».

«لقد عرفنا تلك الفتيات. تحدثنا إليهن، أكلنا الطعام برفقتهن. كيف يمكنك ألا تهتمي حتى بالموضوع؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لأنهن لا يمثلن أيّ شيء بالنسبة إلي. لم يكن يعجبنني حتى، إذاً، لماذا عليّ أن أهتم بهن الآن؟».

«لأنهن ميتات، ومهما كان الأمر غير الصائب الذي فعلنه، لم يكن يستحققن الموت. وحشٌ قام بدفنهن تحت الأرض ونسي أمرهن. يجب أن أحاول مساعدتهن».

«أنت منزعجة بخصوصهنّ أكثر من انزعاجك بشأني».

«ما الذي تتحدثين عنه؟».

هذه المرة كان الارتباك حقيقياً. لا يمكنهن أن يتواصلا إلى أن تعترف نيكولا بما اقترفته.

«أنتِ تعرفين ما الذي فعلوه لي، ولم تفعلي أيّ شيء لعين حيال هذا».

«بيث، أنا لا أعلم من فعل لك شيئاً، ولا ما الذي فعله لك. أخبريني».

حرّكت صفحة أخرى من المجلة، وقالت «اسألي المحققة، ربما ستخبرك ما الذي فعلته لأنك متورّطة في ما حصل لي».

«أعرف فقط أن الموضوع له علاقة بنا بشكل ما».

ظلّت يد بيث مُعلقة في الهواء. وأفلتت قبضتها الصفحة. أن تقوم أختها بربط تلك العلاقة كان تقدماً في حد ذاته. أرادت من نيكولا أن تتذكر. أرادت منها اعتذاراً. أرادت أن تسمع الكلمات التي ارتقبتها عشر سنوات.

لكن ليس بعد.

«ما أقوله لكِ، نيكولا، اتركي الأمور على حالها».

«لكنني أردتُ لكل الملفات أن تُفتح». سمعت بيث صوت التأثر في صوت أختها. لم تنظر إليها. لم تكن تستطيع أن تنظر إليها.

«بيث، أتمنى لو أعرف ما الذي فعلته لكي أؤذيك. كيف خذلتك بشكل رهيب. أنتِ أختي. توجد الكثير من الأسرار بيننا. أنا أحبكِ وأريد أن أعرف الحقيقة وحسب».

ألقت بيث بالمجلة جانباً ثم نهضت.

«جميل، احذري من الأشياء التي تتمنينها.. لأنه يمكنك الحصول عليها».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخامس والخمسون

طلبت كيم اجتماعا متأخراً. لقد أثّرت فيهم حدّة هذه القضية كلهم. أقلّ شيء من الممكن أن تقدمه لفريقها، ساعة، أو ساعتين اضافيّتين من النوم.

خلال الوقت الذي انتهت فيه من أخبار وودي بآخر المُستجدات، كان براينت وستايسي وداوسون خلف مكاتبهم.

«صباح الخير يا رفاق، أنا متأكدة بأنكم تدركون الأمر، لكن عليّ أن أخبركم بأن اهتمام الصحافة بقضيّتنا ازداد حدة. حيثُ تسبب نصب خيمة ثالثة بحالة هيجان. لقد تم الإعلان عن هذا في الصفحة الأولى من كل جريدة، وعُرضت فقرة للحديث بخصوص الموضوع على الـ«سكاي نيوز» الليلة الماضية».

«أجل، لقد شاهدته». تذمّر براينت.

«أنا متأكدة أنني لا أحتاج إلى تذكيركم بأنه لا ينبغي الحديث مع أحد من الصحافة، مهما كان مُقنعاً. هذه القضيّة مشحونة جداً بحيث قد تخرج عن المسار بسبب أي تعليق يصدر عنا ويُساء تفسيره.

ضمنت كيم نفسها في هذا التعهد. كانت تعرف حدودها عندما

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تكون محاصرة من قبل الصحافة، وهذا هو السبب الذي جعلها تكون حكيمة وتنأى بنفسها عنهم.

«وإذا ما احتاج أي واحد منكم إلى تذكير في أي مستنقع نحن، فلديكم مطلق الحرية في التوجه إلى مكتب وُودي وقراءة أيٍّ من تلك المقالات».

كان مكتب مديرها شبيهاً بوكالة أخبار وخلال اجتماعهما الباكر حدّثها عن القضيّة من خلال كل مقال صحفي.

«حقاً، جُوف؟». سألها داوسون.

حرّكت كيم رأسها في إيماءة موافقة. كان من الأفضل أن يعرفوا أنهم كانوا يتعرضون لهجوم. «هيا، كِيف، أنت تعرف كيف تجري الأمور. بحلول اليوم الثالث من التحقيق، أصبحوا يشيرون إلى أن هذا كان خطأنا، وقد تدبّرنا أمرنا حتى اليوم الخامس منذ اكتشاف أول مجموعة عظام، بالتالي يمكننا القول إننا نقوم بعمل جيد جداً».

شعرت كيم بموجة من السلبية تعبر الغرفة.

تنهّدت كيم. «إن كان اهتمام الصحافة مهمّاً بالنسبة إليكم جميعاً إلى هذه الدرجة، كان عليكم أن تختاروا العمل في عالم المشاهير والشائعات. نحن ضبّاط شرطة. لا أحد يُحبّنا».

«ومع ذلك فهذا محطّم للروح، جُوف. يضرب الحماس قليلا». قالت ستايسي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أدركت كيم أنها ليست قويّة في المحادثات المثيرة للحماس والحيوية.

«انظروا جميعاً إلى ذلك الحائط، وأعني انظروا إليه بقوة».

كان من السهل عليها الآن النظر إلى اللوح الأبيض، وقد نُسب لفتياتها الثلاث أسماؤهن. كان اللوح مقسوماً إلى ثلاثة أقسام:

الضحية 1: ميلاني هاريس

العمر: 15 سنة

أطول من المتوسط، سيّئة التغذية، عيب في الأسنان، جورب مرسوم عليه فراشة.

مقطوعة الرأس.

الضحية 2: ترايسي مورغان

العمر: 15 سنة

حامل، الجزء السفلي من منامتها مفقود.

مدفونة حيّة.

الضحية 3: لويز دُونستون.

العم: 15 سنة.

طقم أسنان اصطناعية فقط لأسنانها الثلاث العلوية.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«خسرت هؤلاء الفتيات حيواتهن على يد وحش. بينهن من تعرّضت للاغتصاب، للضرب، اختنقت ودُفنت. وهذا الأمر لم يكن بالنسبة إليهن قصّة للنشر في الصحف. كانت هذه حيواتهن، واقعهن. نحن نستيقظ كل صباح على أمل نجد الشخص الذي فكّر في أنه من الممكن أن ينفذ بهذه الجريمة».

«قبل بضعة أيام، كانت هؤلاء الطفلات منسيّات وصامتات. لكن ليس بعد الآن. ميلاني، ترايسي ولويز، سيمتلكن صوتاً بفضلنا. ولا تشكّوا للحظة، سنمسك بالحقير الذي فعل هذا». تمهّلت كيم، ونظرت عبر أرجاء الغرفة. «وإذا كنتم تحتاجون أيّ حافز أكثر من هذا، إذاً، فأنتم تعملون في الوظيفة الخطأ».

«شكراً، جُوف». قال برانيت.

«هيّا بنا ننطلق». أضافت ستايسي مبتسمة.

«أجل هيّا». أضاف داوسون وهو يترنّم بالكلمات.

اتخذت مجلسها المعتاد على حرف المكتب الشاغر.

«حسناً، ما هو التقدم في الموقع؟».

«استخرج الدكتور دان الجسد نحو الساعة الثانية صباحاً. قامت كيريس بفحص أوليّ للقبر، لكنهم سيقومون بفحص وغربلة التراب هذا الصباح». مكتبة الرمحي أحمد

«هل قال الطبيب شيئاً بخصوص الأسنان؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لم يقل الكثير بخصوص أي أمر. إنه شخص غريب جداً، جُوف».

«أخبر كيريس بهذا. ربما مازال فك الأسنان في القبر».

«ستايسي، هل من جديد؟»

«لقد حصلتُ الآن على الهاتف المحمول لطوم كورتيس. لقد تلقى أكثر من خمسين مكالمة فائتة خلال الساعتين اللتين سبقتا موته».

مالت كيم إلى الأمام . «واصلي».

«صدرت كلها من هاتف كروفت».

«يا للمسيح». قالت كيم وقد استشاطت غضباً.

«لا فائدة تُرجى من الشريط من مأوى المسنين. بالتالي لن نستطيع الحصول على أي دليل يجعل من موت ماري أندروز جريمة».

« أي شيء من مختبر التحليل الجنائي بخصوص آرثر كونوب؟».

«تحليل رقاقة الدهان يقول إنها من سيارة أودي موديل TT بلوح سيارة من التسلسل خمسة تسعة».

«هل من أمر آخر؟»

«أجل، بخصوص التسجيلات الخاصة بكريستوود التي حصلنا عليها من المجلس فهي من دون قيمة. مازلتُ أتابع عبر الفيسبوك بصفة غير رسمية، وأفتح محادثات مع المتساكنات السابقات. بعض

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

عمليات الفرار حصلت في كريستوود في تلك الليلة وعمليات أخرى حصلت قبلها بأسابيع».

فكرت كيم بصمت. إما أن المجلس لا يتميز بالكفاءة على الإطلاق، وإما أن هناك من قام بمحاولة مُتعمدة لتخريب التسجيلات. وفي هذه المرحلة، مثّل الاحتمالان إمكانية.

وبالرغم من أن كيم لم تكن مرتاحة بالكامل لتواجد ستايسي ضمن مجموعة الفيسبوك لكن كان من الواضح أن هذا جلب لهم معلومات مفيدة أكثر من التسجيلات الرسميّة.

«ستايسي، اطرحي بعض الأسئلة بخصوص طوم كورتيس. اكتشفي إلى أي درجة كان مقرباً من الفتيات. أريد أن أعرف إن كانت هناك أيّ إشاعة حول تصرف غير لائق».

«سأفعل، جُوف».

«حسناً، كِيف، عُد للموقع وبراينت، أعتقد أننا، أنا وأنت، يجب أن نؤدي زيارة أخرى للمستشار كروفت».

«امم...جُوف.. هناك أمر آخر اضافيّ»، قالت ستايسي.

«تفضلي». قالت كيم، وهي تلتقط سترتها.

«لقد حصلتُ على ثلاثة عناوين. آخر عناوين معروفة لفتياتنا».

تبادلت كيم نظرة مع براينت. كان هذا أقل عمل مفضل لدى المحققين. مهما كانت الظروف التي أدت لإلحاقهن بمركز الرعاية،

كانت كيم متأكدة أنه يوجد أفراد عائلات سيتأثرون بعمق لاكتشاف موتهن.

أخذ براينت الورقة وتجاوز مكتب ستايسي.

عليهم أولاً أن يتثبتوا من الأحياء، وسيُؤدون لاحقاً عمل الموتى.

الفصل السادس والخمسون

نظرت كيم إلى سيارة الشرطة المركونة خارج البوابة. وبالرغم من أن شرطة ويست ميدلاندس لم تكن لتعطي الموافقة بمراقبة أربعاً وعشرين ساعة لريتشارد كروفت، فإن دوريات الشرطة نُصحت بأن تراقب المكان، وتتابع الاتصالات الداخلية للبيت.

ضغط برانيت على زر مكبّر الصوت، وانتظر انفتاح البوابة. انتظر عشر ثوانٍ وضغط مجدداً. نظرا إلى بعضهما بعضاً. في زيارتهما السابقة كانت الإجابة فورية.

«واصل الضغط». قالت كيم، وهي تخرج من السيارة.

سارت باتجاه سيارة الشرطة. خفض الضابط النافذة.

«كم مضى من الوقت منذ عاينت الأمور هنا؟».

«منذ نحو عشرين دقيقة. حيث قال ريتشارد كروفت إنه سيعمل من المنزل هذا الصباح، وسيذهب لاحقاً إلى المكتب. بعدها بدقائق قليلة خرجت سيارة. كانت المُربيّة على ما أعتقد».

ركضت كيم عائدة إلى براينت. لقد ظلّ ريتشارد كروفت في البيت وحده عشرين دقيقة على الأقل. «هل من جديد؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حرّك رأسه بالنفي.

«حسناً هيا لندخل».

وقفت للحظة، ثمّ خطّطت لمسارها فوق البوابة. كانت البوابة من الحديد المُطاوع المسبوك على شكل ورود منقوشة، ومُنمنمات، وأوراق شجر. التقطت عيناها مسلكاً لقدميها قريباً من الحائط الذي على اليسار. استعملت يديها الاثنتين كي تُؤرجح البوابة. كانت ثابتة.

دفعت بساقها اليُمنى فوق المسامير التي زخرفت أعلى البوابة.

«ما من فرصة». قال براينت، من الخلف.

«هيّا، أيتها الفتاة الكبيرة»، قالت كيم.

بينما نزلت كيم من الجهة الأخرى للبوابة التي تبلغ ثماني أقدام، فكّرت في أنه ربما ستكون هناك فرصة أن يكون ريتشارد كروفت مستغرقاً في الاستماع للموسيقى، وكان بعيداً جداً بحيث لم يسمع صوت نظام الاتصال الداخلي. أو ربما كان نظام الاتصال من جهة البوابة مُخرباً، وكان ريتشارد في طريقه الآن للخروج كي يفتح لهما الباب. فضّلت كيم أن يكون ريتشارد تجاهلهم على أن يكون ميتاً.

ركضت على امتداد الممشى الذي يفصلها عن المدخل، لاحظت وجود تعرّج على الممشى لم يكن من الواضح أنه ناتج عن حركة السيارة. وبينما اقتربت من البيت لاحظت أنه كان ساكناً.

طرقت الباب، ورنّت الجرس في الوقت نفسه. ثمّ تراجعت للوراء كي تنظر إلى أين كانت أجهزة كاميرا المراقبة مُوجهة. كانت كاميرا

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

موجهة إلى البوابة الأمامية، والثانية نحو السيارات اللعينة. لا شيء غطّى المنطقة الخلفية للبيت.

«واصل الطرْق»، أمرت براينت الذي لحق بها وقد بدا سليماً.

ركضت حول جانب البيت، وتعثرت برفش كان مائلاً على الحائط.

شعرت بشيء ينسحق تحت قدميها قبل أن ترى لوح الزجاج المُحطّم.

صرخت منادية باسم براينت بأقصى صوتها. ظهر من الجانب الآخر.

كان باب المدخل الذي يوصل إلى مشتل البرتقال الذي امتد على طول البيت، مُحطّماً.

أوشكت على أن تخطو إلى داخل البيت لكنها تمهلت.

«اتبعني»، قالت، وهي تركض عائدة إلى الواجهة الأمامية من العقار. وفي طريقها التقطت الرفش الذي سبق وأن تعثرت به.

سلّمته لبراينت «اكسر النافذة. لا أريد أن يلوث الباب الخلفي ببصاماتنا قبل أن يصل المسؤول عن أخذ البصمات، هنا».

تراجع براينت إلى الخلف أقصى ما يمكنه ووجّه الرفش. هوت النافذة جراء الضربة. والتقطت كيم طوبة كي تنتزع بها الزجاج الذي ظل على الحافة وتجعل الدخول آمناً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وقفت على الأصيص المصنوع من الطين الناضج. واتكأت على كتف براينت كدعم. وجدت قدمها شيئًا صلباً أسفل النافذة. وضعت ثقلها عليه. وحين أصبحت في الداخل، رأت أنها نزلت فوق مكتب قديم الطراز، وأنها دخلت عبر غرفة الدراسة.

فور ملامسة قدميها الأرض، مدّت يدها نحو براينت الذي تبعها بالدخول عبر النافذة. قاد الباب الثقيل المصنوع من خشب السنديان إلى البهو. استدارت كيم إلى اليسار، بينما صعد براينت الدرج. كانت الغرفة التالية التي دخلتها هي قاعة الاستقبال التي تذكرها من زيارتهما السابقة. فحصتها بسرعة.

«قاعة الاستقبال، نظيفة». نادت كي يسمعها براينت، بينما عاودت الدخول للبهو. سمعت براينت يصرخ بأن غرفة النوم الرئيسية نظيفة.

دخلت كيم للمكتبة، ووقفت متجمّدة.

كانت الكتلة المُتكوّمة وسط السجاد هي ريتشارد كروفت، وسكّين طبخ طولها ثمانية إنشات مغروسة في ظهره. نادت كيم براينت ثم ركعت، حذرة من لمس أيّ شيء. كانت بركة الدم التي أحاطت به من الجانبين قد أغرقت السجاد.

ظهر براينت بجانبها «يا للجحيم الدمويّ».

وضعت كيم إصبعين على عنقه. «مازال حيّاً».

أخرج براينت هاتفه المحمول، واتصل بسيارة إسعاف.

ذهبت كيم لتبحث عن جهاز الاسقبال الخاص بنظام الاتصال الداخلي، ووجدته مُثبتا على الجداًر بجانب ثلاجة ضخمة موديل «سميج».

ضغطت على الزر، وشاهدت عبر تلفزيون المراقبة، البوابة الحديدية تُفتح.

لاحظت أن جهاز الإنذار الخاص بالبيت لم يكن مُفعلاً. تعجّبت كيم كيف يستعمل الناس أجهزة انذار داخلية لحماية ممتلكاتهم عندما يتغيبون عن البيت. في حين أنه لم تكن توجد حماية لحياة ريتشارد كروفت في الوقت الذي كان فيه زملاؤه السابقون يموتون بمعدّل غير طبيعي.

ركضت نحو الباب الأمامي وتركته مفتوحاً.

أصبح لدى المسعفين الآن طريقة للنفاذ للمبنى مباشرة. ركضت حول البيت وتوقفت على بعد نحو ست أقدام من نقطة الدخول. استدارت وعاينت الجزء الخلفيّ من الحديقة. في فحصها الأول استطاعت أن تشاهد أنه لا توجد أي نقطة ضعف واضحة. لم تكن خلفية العقار مسدودة بحائط، وإنما بسياج يبلغ ارتفاعه نحو ست أقدام. وقد ساهمت تعرشات الزينة في علوه بنحو قدم ونصف القدم. وبدت كل الأعمدة لم يُصبها أذى.

«حسناً، أيها النذل، إن لم تكن قد دخلت إلى هنا بالقفز من فوق هذا السياج فيجب أن تكون قد دخلت من خلاله».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مشت كيم على امتداد الجانب الأيسر، وهي تدفع بكل لوح من السياج بالتتابع. كانت الأجزاء مصنوعة من الخشب، لكنها كانت متينة، وكانت كل ألواح الجهة اليُسرى مرتبة مع الأشجار. وقد امتدّ عشب حدائق على مستوى منخفض. وفي حال قرر أي مُتسلّل الدخول عبر أيّ لوح من الألواح الجانبية سيكون مكشوفاً على الفور من خلف للمنزل.

درست كيم السياج الذي حدّ أسفل العقار. كل عشر خطوات كانت هناك شجرة صنوبر تصاعدت نحو السماء بارتفاع خمس عشرة قدماً. وأغلبية الأشجار انتصبت في الوسط ماعدا الشجرة الرابعة.

كان قطرها الذي يبلغ نحو ثلاث أقدام، يغطي لوحاً من السياج ودعامة. خطت كيم مئة قدم نحو عمق الحديقة، واستعملت إبهامها لتدفع العمود قليلاً. تحرّك تحت تأثير لمستها، ورأت كيم أن عمود السياج لم يعد متصلاً بالدعامة.

سمعت كيم خطوات تركض حول المنزل.

«سيدتي؟»، نادى أحد المفتشين.

خطت خارجة من خلف الشجرة، مثبّتة ذكاء نقطة الدخول، وإمكانية استعمالها أيضاً كنقطة اختباء.

«ما الذي يمكنني فعله، سيدتي؟».

«احرس ذلك الباب الخلفي. لا تسمح لأحد بالاقتراب منه».

وافق بإشارة من رأسه ووقف بجانب الباب، مواجهاً الخارج.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

رجعت كيم خلف شجرة الصنوبر، ودفعت السّياج مُجدّداً. تحرّك بسهولة، وترك فجوة كان الانزلاق عبرها سهلاً بما يكفي.

«اللعنة». قالت. لقد كان هذا الحقير ذكياً. خطت مبتعدة، وتحركت عائدة إلى الحديقة كي تتأكد من أنها لم تفعل أيّ شيء إضافي قد يعرقل عملية جمع الأدلة.

صعدت على الأرجوحة، بينما كانت تسمع صفارات الإنذار تقترب بسرعة على الممر الذي يقود إلى البيت، وتتوقف عند الباب الأمامي.

نظرت من فوق السياج ورأت أن الأرض من الجانب الآخر شكّلت مُنحدراً يقود نحو الجزء الخلفيّ للمجمع التجاري. وبعد تلك المنطقة قطعة أرض مكتظة بالطرقات، والأخاديد، والنهايات المسدودة.

تشبه قليلاً هذه القضية الملعونة، فكّرت كيم بينما نزلت من الأرجوحة.

مشت كيم ببطء على امتداد الخط الفاصل بين عمود السّياج المُحطّم والباب الخلفيّ، وهي تنظر إلى اليسار، وإلى اليمين.

وقفت على بعد أربع أقدام من ضابط الشرطة.

«كيف حالك، اليوم، سيدتي؟».

فتحت كيم فمها كي تسأله كيف يريدها أن تكون بحق الجحيم عندما تعرفت إليه، لقد كان هذا الشرطيّ الذي تحدث إليه براينت في ذلك اليوم. وهو يقوم بما طُلب منه القيام به، أي أن يفتح معها حديثاً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

غيرت كيم وجهتها وتوجهت مباشرة للباب الأمامي من المبنى. كان براينت واقفاً في الخارج يشاهد انغلاق الأبواب الخلفيّة لسيارة الإسعاف.

«حسناً؟».

«ما زال يتنفّس، جُوف». والسكين مازال منغرساً في جسده. لم يرغب المسعفون في انتزاعه إلى أن يلقوا نظرة على ما يمكن أن يحمله. فمن الممكن أن يكون سلاح الجريمة هو ما يبقيه حياً».

«أوه، يا للسخرية». قالت، وهي تجلس على الدرجات الحجريّة.

«ها قد وصلتنا المُساعدة». قال براينت، بينما اقتربت بسرعة سيارة موديل «كورسا فوكسهول». المرأة التي عرفاها باسم مارتا خرجت من السيارة. كان وجهها من دون لون.

«ماذا...ماذا»...

ظلّت كيم جالسة بينما توجّه براينت نحو الفتاة الشابة.

«السّيد كروفت أصيب إصابة خطرة. يجبُ أن تتصلي بزوجته وتنصحيها بالتوجه للمستشفى بأسرع ما يمكنها».

وافقت بحركة من رأسها وترنحت وهي تمشي نحو البيت.

سيارتا شرطة إضافيتان عبرتا الممر تليهما شاحنة المخبر الجنائي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لا أعرف». قال براينت، عندما نهضت كيم من جلستها، «رجال الشرطة مثل الحافلات. في دقيقة لا وجود لأحدهم، ثمّ»...

«الرقيب دُودز»، قال ضابطٌ قوي البنيان بينما ظلّت يداه في سترته الواقية من الرصاص. أخذه براينت على جنب ليشرح له المشهد، بينما قبضت كيم على أول موظف خرج من شاحنة التحليل الجنائي.

«اتبعني». قالت، من دون أيّ تقديم. مشت على طول جانب البيت، وأخذت الرجل الأشقر الطويل نحو أعماق الحديقة. أشارت إلى ما خلف الشجرة.

«عمود السياج المُحطّم كان نقطة اختراق المكان». ثمّ أشارت إلى الباب الخلفي. «وتلك هي نقطة الدخول».

«فهمتُ، سيدتي».

مشت عائدة إلى أمام البيت حيث التقت بمارتا وهي تحمل هاتفاً جوالاً.

«السيدة كروفت تود التحدث إليك».

أخذت كيم الهاتف.

«أيتها المُحققة فهمت من كلام مارتا أن هناك تخريباً معتبراً قد وقع في بيتي».

«ليس بقدر الأذية التي تعرض لها زوجك».

«أودّ تفسيراً إضافياً، ما الذي تفعلينه في ملكيّتي؟، لقد طلبت على وجه خاص أن يتم إخراجك من»...

«إن زوجك في مستشفى راسيل هولز، لو أنت مهتمة». قالت كيم، وأغلقت الهاتف.

أعادت الهاتف إلى مارتا، بينما خرج برااينت من البيت.

«جاهزة؟»، سألها.

أومأت موافقة، وتوجّها عائدين نحو السيارة التي كانت عند نهاية الممر.

«هل أنشأت جسوراً مع السيدة كروفت، جُوف؟».

« نصبح مقرّبتين أكثر وأكثر يوماً بعد يوم»، قالت كيم بعنف.

«إلى أين الآن، جوف؟».

«إلى هوليتري». قالت كيم بهدوء. كانت مهمّة لا يمكن تجنبها لوقت أطول. «نحن على وشك إفساد يوم إحدى العائلات».

الفصل السابع والخمسون

قاد براينت السيارة عبر متاهة من الشوارع الصغيرة نحو المثلث الذي كان في الوسط، والذي تشكّل من مبانٍ عالية. كانت المنطقة تضم 540 سكناً مع عصابتين تتحمّلان مسؤولية غرس المستوى المطلوب من الخوف لدى السّكان.

العصابة الأولى «الديلتاز»، تكونت من مجموعة من الشبّان المنتشرين ناحية «دادلي»، بينما كانت عصابة «بي بُويز» على امتداد شارعين وأكثر، من بداية «ساندوال».

ركن براينت السيارة قرب الملعب. وبالرغم من أن المكان كان يحتوي على أراجيح، وإطلالة على البحر، وبعض المقاعد، إلا أن المتنزه لم يشهد زيارة أيّ طفل منذ عقود. كان معروفاً باسم «الحفرة»، وهناك يلتقي ممثلو كلّ عصابة ليقوموا بـ«الأعمال». حسب علم كيم، اكتُشفت ثلاث جثث في «الحفرة» خلال آخر سنتين، ولم تجد الشركة أيّ شاهد يقدّم شهادته في أيّ واحدة من الجرائم الثلاث. وحسب تقدير كيم، نحو سبعين في المئة من البيوت كانت لديها إطلالة مباشرة على المنطقة، ومع ذلك لا أحد قد رأى شيئاً.

لم يكن دخولهما إلى سوالُو كورت مُقيّداً. كان حضور الشرطة،

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

على الرغم من أنه كان أمراً غير مرغوب فيه، إلا أنه لم يكن مُقيّداً. كان سكان هذه المنطقة منعزلين عن العالم الخارجيّ، والجرائم التي تقع في القطاع يتم حلّها داخل القطاع. كان قادة العصابات في أمان في ظل معرفتهم أن أيّ مواطن عادي لن يتحدّث أبداً بصراحة إلى الشرطة.

«أوه يا إلهي»، قال براينت، وهو يضع يده فوق أنفه. أخذت كيم نفساً عميقاً جيداً قبل أن تدخل إلى البلوك. كان الممر مظلماً، وفاحت منه رائحة البول. كانت المساحة صغيرة، ومن دون نوافذ. لم يتم تغيير مصباحيْ الضوء، والمصدر الوحيد للإنارة كان مربعاً من القضبان في السقف تسرب منه شريط من الضوء الأصفر.

«أيّ طابق؟»، سألت كيم.

«السابع. نصعد على الدرج؟».

أومأت كيم موافقة، وتوجهت نحو الدرج. كان من الواضح أن المصاعد في مثل هذه المباني تعاني عيباً ما بشكل واضح، وإذا ما علقا في أحد هذه المصاعد بين الطوابق فمن غير المُرجّح أن يأتي أحد لمساعدتهما.

إذاً، ما الأفضل، أن تخور قواهما، أم يُتركا حتى الموت؟ كان اختياراً سهلاً.

بالوصول إلى الطابق الثالث عدّ براينت سبع حُقن وثلاث قوارير بيرة محطّمة، وواقيين مُستعملين.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«من قال إن الرومانسية قد ماتت؟»، سأل براينت بينما كانا يدخلان إلى ردهة الطابق السابع. «هناك، جُوف». قال براينت وهو يشير للشقّة رقم 28C.

كان هناك علامة واضحة على الباب الذي فتحته طفلة، خمّنت كيم أنها في الثالثة أو الرابعة من العمر. لم تبتسم، أو تتكلم، ومصّت العصير من قنينة أطفال.

«ريحانا، ابتعدي عن الباب اللعين»، نادى صوت امرأة.

خطا براينت للأمام مُبعداً الطفلة عن طريقه. وخطت كيم إلى جانبها مغلقة الباب.

«اعذريني». نادى براينت بينما وقف في الممرّ الكئيب والقذر. «نحن من الشرطة...هل نستطيع»...

«ماهذا بحق الجحيم...»

سمعا صوتاً يقول في خضم ضجّة ما.

مشت كيم نحو قاعة الاستقبال. كانت الستائر مغلقة لكنها لم تلتق جيداً في الوسط.

فتاة كانت تضع حلقاً مُدوراً، ووجهها شاحب، وقفت هناك تنفض الهواء بيديها. كان الجوّ ثقيلاً وتنبعث منه رائحة الماريجوانا.

«ما الذي تفعلونه هنا بحق الجحيم؟، ليس لديكما الحق في الدخول مباشرة»...

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ريحانا قامت بدعوتنا». قالت كيم، وقد كادت تتعثر بمهد هزّاز بداخله مولود. «نحن هنا من أجل لقاء براين هاريس».

«هذا أبي. إنه نائم».

كانت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة والنصف.

«إذاً، أنت أخت ميلاني؟»، سأل براينت.

«من؟»، سألت بتهكم.

سمعت كيم صوت باب يُفتح في الممرّ. رجل يرتدي نصف ملابسه توجّه نحوهم، ثائراً. «ماذا تفعلون بحق الجحيم؟».

«سيد هاريس»، قال براينت، بدماثة وهو يقفُ أمامها. أخرج شارته وقدمهما للاثنين.

«نحن هنا فقط لنحدثك عن ميلاني».

توقف مباشرة وتجهّم وجهه.

بدأت كيم تعتقد أنهما كانا في العنوان الخطأ. لكن كان من الواضح أن ميلاني قد ورثت طولها الفارع من أبيها. كان يبدو أن طوله يبلغ نحو ست أقدام. كان كل ضلع من ضلوعه واضحاً، ووسط بنطاله الجينز استقر حول وركيه النحيلين. بينما انتشرت الأوشام على كامل ذراعيه الهزيلتين.

«ما الذي فعلته الآن هذه الكلبة؟»، قال، وهو ينظر إلى ما وراء الأريكة. تابعت كيم نظرته. كان هناك كلبة من فصيلة «ستافوربدشاير»

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لونها بنيّ غامق تلهث مُمدّدة داخل قفص من المفترض أن يكون مخصصاً لكلب من فصيلة «يُوركي» كبير. كانت حلماتها منتفخة وحمراء اللون. وبجانب القفص صندوق ورقي يحتوي على أربعة جراء متحاضنة ومتكومة فوق بعضها بعضاً. لم تستطع كيم أن تعرف إن كانت عيون الجراء قد انفتحت بعد أم لا، لكن تم انتزاع هذه الجراء من الكلبة لسبب ما.

إن فصل جرو صغير عن أمّه سيجعله يعاني سريعاً من مشكلات في السلوك، مشكلات من الممكن تصنيفها على علامات الإصابة بمرض «الديلتاز».

نظرت كيم في عينيّ الكلبة الأكبر التي ستلدُ مُجدّداً في أقرب فرصة. ونظرت إلى برواينت الذي استقرت نظرته أيضاً على الكلاب. تبادلا نظرة فيما بينهما.

«مهما كان الذي فعلته تلك الفتاة فلا شأن لي به. لقد سبق وأن سلمت تلك الفتاة منذ سنوات».

بدأ الرضيع خلفهم يبكي.

جلست المرأة ووضعت ساقها اليُمنى على ظهر المهد الهزّاز. وأخرجت هاتف أيفون وبدأت بكتابة الرسائل النصيّة بيد واحدة.

جلس براينت هاريس بجانب ابنته. ولكزها بقوّة.

«ضعي الغلاية، تينا».

«قم بهذا بنفسك، أيها النذل الكسول».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«افعلي هذا، أو اغربي عن وجهي، وخذي صغارك الملعونين معك».

نظرت إليه تينا نظرة لئيمة لكنها توجّهت للمطبخ. ولحقتها ريحانا.

اتكأ هاريس مشعلاً سيجارة، وهو ينفخ بالدخان مُباشرة فوق رأس الرضيع.

أجبر براينت نفسه على جعل صوته هادئاً حين تكلم، بينما اتخذ مجلسه على الأريكة المُقابلة. بينما ظلت كيم واقفة.

«هل تستطيع أن تخبرنا متى كانت آخر مرّة رأيت فيها ابنتك، سيّد هاريس؟».

أجاب بلا مبالاة «لا أستطيع التحديد بالضبط. لقد كانت طفلة.»

كم كان سنّها حين أعطيتها؟»، سألت كيم.

لم يظهر براين هاريس أي انفعال وقال: لا أتذكّر جيداً، لقد مضى وقت طويل على هذا.

«هل كانت طفلة مثيرة للمتاعب؟».

«لا، لقد كانت تأكل كثيراً وحسب. كانت بقرة صغيرة طمّاعة»، قال مبتسماً لمزاحه.

لا هي، أو براينت، نبس بكلمة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«انظرا، لقد كان لديّ طفلتان للاعتناء بهما، عندما غادرت أمّهما العاهرة وقمت بأفضل ما أستطيع».

هزّ كتفيه باستهجان مُعتقداً أن لقب «الأب المثالي للسنة» كان عند الزاوية.

«إذاً، كانت تعيسة الحظ، وحسب؟»، سألت كيم.

كشر بوجهه وهو يبرز أسناناً صفراء. «كانت طفلة مضحكة المظهر. تلخص كل جسمها في ساقين من دون لحم. لم تكن لتُرسم».

مال براينت للأمام. «هل قمت بزيارتها ولو مرة، بعد أن وضعتها في بيت الرعاية؟».

حرك رأسه بالنفي. «كان هذا سيجعل الأمور أصعب علينا الاثنين. كان يجب جعل القطيعة نظيفة. أنا لا أعرف حتى أين حشروها. يجب أن يكون في ذلك المكان حيث يحفرون الآن». قال وهو يسحب أنفاساً من سيجارته.

«ألم تفكر في الاتصال بالشرطة كي ترى إن لم تكن هناك إمكانية، أن ابنتك واحدة من الضحايا في كريستوود؟ سألت كيم مُغتاظة. ولو ذرة انفعال واحدة كانت ستعيد لها إيمانها بالجنس البشري.

استقام في جلسته. «هل ميلاني واحدة من الضحايا؟».

أخيراً، فكّرت كيم، أخيراً تجلّى وميض اهتمام بعافية ابنته التي هجرها قبل خمس عشرة سنة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

إلا أن ملامحه سرعان ما تحولت إلى تكشيرة «هذا لن يكلفني أيّ شيء، أليس كذلك؟».

شدّت كيم على يديها بإحكام داخل جيوبها. كانت هناك أوقات تمنت فيها أن تغلق يديها كي لا تسيء التصرف.

عادت تينا وقدمت لأبيها شراباً يتصاعد منه البخار. ومن خلال النظرة المرسومة على وجهها لم تكن كيم لتثق بأي شيء يحتويه ذلك الكوب.

«سيد هاريس، نحن آسفون لإعلامك بأنه من خلال عملية رسميّة للتعرف إلى الهويات، فنحن نشك في أن ميلاني واحدة من الفتيات اللاتي تم اكتشافهن مؤخراً».

حاول براين هاريس أن يبدو مهيباً لكن نظرة الأنانية التي تجلّت في عينيه انتصرت «انظر، لقد سلّمتها لمركز الرعاية قبل سنوات، بالتالي فإن الأمر حقاً لا يعنيني».

نظرت كيم لريحانا التي مشت بين الأريكة وقفص الكلب. وضعت أصابعها بين الأعمدة وبدأت تسحب الكلبة على جنب والتي لم تكن تملك أيّ مكان تذهب إليه. تحركت كيم وأبعدت الطفلة بقدمها اليمنى. تحرّكت الطفلة صوب صندوق الجراء لكن تم إنقاذ كيم من التصرف.

«تينا، أبعديها من هناك».

تذمّرت تينا من جديد ونهضت. التقطت يد ابنتها وقادتها نحو

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

غرفة النوم. بخروج الطفلة من الغرفة، لم تعد كيم تقدر على تمالك نفسها مُطوّلاً. لم تكن تستطيع استعمال قبضتيها لكن لديها أدوات أخرى.

«سيد هاريس، أودّ أن أتركك مع صورة في رأسك. ذكرى أخيرة، إذا شئت. إن ابنتك البالغة من العمر خمس عشرة سنة قد قُتلت بطريقة فظيعة. العظام في قدمها سُحقت بحيث لا يمكنها الفرار، بينما حقير مريض يقطع رأسها. لقد عانت، وبكت، ومن الممكن أنها صرخت منادية باسمك بينما ذلك الحقير يُقطّعها».

مالت كيم مواجهة وجه الأب الآسف، والمثير للاشمئزاز. «وهذه المعلومة لم تكلفك أي بنس لعين».

نظرت إلى براينت. «لقد انتهينا».

تجاوزته، واتجهت نحو الباب. لحقها براينت لكنه تردّد قبل أن يغلق الباب خلفهما.

«انتظري هنا، أريد أن أسأله بخصوص أمر إضافيّ».

بينما كانت تنتظر، استوعبت كيم أنها لم تطبّق ما ينص عليه المرجع الخاص بإرشادات تبليغ العائلة بموت واحد من أفرادها المحبوبين. لكن لو كانت التقطت ولو أونصة حبّ، أو حنان، فإن كيم كانت لتلتزم بالقواعد في المرجع. قرّرت كيم أنه يتوجب إبلاغ بقيّة العائلات بواسطة شخص آخر سواها. لم تثق كيم بأنها ستظل هادئة إذا ما واجهت مثل هذه العائلات اللامبالية مُجدّداً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فُتح باب الشقة مجدداً، شعرت كيم بالصدمة، نظرت إلى زميلها الخارج من البيت.

«براينت، أنت حقاً تمزح معي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن والخمسون

«هاك أمسكي الجراء، وسأنتزع الأم».

دفع براينت بالصندوق بين ذراعيها. بدأت الجراء الأربعة تتحرك، واستطاعت كيم أن ترى أن عيونها مفتوحة.

«كيف بحق الجحيم»...

«قلت له إنني جاهز للتغاضي عن مستوى النشاط الإجرامي الذي شاهدته اليوم في بيته إن أعطاني الكلاب». لحقها براينت على السلالم. «لكنني لم أقل شيئاً على الإطلاق بخصوص الخدمات الاجتماعية».

نزلت كيم بسرعة بقية الأدراج وتوقفت في السيارة. «حسناً ماذا الآن يا دكتور دُوليتل[1]؟».

وضع الكلبة الأم على المقعد الخلفي للسيارة، وصندوق الجراء بجانبها. «قودي أنتِ».

«إلى أين». سألت.

---

(1) إشارة إلى عنوان فيلم بطله طبيب بيطري يحمل هذا الاسم

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«بربّك، جوف، تعرفين جيداً أين أسكن».

«يا للمسيح»، هتفت وهي تشغل السيارة. تدبّرت أمرها للخروج من المنطقة، ثم ألقت نظرة سريعة إلى الخلف. كانت الكلبة الأم تُحدّق من أعلى الصندوق. وجاهد أحد الجراء كي يلامس أنفها.

«لا تناديني متهوّرة أبداً مجدّداً، براينت. ما الذي ستقوله زوجتك بخصوص هذا الأمر؟».

بلا مبالاة قال براينت «أخبريني أيّ خيار كان لديّ؟».

لم تقل كيم شيئاً. كانا يعلمان بأنهما وإن أرادا وبشدّة فعل ذلك، إلا أنهما لا يقدران على إنقاذ العالم كله. لكن كان هناك أوقات عليهما أن يتعاملا فيها مع ما يُوجد أمامهما مباشرة.

«جُوف، انظري». قال براينت.

ألقت كيم نظرة أخرى للخلف. كانت الكلبة الأم تلحس الجرو الذي استطاع أن يصل إليها. وكانت بقية الجراء تحاول الخروج من الصندوق.

بعد خمس دقائق، توقفت كيم أمام منزل براينت المتكون من ثلاث غرف نوم في رومزلاي.

خرج من السيارة. «ستواجه هذا الأمر بمفردك».

«جبانة».

«صحيح».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أمسك براينت الكلبة التي قفزت من السيارة بملء إرادتها. وضع الصندوق تحت ذراعه اليُسرى وتوجه صوب الباب الأماميّ.

دعت كيم دعوة صامتة. حيث سبق وأن رأت زوجة براينت في مزاج سيئ، فخشيت من أن هناك احتمالاً بألا تُعاود رؤية زميلها مُجدداً. ستمنحه عشر دقائق، ثم تنطلق في سبيل حالها.

أخرجت هاتفها واتصلت بقسم الخدمات الاجتماعية. تكلمت بضع لحظات، ثم أنهت المكالمة. إن اتصالاً من طرف عون أمن يعلن فيه عن وجود حالة خطرة يستوجب رداً فورياً. خلال ساعة سيكون موظف معني بالحالة يطرق على الباب. شكّت كيم في أن تينا سبق وأن ضاعت لكن ريحانة والرضيع مازال لديهما فرصة.

فتح الباب الأمامي وخرج براينت. لم تكن واثقة تماماً، لكن أطرافه بدت سليمة.

«مازلت مُتزوجاً؟»، سألت وهي تنتقل للمقعد المُجاور. «تمّ جمع شمل الأم وصغارها في بطانية موضوعة بالقرب من جهاز التدفئة. يتم إعداد الأرز والدجاج على الموقد، والزوجة مشغولة حالياً تبحث على شبكة الإنترنت عن كيفية رعاية الجراء».

هل ستحتفظان بها؟».

للوقت الحالي، حتّى تصبح أكبر».

كيف فعلت؟».

«أخبرتها بالحقيقة، جوف». قال ببساطة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تخيّلت كيم الكلاب في منزله، وكيف سيتم الاعتناء بها وتدليلها.

«حسناً، الآن أوصلني للمركز ثم اذهب إلى المستشفى. أحدنا يجب أن يكون هناك كي يسأل كروفت إن أتيحت الفرصة لذلك».

«ألن تأتي؟».

حركت كيم رأسها بالنفي. «على الأرجح هذه ليست فكرة جيدة. ربما هذه بارانويا من جانبي، لكنني لا أعتقد أنني أعجب السيدة كروفت على الإطلاق».

الفصل التاسع والخمسون

تلاشى هدير الدراجة الناريّة النينجا، بينما سحبتها كيم على الممر. خلعت خوذتها ووضعتها على مقود الدرّاجة.

راقبت الموقع من أعلى التلّ. الموقعين الأول والثاني اللذين سُوّيا مع الأرض، كما انتزعت خيمة المعدات. ولم تعد تحد الأسيجة المعدنية الملكية العقارية، وغادرت الصحافة المنطقة. وغادر الشرطي الذي كان يتولى الحراسة. وتناثرت بعض قطع المعدات عند الزاوية العليا من الموقع. مرة أخرى، عاد المكان ليكون أرضاً حكومية خالية يُقام عليها معرض للسفر سنوياً للترفيه عن السكان.

بعض دببة القطيفة وبعض الزهور الملقاة على التل فقط، قد تقدم تلميحات للأحداث التي وقعت هنا في الأيام القليلة الماضية.

انتهى هذا الجزء من التحقيق. الأدلّة التي يمكن استخلاصها من الموتى تم الكشف عنها، وحان الآن الوقت كي تقوم هي وفريقها بملاءمتها كلها معاً.

ذات يوم سيتم ذكر أسماء هؤلاء الفتيات الثلاث في إحدى صفحات ويكيبيديا. سيكون هناك رابط من المقال الرئيسي متحدّثا

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

عن تاريخ «بلاك كاونتري». وستكون الجريمة الثلاثية لطخة عار في إرثهم. لن يكون هذا الحدث تسجيلاً لأوقات طيّبة عرفتها المنطقة.

«فكّرت في أنه قد تكونين أنت»، قال داوسون وهو يخرج من الخيمة.

كانت تحيط بعينيه دوائر سوداء. وكان بنطاله الجينز متّسخاً، وتجعّدت سترته، لكن الساعات التي قضاها في الموقع، والتزامه بالقضية منحاه الحق في أن يبدُو غير مُهندم قليلاً.

أرادت كيم أن تُهنئه على حسن تأديته للعمل لكن بطريقة ما علّقت الكلمات بحنجرتها. عادة حين كانت تمنحه تربيتة لطيفة، فإنه يجد طريقة ما في اليوم المُوالي لإثارة غيظها.

«داوسون، يجب عليّ أن أقول، إنك قد أثرت رعبي. أنت محقق جيّد لعين، لكنك أحياناً تتصرف مثل طفل عمره ثلاث سنوات». توقفت. لقد خرجت الكلمات مخالفة لما اعتزمت قوله. «انظر، أعرف أن هذا الأسبوع كان صعباً بالنسبة إليك لكن بالرغم من هذا كنت نجماً».

أرجع داوسون رأسه للخلف وضحك. «شكراً، جُوف. أن يصدر منك هذا الكلام، فإن هذا يعني لي الكثير».

«لقد كنتُ أعني هذا الكلام، كِيف».

التقت عيونهما. لقد كان يعرف هذا.

«أصغِ إليّ، خذ يوم الغد كإجازة. جميعنا عملنا ثمانية أيام

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

متواصلة. صبيحة السبت سنقضي بضع ساعات حول قهوة وقطع «مافين»، إضافة إلى صراخ برواينت، سنقوم بتحليل ما لدينا، وسنضع خطة عمل للأسبوع المقبل».

دخلت كيم إلى الخيمة الأخيرة المُتبقيّة حيث وجدت كيريس وحدها عند الطاولة القابلة للطيّ بجانب القبر.

«فقدت كل أصدقائك، كيريس؟»، سألت كيم.

استدارت كيم وابتسمت. «أفراد فريقي في الفندق يجمعون أغراضهم كي يتجهوا لطريق العودة. كان أسبوعاً حافلا».

وافقتها كيم بإيماءة ثم سألتها «وأنتِ؟».

تنهّدت كيريس بعمق . «لن أغادر على الفور. سأنتهي من هذا القبر خلال بضع ساعات. لا أظن أننا تركنا شيئاً لم نكتشفه. لم يتم دفن ضحيتنا الثالثة بنفس درجة العمق الذي دفنت فيه الأخريين، لكنني أودّ أن يكون عملي شاملاً».

«إذاً، ستغادرين لاحقا؟»، سألتها كيم.

حرّكت كيريس رأسها. «لا، سأظل هنا حتى وقت متأخر لإنهاء الأوراق». ثم التقطت علبة. «خرز مُجدداً، لكن بالطبع سبق وأن عرفت هذا. كان هناك بقايا ملابس ملتصقة بالجسد لكنها لدى دانيال في المُختبر. كان النسيج بالغ الرّقة ليتم انتزاعه هنا في الموقع».

«هل من شيء آخر؟».

أشارت كيريس إلى ركن في القبر. كان وجهها مرهقاً « إلا إذا كان هناك أمر محدّد للاهتمام به، فإنني أخشى أنه لم يعد هناك شيء».

«هل وجدتم طقم أسنان؟».

تجهّمت كيريس، «لا. هل كان من المُفترض أن أجد؟».

«كان الشكل النهائي لتحديد الهويّة الذي كنت أبحث عنه».

«من المؤكد أنه لم يكن موجوداً مع بقية عظام الجسم».

اللعنة، من دون تلك القطعة الأخيرة لم تكن تستطيع أن تكون أكيدة من دقّة الهويات التي قدمتها نيكولا.

أومأت كيم بتفهمها، ثم توجّهت خارج الخيمة. تريّثت ثم عادت أدراجها.

«كيريس، هل أنتِ بخير؟».

استدارت كيريس مندهشة، إما بسبب السؤال، وإما بسبب الشخص الذي طرحه. ابتسمت لكن ابتسامتها كانت مفتعلة، ومن دون دفء.

«تعرفين ماذا، كيم، صراحة أنا لا أعلم. جسدي مملوء بغضب، واهتياج، بحيثُ لا أستطيع أن أحرّكه. أنا لا أهتم بما فعلته، أو ما لم تفعله هؤلاء الفتيات. كل ما أعلمه أنهن عُوملن كأنهن كنّ أقل من البشر. لقد عُذّبن ووضعن تحت الأرض، وتُركن ليتعفنّ هناك. لم يكنّ

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

سوى مجرّد طفلات. أريد أن أكون هنا حين تمسكين بالنذل الذي فعل هذا. أريد أن أفعل له الأشياء نفسها، والأمر المُثير للقلق أنني أشعر بأنني قادرة على أن ألحق به الأذية نفسها».

نظرت إليها كيم، وجسدها يفرغ شحنته. كانت أحياناً تنسى أن كيريس لم تعمل كثيراً في مواقع جريمة، وقد استهلّت مسيرتها المهنيّة بهذه القضية المُروّعة.

نظرت إليها المرأة، وسألتها. «كيف تقومين بالأمر، كيم؟ كيف تستطيعين أن تستيقظي كل صباح على هذا من دون أن تفقدي عقلك؟».

فكّرت كيم في السؤال، ثم أجابت «أصنع أشياء. أشكّل من كومة صدأ وأوساخ، شيئاً ما جميلاً. أبتكر شيئاً يخلق توازناً مع بشاعة ما نقوم به. هذا يساعد. لكن هل تعلمين ما الذي يصنع فعلاً فرقاً؟».

«ماذا؟».

«معرفتي بأنني سأمسك به».

«هل تعتقدين هذا؟».

ابتسمت كيم. «أوه نعم، لأن لهفتي للقبض عليه تتجاوز الطاقة التي يحتاجها كي يتجنبني. لن أتوقف حتى يُعاقب على ما فعله. وكل ما قمتِ به أنتِ هنا، وكل دليل كشفته، وكل عظم أخرجته، سيساعدني على القيام بهذا. إنه أمرٌ صعب، كيريس، لكنه يستحق القيام به».

ابتسمت كيريس «أعلم هذا، وأؤمن بك. ستقبضين عليه».

«أوه، سأفعل. وعندما سأفعل، سأبلغه تحياتك».

خيّم الصمت بينهما. لم تعد كيم تملك أيّ سؤال لتطرحه على المرأة التي عملت بلا كلل طيلة أيام مقابل ثمن باهظ، عاطفي ومعنوي، على حد سواء.

اقتربت منها كيم، وعرضت عليها يدها. وعلى الرغم من أن البشرة كانت خشنة في بعض المواضع إلا أن قبضة يدها كانت لطيفة ودافئة.

«شكراً على كل شيء، كيريس، وأتمنى لك رحلة آمنة في طريق عودتك نحو البيت. آمل أن نلتقي مُجددا».

ابتسمت كيريس. «أتمنى هذا أيضاً».

غادرت كيم الخيمة.

لديها طقم أسنان عليها أن تجده.

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

الفصل الستون

كان دانيال وكيتس مجتمعين حول ملف حين دخلت.

ابتعد دانيال، بينما استدار كيتس«أيتها المحققة، كم من الرائع رؤيتك».

حدقت به كيم.

«لا، حقاً، لقد عنيتُ هذا. بالنسبة إلي، الغياب يجعل قلبي حنوناً. من المُحتمل أن طبيعتي الحساسة والرقيقة قد وجدت لسانك اللاذع مُحتملاً».

«أجل، لقد حظيت بأسبوع هيّن، أليس كذلك؟»، سألت وهي ترفع حاجبيها.

«أجل، بالفعل، أيتها المحققة». وبدأ يعد على أصابعه. «لديّ ضربة سكين مُزدوجة في منطقة دادلي، رجل عجوز سقط على عشائه في حفلة عيد ميلاده الخامس والثمانين، وحالتا شكّ طبيّ. أوه، وطريق بالجثث تركته عندما استيقظت».

«سعيدة بأن أشغل وقتك، لكن هل تدبّرت أمرك كي تتحقّق من أيّ شيء مفيد؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فكّر للحظة ثمّ حرك رأسه«لا، لقد غيّرتُ رأيي. أدركتُ الآن أنني لم أشتق إليك على الإطلاق».

زمجرت كيم «كيتس».

«لقد أرسلتُ نتائج تشريح الجثث إلى مكتبك هذا الصباح. تم دفع تيريزا وايت تحت الماء، مثلما تعرفين مُسبقاً. لم تحصل أيّ مقاومة عظيمة حيث إن الضحية سبق وأن غُطّست تحت الماء. لم أجد أي آثار أخرى على الجسد، وما من علامة لاعتداء جنسي. كانت في صحّة جيّدة بصفة معقولة بالنسبة إلى عمرها.

«لا أظن أن طريقة موت طوم كورتيس تطرحُ أيّ سؤال، لكن ما أستطيع قوله لك هو أن قارورة الويسكي كانت كافية على الأرجح لقتله. كان قلبه في حالة سيئة، بحيث كان من الصّعب أن يصل لسن الخامسة والأربعين. آه، وتكونت وجبته الأخيرة من سلطة وشريحة لحم. وأظن أنّ قطعة اللحم كانت من الجزء العلوي».

أدارت كيم عينيها.

«في حالة ماري أندروز لم تذهبي للكنيسة في الوقت المناسب، وكي أتمكّن من تقديم استنتاج معقول حول موتها، عادة أحتاج إلى جسد».

«بالنسبة إلى آرثر كونوب مات إثر نزيف داخلي ناتج عن تعرّضه لحادث سيارة. كانت كبده في الوقت بدل الضائع، لكن بقية أعضائه الرئيسية كانت في صحة جيدة بالنسبة إلى رجل في عمره».

رفع كيتس يديه كأنه يقول هذا كل ما لدينا.

«لا دليل، لا أثر، لا شيء؟».

«لا، أيّتها المحققة، لأنك لا تقومين ببرنامج تلفزيون الواقع. لو كانت لدينا ساعة لتقديم برنامج ترفيهي يسلّي فيجوز أنني سأجد فجأة أن تيريزا وايت ابتلعت بعض ألياف السجاد الذي قد ينسجم مع سجاد منزل المشتبه فيه. يمكنني حتى أن أجد شعرة طائشة فوق جسد طوم كورتيس التي سقطت بمعجزة من القاتل بجذورها. لكنني لا أعدُ مسلسلاً لمصلحة التلفزيون».

زمجرت كيم. كانت ستعاني ألم خُراج في إحدى أسنانها أقل من معاناتها الاستماع إلى محاضرة من كيتس. وأعلمها عبوس وجهه بأنه لم ينته بعد.

اتكأت على المنضدة المعدنية وطوت ذراعيها.

كم امرأة قتل «يوركشير ريبير»×؟ سأل كيتس.

«ثلاث عشرة». أجاب دان.

«وكيف تمّ القبض عليه؟».

«من قبل شرطيين أوقفاه لقيادته سيارة بلوحة أرقام مزيفة». أجابت.

«إذاً، بعد ثلاث عشرة جثة، ولم يتم القبض عليه من خلال شعرة تائهة، وخيط سجّاد. بالتالي، أستطيع فقط أن أمر إلى ما يخبرني به

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الجسم. أيّ دليل جنائي لن يكون بديلاً لطريقة عمل الشرطة القديمة والجيدة، الاستنتاج، الحدس، والذكاء والتفكير العملي. ما يذكّرني أن أسأل، أين براينت؟».

نظرت إليه كيم، ثم استدارت نحو طاولة العمل. رأت كيم الوسم الداخلي للسترة البيضاء يبرز من الياقة. اقتربت وأعادته إلى داخل السترة بإبهامها.

استدار كيتس. رفعت حاجباً. ابتسم ثم استدار من جديد.

توجهت كيم إلى دانيال «أيها الطبيب، هل وجدتم طقم أسنان؟».

× ولد باسم بيتر ويليام ساتكليف، وهو سفاح بريطاني كان يطلق عليه اسم «يوركشير» من قبل الصحافة. في عام 1981، أدين ساتكليف بقتل ثلاث عشرة امرأة، ومحاولة قتل سبع أخريات.

التقت نظراتهما، وصُعقت كيم من التعب الواضح في عينيه. كانت تعرف أنه عمل في الموقع حتى وقت مُتأخر كي يستخرج جسد الضحيّة الثالثة. تماماً مثلما كانت هي لتفعل.

«ماذا، لا شتائم، لا سخرية ولا ملاحظات لاذعة؟».

شعرت بأنه مثلها. حالما تُطرح الأسئلة يطالب بالأجوبة، ولا يتوقف حتى يحصل عليها. في قضية مثل هذه لم يكن هناك مُناوبات عمل، أو وقت، أو استراحة. كان هناك فقط حاجة للمعرفة. فهمت هذا.

أمالت رأسها وابتسمت «لا، أيها الطبيب. ليس اليوم».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حافظ على النظرة بينهما، وابتسم لها بدوره.

أعاد كيتس توجيه اهتمامه إلى طاولة العمل، وكان يُقلب الصفحات عبر دليلٍ للمُعدات.

«لا يوجد طقم أسنان» أعلن دانيال.

«اللعنة».

«لكن يجب أن يكون قد وُجد واحد. لديها ثلاث أسنان أمامية مفقودة».

تنهّدت كيم عميقاً. الآن لديها أسماء الفتيات الثلاث. كان هذا بكل تأكيد جسد لويز.

«هل عاينت الأمور مع كيريس؟»، سأل.

«ليس هناك».

«لقد وجدته». قالت كيتس بهدوء.

تحرّك دانيال على امتداد منطقة العمل، ونظر حيث وضع كيتس إبهامه.

حرّك دانيال رأسه ببطء.

«ماذا؟»، سألت كيم.

استدار كيتس نحوها، عاجزاً عن الكلام. مُباشرة، شعرت كيم بالتوتر. سبق لهذا الرجل أن رأى جثثاً في أسوأ حالات التحلّل.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

خلال مسيرته المهنية سبق وأن حضر مشاهد جرائم مُروعة، وعلى تحلل أجساد، وتشكّلها في صور أخرى. سبق وأن رأته يقوم بفحص أوليّ لإحدى الجثث وينادي مجموعة اليرقات الموجودة فيها بـ«الرفاق الصغار». إذاً، بحق الجحيم ما الشيء الذي غرس بداخله كل هذا الرعب الآن؟

«انظري هنا»، أمرها دانيال، مشيراً إلى عظم مُعين. استطاعت كيم أن ترى أن هناك كسراً امتد من مركز العظم.

رفعت رأسها «الحوض مكسور؟».

«انظري عن قرب».

مالت كيم أقصى ما تستطيع، ورأت الثُلمات على حافة العظم. اعتدلت بعدها. كانت سبعاً بالإجمال. كانت الثلمة التي في الوسط أعمق من البقية. وكان التعرّج واضحاً على جانبي العظم المقسوم. ورأت كيم أن التسنين قد امتد نحو إنش قبل أن يلتقي بالكسر الأطول في العظام.

تراجعت كيم من الرعب، ونقلت نظرها ما بين دانيال وكيتس، وظلت عاجزة عن فهم ما كان مباشرة أمام عينيها.

«أجل، أيتها المحققة»، قال كيتس بصوت أجش. «لقد حاول الحقير أن يقسمها بواسطة منشار إلى نصفين».

خيّم الصمت عليهم، بينما حدّقوا في الهيكل العظمي الذي كان ذات يوم فتاة يافعة. لم تكن ملاكاً، ولم تكن من دون أخطاء، لكنها كانت مع ذلك مجرّد فتاة يافعة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

خطت كيم جانباً، وكادت تقع على دانيال.

ثبتتها ذراعاه «هل أنتِ بخير؟».

أومأت برأسها، بينما ابتعدت عن لمسته. لم تثق بأنها قادرة على الكلام إلى أن تتلاشى موجة الغثيان التي سيطرت عليها.

رنين هاتفها الجوّال أجفلهم جميعاً. حوّل الغرفة إلى حالة حركة في اللحظة التي ضغطت على زر الرد نفسها. كان هذا برواينت، يتصل من مكان ما في المبنى.

كان فمها جافاً عندما أجابت على الاتصال.

«جُوف، أنا أضيع وقتي هنا».

«هل ما زال في غرفة العمليات؟»، سألت، وهي تنظر لساعتها. لو كان هذا هو الوضع فإن أمور ريتشارد كروفت لا تبدو جيدة.

«لا، لقد أعيد منذ ساعة إلى القسم الطبي. تمّ انتزاع السكين وهو عندي في كيس. حالته تتراوح بين الصحو وفقدان الوعي، لكن السيدة كروفت لم تسمح لي بالاقتراب منه».

«أنا في طريقي إليك». قالت كيم مُنهية الاتصال.

«إلى أين ستذهبين الآن؟»، سألها كيتس.

حدّقت كيم في الجسد الثالث، ثمّ أخذت نفساً عميقاً. «أنا ذاهبة كي أبدأ شجاراً».

الفصل الحادي والستون

لم تكُن مثل صديقتيها. كانت ميلاني خجولة، ومُحتاجة، متعطّشة للحب، ومتعطّشة كي تكون مفيدة. ترايسي كانت ذكيّة، وشهوانية. لكن لويز كان لديها مسحة من المكر.

لم تكن لويز مثل رفيقتيها، رأيتُ هذا منذ أول يوم حين قرّرت أيّ سرير ستأخذ. الفتاة التي كان السرير لها أصلاً تجرأت، وقالت لها لا، وحصلت على كسر في معصمها كردّ على هذا.

لم يكن من الصعب تخيّل مستوى العنف الذي مارسته لويز على أخيها البالغ من العمر سبعة أشهر الذي تسبب بإخراجها من المنزل.

خلافاً لترايسي، لويز لم تكن تملك أيّ توازن. كانت فظّة وحسب. لم تكن هناك حسيّة، ولا طرافة، ولم أكن أستطيع النظر إليها.

لا أحد عبث مع لويز. كان بداخلها غضبٌ يحارب كي يتحرّر. وقد توزع بين الإيذاء، والاستياء.

لكنني كنتُ أعلم شيئاً عنها لا يعلمه أحدٌ سواي.

كانت لويز لئيمة، وعنيفة. وكانت تبلّل سريرها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بمساعدة ساعة يد تُصدر ذبذبات، في الرابعة صباحاً، تغادر لويز سريرها الدافئ، وتتوجه نحو الحمّام. لم تكن لتعود إلى أن تفرغ مثانتها.

«مرحباً، لويز». قلتُ، ذات ليلة بينما كانت خارجة من الحمّام.

«ما الذي تريده؟»، سألت وهي تغطّي فمها.

«أظن أنه يجب أن نحظى بمحادثة صغيرة. تبدين غير مستقرّة مؤخراً».

«هل تظن هذا؟»، سألت، وهي تضع يدها على خاصرتها. «يتساقط المعجبون بي مثل الذباب».

قلت باستهزاء. «من الواضح أنك لا تعجبينهم بما يكفي كي يظلّوا قربك».

بدا كأن وجهها قد تجمع في الوسط، حين زمّت شفتيها، وضيّقت عينيها.

«أجل، وربما ليس لديهم ما يقولونه».

«أوه كل النقاط لمصلحتي. يجب أن تكون مريضاً نفسياً كي تتعرف إلى واحدة مثلك».

لم يكن هناك من دافع يدعوني للعب الألاعيب مع لويز. كان إيمانها مضموناً. لكنني أردت أن أتسلى لبعض الوقت.

«كيف هذا؟»، سألتُ.

«أعرف أن لديك أمراً ما. أنت تدّعي اللطف معنا جميعاً، لكن هناك أمر ما غير مضبوط بشأنك».

حيّيت لويز بصمت على فطنتها.

«ليس لديك فعلاً غرفة للحديث. من تودّ إيذاء أخيها الرضيع متعمدة؟ هناك جنون بداخلك يبعد الجميع عنك. أراهنك على أن أصدقاءك هجروك لأنهم لم يستطيعوا أن يتحمّلوك أكثر. حتى عائلتك تكرهك الآن».

رفعت ذقنها بكبرياء «لا يهمني الأمر على الإطلاق».

«إذاً، لماذا ما زلتِ تبلّلين سريرك ليلاً؟».

اندفعت صوبي، وكانت قبضتها في طريقها نحو وجهي، لكنني كنت مستعداً. قبضتُ على معصمها، وأدرت جسدها للوراء، وارتطم بي. كان ساعدي حول حلقها. حركت رأسها بعنف من جانب إلى آخر لكنني ثبتُ ذقني فوق رأسها. غطت يدي اليسرى فمها حين حاولت أن تصرخ.

قدتها للأمام، بينما حاولت هي أن تعضّ أصابعي. وفشلت ذراعاها في أن تؤذياني.

أصبحت جهودها أضعف، بينما كنت أقودها نحو الخارج. وضعتُ يدي اليُمنى فوق كتفها وضغطتُ عليها بإحكام.

نفضتُ آخر نفس حياة منها مثل دمية. شعرتُ بنهاية حياتها عندما هوى جسدها فوقي، كما لو كان أحدهم قد سحب عظامها من جسدها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

رفعتُ يدي اليُمنى عن كتفها، ووضعتها على عنقها فقط كي أتأكد.

لم يكن هناك نبض تحت أصابعي.

ألقيتُ بها على كتفي وحملتها للخارج إلى الحفرة التي كانت بالانتظار.

خلافاً لصديقتيها، لم أشعر بشيء أمام اللحم الذي أسقطته في الأرض. أثار احتياج ميلاني للاهتمام، بداخلي القرف. كان وجهها الذليل يجعل جسدي يقشعر.

ترايسي ولّدت الرغبة في داخلي. كان طمعها السبب الذي جعلني أنهي حياتها.

لكن مع لويز لم يكن هناك شيء. كانت مجرد وسيلة لتحقيق غاية. كان موتها ضماناً.

طريقة موتها ستكون وسيلة للتضليل.

بالتالي فتحتُ ساقيها والتقطتُ المنشار.

الفصل الثاني والستون

سارت كيم على امتداد ممرات مستشفى «راسلز هول» للمرة الثانية خلال بضعة أيام. ولأنها أتت خارج أوقات الزيارة أعلنت عن هويتها كمحققة من الشرطة.

كانت الأولوية الأولى بالنسبة إلى الطاقم الطبيّ العناية بمرضاهم لكنهم حاولوا أن يساعدوا ضباط الشرطة.

تجاوزت كيم قاعة الانتظار الصغيرة الموجودة أعلى القسم. نهض براينت عندما رآها. أشارت له بمعاودة الجلوس.

توقفت عند غرفة المرضة. «ريتشارد كروفت؟».»

كانت المرأة التي ترتدي زياً أزرق داكناً، قصيرة وممتلئة. بينما وضعت حزاماً مطاطياً سقط نحو الأسفل، كان هدفه شدّ وسطها، وفشل في هذا بطريقة بائسة.

«أيتها المحققة، لا أظن أنه جاهز لأسئلتك».

أومأت كيم بتفهّمها، لكنها رغبت في أن تُفهم أيضاً. مالت نحو المرأة، وتحدّثت بهدوء. « أيتها المرضة، لديّ أكثر من ست جُثث

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

خلفي، وكلها تحتاج إلى اجابات. وريتشارد كروفت قارب أن يكون الجثة السابعة، وربما يمكنه أن يساعدنا».

ازداد التقطيب على وجه المرأة.

رفعت كيم يدها على شكل قسم. «أؤكد لك أنني لن أفعل أيّ شيء قد يؤثر سلباً في حالته».

لم تكن هذه كذبة، لأن كيم لم تكن تعتزم القيام بأي شيء.

أشارت الممرضة نحو الباب الثالث المفتوح في القسم الرئيسي. «بضع دقائق فقط، حسناً؟».

أومأت كيم بتفهّمها وتحرّكت بهدوء على امتداد الممر.

وقفت كيم على عتبة الباب، ولم تنظر للشكل الجامد في السرير، بل إلى وجه زوجته الجالسة على الكرسي التي كانت مشغولة بمحتوى هاتفها المحمول.

عندما اتكأت كيم على إطار الباب، رفعت نينا رأسها.

كان التعبير على وجه كروفت يحمل التسامح والأدب. وكان من الواضح أنها توقعت أحد أفراد الطاقم الفريق الطبيّ. توقفت نظرتها على كيم، وقد تلاشت من وجهها بقايا التعبير السابق.

للحظة اندهشت كيم كيف يمكن لوجه بمثل هذه الجاذبيّة أن يتغير بتأثير الحقد والسّم الداخليّ. فجأة، ذبل الجمال وحلت بدلاً منه عينان ضيقتان وفم رقيق ولئيم.

«ماذا تفعلين هنا بحق الجحيم؟».

«سيدة كروفت، يجب استجواب زوجك».

«ليس الآن، أيتها المحققة ستون، ومن دون شك ليس من قِبلك».

وقفت نينا كروفت. تماماً كما أملت كيم.

تأوه ريتشارد كروفت من ناحية السرير. خطت كيم خطوة نحوه، وقطعت نينا فوراً طريقها.

«اخرجي». صاحت بها.

حاولت كيم أن تلفّ من حولها، لكن نينا قبضت على ذراعها بخشونة، ودفعتها نحو الباب. لو لم تكن كيم ضابطة شرطة في الخدمة، لضربت المرأة بقوة على فمها. أحياناً لم تكن التضحية تستحق.

«اخرجي من هذه الغرفة، وابتعدي عن زوجي حالاً».

قادتها نينا نحو الباب الأمامي للقسم. وبينما تجاوزتا قاعة الانتظار حدّقت كيم في عيني براينت. وأشارت له خلسة نحو الغرفة التي ظلّت من دون حراسة.

فور خروجهما من القسم الطبي، أبعدت المرأة ذراع كيم عنها كأنها كانت مغطاة بقشور الجُذام.

«لا تعجبني طُرُقك، أيتها المُحققة، وأنت لا تعجبينني».

«ثقي بي حين أقول لك إن هذا لن يجعلني مستيقظة طيلة الليل».

استدارت المرأة لتعاود الدخول للقسم الطبي.

«ليست طرُقي التي لا تعجبك فعلياً، سيدة كروفت، أليس كذلك؟».

استدارت نينا ومشت عائدة. هذا جيّد.

«أنت لست امرأة غبيّة. لقد أجريتِ بحثاً عني قبل أن تقومي بإجراء ذلك الاتصال كي تخرجيني من القضيّة. من المُؤكد أن مُعدّل نجاحي هو ما يُثير اشمئزازك».

توقفت نينا بالقرب منها. «لا، أنا أحتقر حقيقة أنك جعلتِ زوجي يشعر بأنه مُشتبه فيه، وهذا ما يثبت لي أنك لا تمتلكين الأدوات المناسبة لتولّي هذا التحقيق. من الواضح بأنك عا»...

«لماذا رغبت في إقصائي من هذه القضية، عندما عرفت تمام المعرفة أنني سأحلّها، مهما استوجب مني الوقت لفعل ذلك؟».

استمرت نينا كروفت في النظر إليها شزراً.

«خاصة حين تعلمين بأن زوجك مُعرض للخطر. أيّ زوجة طبيعية كانت لترغب في أن يتمّ القبض على القاتل بأسرع ما يمكن، كي تبعد محبوبها عن الخطر».

«انتبهي لما تقولينه لي، أيتها المحققة ستون».

«ما الذي تخشينه سيدة كروفت؟ لماذا أنت مرعوبة جداً من أن أحصل على إجابات؟ وما الذي فعله زوجك بحق الجحيم سابقاً في كريستوود؟».

تراجعت نينا، وعقدت ذراعيها. «لن تثبتي أبداً أنه فعل أيّ أمر غير لائق».

«من المثير للاهتمام أنك لا تعلنين أنه لم يفعل أي شيء خطأ، وإنما أنني لن أكون قادرة على إثبات هذا».

«أنت تلعبين بالكلمات، أيتها المحققة».

«زوجك يعرف شيئاً ما بخصوص ما حدث في كريستوود قبل عشر سنوات، وبينما هو يكابد الآن للتمسّك بالحياة، هناك آخرون لم يكونوا محظوظين بقدره».

لم يبدُ على المرأة التأثر. لم تكن كيم واثقة بأنه سبق لها وأن التقت بامرأة من دون تعاطف مع الآخرين بقدر ما كانت عليه نينا كروفت.

«لقد عرقلتِ سير هذا التحقيق عند كل منعطف. وحاولت، ومن دون نجاح، أن تقصيني عن هذه القضية. استعملتِ تأثيرك القانوني كي تمنعي عملية التنقيب»...

انسابت الكلمات من فم كيم بعفوية، بينما تجلّت الحقيقة أمامها: «لقد كنت أنت من قتل كلب البروفيسور! عندما فشلت الاعتراضات القانونية بمنع عملية الحفر، قرّرت أن تجربي أيّ شيء لمنع حدوث ذلك التنقيب. يا إلهي، ما هي مشكلتك؟».

بلامبالاة ردّت نينا «لا تتردّدي في إيقافي بتهمة استعمال صلاحياتي أيّتها المحققة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أعلمتها حركة وراء رأس نينا كروفت بأن برواينت غادر الغرفة.

اقتربت كيم من وجه المرأة. «أنتِ متحجّرة القلب، وباردة، وبائسة كي تكوني امرأة. أنت لا تهتمين بأحد، أو بأي شيء. أظن أنك تعرفين بالضبط ما حدث وقتها، والشخص الوحيد الذي تهتمين بحمايته هو نفسك.

وأنا أعدك بهذا، سيأتي اليوم الذي سأزورك فيه من جديد، وستكون عملية إيقافك على الملأ لأنك عرقلت سير العدالة».

توقفت كيم بينما أتى برواينت عبر الباب.

«والآن لديك سبب لتقديم شكوى حقيقية. إذاً، أرجوكِ، افعلي أقصى جهدك».

قدم برواينت ووقف بجانبها.

«هل حصلت على ما تريد؟»، سألته كيم.

أومأ برواينت برأسه موافقاً، ثم توجّه لنينا « زوجك يطلبك».

نقلت نينا بصرها بينهما، مدركة أنه تم الاحتيال عليها. انسحب اللون من وجهها. لم تكن نينا تحبّ الخسارة.

«أيّتها الماكرة... أيّتها العاهرة الصغيرة»...

استدارت كيم وسارت مُبتعدة.

«تم تمرين القلوب والعقول خلال تلك المحادثة، جُوف؟».

«انسَ أمرها الآن. ما الذي حصلت عليه؟».

«تقريباً لا شيء».

توقفت كيم عن المشي. «هل تمزح؟».

«مُطلقا». قال برا اينت.

«لدينا ضحية على قيد الحياة، الناجي الوحيد لدينا من ذلك النذل الذي قتل على الأقل شخصين، وكروفت لا يستطيع أن يقدم لنا أيّ معلومة؟».

«جوف، بالكاد كان الرجل يستطيع أن يتلفظ بكلمتين، ما تمكنتُ من فهمه أنه لم يكن مواجهاً للباب عندما انغرس السكين في ظهره. وقع إلى الأمام وفقد وعيه مباشرة».

نفخت الكيم «دقائق، براينت. لقد فوّتنا القاتل بفارق دقائق لعينة. أياً كان هذا القاتل كان يعرف أن لديه فرصة صغيرة عندما تخرج مارتا للتسوق، وكان يعرف الطريقة الوحيدة لدخول البيت والخروج منه من دون أن يتم التقاطه».

كان الظلام قد حلّ عندما خرجا من مبنى المستشفى.

«انظر، سبق وأن أخبرتُ كيف. خذ الغد كيوم إجازة. يوم السبت سنحاول تجميع كل القطع. لقد كان أسبوعاً جحيمياً».

لمرّة واحدة لم يناقشها براينت.

توجّهت كيم نحو المكان المجاور للمستشفى، حيث ركنت دراجتها النارية. وعندما التقطت خوذتها لترتديها رنّ هاتفها الجوّال.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثالث والستون

ضغطت على زر الرد. كانت البطارية تومض باللون الأحمر.

«كيف الحال، ستايس؟»

«جوف، لقد كنتُ أتصيّد المعلومات من خلال بعض المنشورات القديمة في «الفيسبوك» وقد قرأت أمراً أظن أنك يجب أن تعرفيه».

«هيا أخبريني».

«قبل نحو ثمانية أشهر، رأت إحدى الفتيات طوم كورتيس برفقة عائلته في حديقة حيوانات «دادلي». كتبت تعليقاً في المجموعة حول ازدياد وزنه، وتساءلت ما الذي أعجبهنّ فيه في الماضي.

تلت هذا التعليق نكت طفولية، وتفاهات حوله، ثم بدأن بذكر فتياتنا الثلاث أيضاً».

أغلقت كيم عينيها مُتوقعة الحديث الذي سيتبع.

«من الواضح أنه كان على علاقة جنسية مع واحدة من الثلاث، جُوف».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

فكّرت كيم في الفتاة الحامل البالغة من العمر خمس عشرة سنة. «هل ذُكر اسم ترايسي؟».

«لا، جوف. تلك هي المسألة. كان طوم كورتيس ينام مع لويز».

تصاعد الغضب داخل كيم.

«هل أنت بخير، جُوف؟».

«أنا بخير، ستايس. عمل جيد، الآن عودي إلى بيتك»...

تلاشت كلماتها عندما انطفأ هاتفها الذي فرغ من الشحن.

وضعت الهاتف في جيبها وركلت الحائط.

«اللعنة، اللعنة، اللعنة». زمجرت كيم.

الغضب الذي تدفّق في عروقها لم يجد أيّ مكان يذهب إليه. هؤلاء الأنذال عُهدت إليهم مهمة الحفاظ على سلامة تلك الفتيات، وفشلوا في هذا، فشلوا وبطريقة شنيعة. يبدو كأن كل واحد منهم وجد طريقة إضافية للإساءة لأولئك الأطفال.

تُصنف الإساءة للأطفال إلى أربع مُستويات رئيسية: إساءة جسديّة، وإساءة جنسيّة، وسوء معاملة معنوية، والتجاهل. ووفقاً لما عدّته كيم، فإن موظفي كريستوود حققوا رقماً قياسياً في الأربعة. وتكمنُ السخرية في كون أغلبية تلك الفتيات وُضعن في كريستوود كي يُبعدن عن المُعاملة السيّئة.

ما من فتاة كانت في كريستوود باختيارها. لقد عرفت من

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تجربتها الشخصية أن مثل تلك المنازل كانت أماكن للانحدار، مثل أرض حُولت إلى مكبّ للنفايات. مكان للأشخاص المحطّمين وغير المرغوب فيهم، حيث في أحسن الأحوال، يُجرّد الأطفال من إنسانيتهم، وهويتهم، وفي أسوأ الأحوال يتعرضون للمزيد من الإساءة.

لقد شهدت كيم هذا بنفسها. كانت المعاملة الرديئة تصبح مُتوقعة. وبطيئاً، مثل قُرمة[1] شجرة في التراب، رأسك فقط يظلُ فوق الأرض لوقت طويل.

مشت كيم حول الدراجة النارية، محاولة التخلص من غضبها. شدّت على يديها ثم فردتهما محاولة التخلص من التوتر.

كل فتاة التحقت بكريستوود لأسباب مختلفة، وما من سبب منها كان جيداً.

تم التخلص من ميلاني من قِبل أبيها بمنتهى السهولة. منحها للدولة حتى لا يكون هناك فمٌ اضافيّ ليطعمه. اعتمد في معاييره للاختيار على كونها كانت الأقل جاذبية بين طفلتيه. كيف أمكن لميلاني ألا تعرف أن هذا هو السبب؟ ألقى بها الرجل الوحيد الذي يجب أن يهتم ويعتني بها، كل هذا لأنها كانت بشعة.

استجدت الطفلة أيّ فُتات اهتمام، استجدَت بعض الاعتبار الذي يشعرها بأنها شخص يستحقّ الحب. حتى إنها حاولت شراء الصّداقة. سعيدة بأن تكون الأضعف في المجموعة طالما قُبلت ضمنها.

---

(1) القُرمة ما يبقى من جذع الشجرة إذا قُطعت.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كانت تلك قصّة ميلاني. لكن لم تكن هناك قصّة واحدة. كل الأطفال في الرعاية الاجتماعية لديهم قصص. كيم نفسها كانت لديها قصّة. لكن قصّتها لم تبدأ وهي وحدها.

تجلّت أمام عينيها صورة لميكي. لم تكن هذه الصّورة التي رغبت فيها لكنها كانت الوحيدة التي تحصل عليها دائماً. تراجعت كيم نحو الركن المظلم بينما اختنقت حنجرتها من الانفعال.

ولدت كيم وميكي قبل الأوان بثلاثة أسابيع، كلاهما عانى صحّة معتلّة. وسريعاً ما تحسّنت صحّة كيم، واكتسبت وزناً، وقويت عظامها. لكن الحال لم يكن كذلك بالنسبة إلى ميكي. وعادت بهما أمهما، باتي، عندما بلغا من العمر ستة أسابيع، إلى شقة في هوليتري.

تعود أول ذكرى لكيم إلى ثلاثة أيام بعد عيد ميلادها الرابع. وتمثلت في رؤيتها لأمها تضع بإحكام وسادة على وجه أخيها التوأم. استسلمت ساقاه القصيرتان على السرير بينما حاربت رئتاه من أجل الهواء. حاولت كيم أن تسحب أمها بعيداً لكن قبضتها كانت مُحكمة.

ألقت كيم بنفسها على البلاط، فتحت فمها على وسعه، ومثل كلب مسعور غرست أسنانها في ربلة ساقِ أمها. ضغطت بأقصى ما لديها ولم تسمح لأمها بأن تفلت. استدارت أمها وسقطت الوسادة من السرير، ومع ذلك لم تفلتها كيم. ترنّحت أمها في أرجاء الغرفة وهي تصرخ، وتحاول ركلها بعيداً عنها. ولم تفتح كيم فكّها إلا إلا حين أصبحتا على مسافة آمنة من السرير.

تذكّرت كيم كيف ركضت فوق السرير، وفحصت إن كان ميكي

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مستيقظاً. بصق وسَعل وابتلع الهواء. أخفته كيم وراءها وتفرسّت في والدتها.

خطفت نظرة الكراهية في عيني المرأة التي أنجبتهما أنفاس كيم. استندت كيم إلى السرير وهي تحرس ميكي خلفها.

اقتربت والدتها أكثر «أيّتها العاهرة الصغيرة الغبيّة. ألا تعلمين أنه شيطان لعين؟ عليه أن يموت، وبعدها ستتوقف الأصوات. ألا تفهمين هذا؟».

لا لم تكن كيم تفهم. لم يكن ميكي الشيطان، لقد كان أخيها.

«سأنال منه، أعدكِ، سأنال منه».

انطلاقاً من تلك اللحظة، توجّب على كيم أن تسبق أمها بخطوة طيلة الوقت. كانت هناك محاولات إضافية خلال السنة التالية لكن كيم لم تكن بعيدة أبداً عن ميكي.

خلال النهار كانت تحتفظ بشارةٍ في جيبها، وتخز ساعدها كي تظل في حالة تأهب. خلال الليل كانت تأخذ حفنة قهوة من المرطبان وتلقي بها مباشرة في فمها، وتمتص مرارة الحُبيبات.

فقط حين تسمع شخير أمّها، تسمحُ لنفسها بالنوم.

كانت هناك زيارات من قبل الرعاية الاجتماعية من حين لآخر. حيث يجري شخص مُجهد من فرط العمل، اختباراً خاطفاً لأمها مدته عشر دقائق، اختباراً تدبّرت دائماً أمرها في النجاح فيه.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تساءلت كيم مرّات كثيرة كم كانت أقل نتيجة تحصل عليها أمها لتنجح في الاختبار وتحتفظ بحق رعايتهما.

لا دليل على إدمان الكوكايين- تم التحقق.

لا دليل على تعثر وليّ الأمر في اختبار الثمالة. تم التحقق.

لا ندبات، أو علامات واضحة على الأطفال. تم التحقق.

أسبوع بعد عيد ميلادهما السادس خرجت كيم من الحمام، لتجد أخاها مربوطاً إلى جهاز التدفئة بواسطة أصفاد.

نظرت كيم إلى أمّها برعب، مُشوّشة لبضع لحظات. وكان هذا الوقت كافياً لأمّها. شعرت كيم بشعرها يُجذب من الخلف، وبنفسها وقد وقعت في قبضة أمها. جرّتها أمها حتى جهاز التدفئة وقيدتها إلى أخيها.

بنهاية ذلك اليوم تدبّرت كيم أمرها كي تدفع بقدمها اليمنى تحت السرير، وتسحب علبة من خمس قطع بسكويت بالكريمة، ونصف زجاجة من الكوكا كولا.

أقنعت كيم نفسها طيلة يومين بأن أمّها ستعود. بأنها ستمر بلحظة من لحظات نقاء تفكيرها النادرة، وستعود وتحرّرهما.

في اليوم الثالث أدركت أن والدتهما لن تعود، وقد تركتهما كي يموتا. تبقت لهما قطعتا بسكويت فقط، وبضع جرعات من الكوكا كولا، توقفت كيم عن الأكل نهائياً. قسّمت آخر قطعتي بسكويت إلى نصفين، ثم عاودت قسمها إلى نصفين، مشكّلة ثمانية قضمات لميكي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

كل بضع ساعات كانت تحاول، وتضغط على يدها عبر الأصفاد، منتزعة بعض الأجزاء من جلد يدها في كل مرة.

بنهاية اليوم الخامس كان البسكويت قد نفد. وظلت جرعة واحدة من الشراب في زجاجة الكوكا.

أدار ميكي وجهه نحوها، هزيلاً جداً، شاحباً جداً. «كيمي، لقد تبوّلت مرة أخرى». همس.

نظرت إلى عينيه، كان مضطرباً جداً بسبب بركة ماء إضافية انضافت لكمية القذارة تحتهما. جعلها التعبير الجدّيّ على وجهه، تضحك بصوت مرتفع. وحالما بدأت بالضحك، لم تستطع التوقف. وعلى الرغم من أنه لم يعرف السبب، فقد انضمّ ميكي إليها حتى تساقطت الدموع على وجنتيّ كل منهما.

وعندما توقفت الدموع عن الانهمار، ضمّته إليها. لأنها عرفت مسبقاً. همست في أذنه أن ماما كانت في طريقها، وقد جلبت لهما وجبة طعام، وأنه يتوجب عليه أن يتماسك. قبّلت جانب وجهه، وقالت له إنها كانت تحبّه.

بعد ساعتين مات بين ذراعيها.

«نمْ عميقاً، يا ميكي الحلو». همست، بينما انسحب آخر نفس من جسده المضروب والهش.

بعدها بساعات، أو بأيام، كانت هناك ضجّة عالية ثمّ ناس. الكثير من الناس. الكثير منهم. أرادوا أن يأخذوا ميكي، وكانت ضعيفة

جداً كي تحاربهم. كان يجب عليها أن تتركه يذهب. مُجدداً.

الأربعة عشرة يوماً التي قضتها في المستشفى كانت ضباباً تكوّن من الأنابيب والحقن والمعاطف البيضاء. واختُصرت الأيام في يوم واحد.

كان اليوم الخامس عشر أكثر وضوحاً. تم أخذها من المستشفى إلى بيت للأطفال. ومُنحت السّرير رقم تسعة عشر.

«اعذريني، يا آنسة، هل أنت بخير؟». سألها صوت من فوق.

ذُهلت كيم حين أدركت أنها انزلقت أسفل الحائط، وأنها كانت الآن جالسة على الأرض.

مسحت دموعها ووثبت في وقفة مستقيمة. «أنا بخير، شكراً لك، أنا بخير».

تردّد سائق سيارة الإسعاف للحظة، ثم ابتعد.

تنفست كيم بعمق كي تزيل الحزن الساحق الذي هيمن عليها بينما كانت تعيد الذكريات إلى الصندوق. لن تغفر لنفسها أبداً فشلها في حماية أخيها.

فكّت الخوذة من المقود. كان جسدها الآن مشحوناً بالقتال، والعزيمة.

لن تخذل كيم تلك الفتيات لأنهنّ، واللعنة على هذا، لأنهنّ مهمّات ويعنين لأحدهم. لأن أمرهن يعنيها كثيراً.

الفصل الرابع والستون

اتكأت ستايسي في مقعدها وتمدّدت. كانت هناك حرارة تلتهب عبر عضلات رقبتها. أدارت رأسها لليمين ولليسار. شيء ما طقطق في عظم كتفها اليمنى.

سبق وأن قالت لها جُوف أن تعود إلى بيتها، وهذا ما تنوي فعله.

أغلقت صفحة الفيسبوك، وتحتها صفحة رسائلها الإلكترونيّة. كان هناك بضعة رسائل في الأعلى لم تقرأها بعد، لكنها ستفعل هذا صبيحة السبت. كل ما اشتهته الآن كان حمّاماً دافئاً مطولاً، تليه توصيلة بيتزا، وجرعة من مسلسل «نساء حقيقيّات». لم تبالِ بأيّ حلقة ستكون.

توقف أزيز الكمبيوتر، وجعل الغرفة تغرق في الصمت.

انتعلت حذاءها الذي كان تحت مكتبها. أخذت سترتها وسارت نحو الباب.

كررت يدها اليسرى الضغط على زر الإضاءة. كان هناك أمر يضايقها في الجزء الخلفي من عقلها. أمر شاهدته لكنها لم تستطع بعد أن تكتشف معناه بعد.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

زمجرت وهي تعود إلى مكتبها. بدا كأنّ الأزيز المنبعث الآن من الجهاز أصبح أعلى. فتحت الكمبيوتر، ومباشرة نقرت على صفحة إيميلاتها. كان الإيميل الثاني غير المقروء ما جعل دقات قلبها تتسارع. قرأت الرسالة من بدايتها، بعينين مفتوحتين على وسعها.

وبأصابع مرتجفة، التقطت ستياسي الهاتف.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الخامس والستون

ركنت كيم دراجتها النارية من الناحية التي لم يكن فيها المبنى مُسيّجا. ترجلت ومشت على جنب.

كانت الساعة الثامنة مساء، لكن الوقت بدا متأخراً أكثر من هذا. وكان الهواء الليلي البارد قد انخفض إلى درجة تحت الصفر، ما جعل العائلات تغلق الأبواب وتسحب الستائر، وتجتمع لمشاهدة فيلم السهرة، بينما يومض لهب برتقالي اللون من المدفأة.

كان هناك فكرة تشغل ذهن كيم عندما توقفت أمام منزلها الذي شاهدته بالكاد طيلة الأسبوع الماضي. لكنها مع ذلك تعرف أنها لن تتمكن من أخذ قسط الراحة. كانت الإجابات تنبثق من خلال الضباب، لكن كان هناك قطعة واحدة ناقصة، قطعة مازالت تربكها.

كان موقع الحفر الآن فارغاً. وقد مُحيت كل آثار الأشغال السابقة. كان من الغريب رؤية الموقع مقفلاً. أعيدت الخِيم البيضاء إلى المخزن بانتظار ضحيّتهم المقبلة. وتم انتزاع المعدّات وسيتم أخذها خلال اليوم التالي. برفقة كيريس.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

للعين المُجرّدة وفي الظلام، بدت الأرض مثلما كانت عليه قبل أسبوع. حتى الورود القليلة، والدببة المحشوة اختفت الآن.

لكن كيم كانت تعرف أنها تستطيع السير إلى القبور الثلاثة وتحديد مواقعها بالضبط. وستلازمها هذه الحقيقة، ستظل طويلاً حتى بعد أن تلتئم نُدب الأرض.

لم تستطع كيم منع نفسها من التساؤل كم كانت لتظل الفتيات مفقودات لو لم يكن البروفيسور عازماً، وبشدّة، على التنقيب بحثاً عن قطع العملات القديمة المدفونة هناك؟ بسبب عناده، ستحظى الآن الفتيات الثلاث اللاتي تمدّدن تحت قطعة أرض بائسة، بدفن لائق. وستحضر كيم كل عملية دفن.

كانت تعرف أن القضية أثرت فيهم جميعاً. أخرجت كيريس الأجساد من تحت الأرض. ودانيال فحص الفتيات ليحدّد طريقة الموت، والآن حان دورها كي تجمع كل هذه المعلومات معاً. نظرت ناحية البيت الذي كان في الوسط. كانت هناك حركة بداخله. لوسي وويليام عادا من المستشفى، وستتواصل حياتهما معاً كالعادة. حالياً.

أبعدت كيم نظرتها عن النافذة المُضاءة. حان الوقت كي تُجري محادثة صعبة جداً مع ويليام بايني، لكنه لن يذهب إلى أيّ مكان وكانت هناك قطعة ناقصة يتوجب عليها أن تجدها أولاً. كان طقم الأسنان هنا في مكان ما، ولسبب ما كان مهماً. لم يكن موجوداً في الجسد، ولا في القبر، ما يعني أنه لا يزال في المبنى. الموقع الذي ستجد فيه سيخبرها بكل شيء. وهذه المرة كانت كيم مستعدة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

التقطت جرابها، وأخرجت منه مطرقة، كي تزيح عمودين من السياج كي تقدر على المرور من الفجوة. خلعت كيم قفازها الأسود الجلدي، وأمسكت بفمها مصباحها اليدوي الذي كان على شكل قلم. استعملت كيم طرف المطرقة كي تنزع المسامير التي شدّت الأعمدة الخشبية الصلبة إلى الدعائم العمودية.

انفك أول اثنين بسهولة. حاولت أن تسحب العمود عن الدعامة لكن المسمارين المثبتين من الجهة الأخرى تماسكا. انفكّ المسمار العلوي بسهولة، لكن المسمار السفلي لم يتزحزح. كان بمقدورها أن تؤرجح العمود نحو الأسفل بحيث يظل معلقاً عمودياً، ويظل مثبتاً بواسطة المسمار العنيد.

كان من الواضح أنه قبل عشر سنوات كانت ميزانية المؤسسة المُخصّصة لعمل مُتقن تفوق بكثير ميزانيتها المُخصصة لأدوات من نوعية جيدة.

كرّرت كيم العملية نفسها مع العمود الثاني، موفرة مساحة كبيرة تكفي كي تعبر من خلالها. وحالما انتقلت كيم إلى الجانب الآخر من السياج حركت يديها ورفعتهما نحو فمها كي تدفئهما. كانت أطراف أصابعها المكشوفة للهواء القارس قد تخدّرت.

لقد تعمّدت كيم ألا تخبر براين، أو بقية فريقها بخُططها. لم تكن تملك أي حق قانوني لدخول المبنى، والحصول على مذكرة تفتيش أمر سيستغرق وقتاً طويلاً.

لقت تلقت بوضوح رسالة وُودي بخصوص ولاء فريقها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

من دون مساعدة ضوء النهار، توجب عليها أن تستعيد من ذاكرتها تصميم الجزء الخلفيّ للمبنى. أضاءت الأرض بواسطة مصباحها اليدوي. كانت الأرض مكسوّة بالأعشاب الكثيفة، وانتشر فوقها الطوب والحُطام.

وجهت كيم المصباح نحو النافذة المفتوحة التي سبق وأن عبرتها كي تدخل للمبنى. حاولت كيم أن تمضي في مسار مباشر لكنها تعثرت بكتلة أسمنتية ضخمة. شتمت، لكنها واصلت.

وصلت كيم عند النافذة، وأدركت أنها يومها استعملت حاوية القمامة كي تعبر من فوق السياج. عادت أدراجها، وقد احتطات وتجنبت الكتلة الأسمنتية، التقطت الحاوية ووضعتها تحت النافذة المكسورة.

وجّهت ضوء المصباح حول الحافة الخارجيّة كي تحدّد موقع الشظايا. وضعت كيم المصباح في فمها واستعملت كلتا يديها لتندفع عبر النافذة.

أجل، لقد أصبحت في الداخل.

الفصل السادس والستون

كنت أعلم بأنني على صواب عندما رأيتها أوّل مرة. اجتهادها، وعنادها خدماها جيداً. وربّما جيّداً جداً.

لأن هذا ما أعادها لي.

في البداية فكرتُ في أننا قد لا نلتقي، لكن لم يعد الوضع الآن هكذا.

تأميني، طرق تضليلي الذكية، لم تكن كافية بما يكفي. للبعض كانت كافية. لكن ليس بالنسبة إليها.

ها هي هنا، وحيدة، في وقت متأخر من الليل، وجدت منفذاً لبناية مهجورة، باحثة عن الإجابات. لن ترتاح حتى تكشف الأسرار.

كل الأسرار.

كانت المسألة كلها مسألة وقت، قبل أن يقودها منطقها المنهجي نحوي.

لو لم تكن ذكيّة جداً لكنتُ سمحتُ لها بالعيش. على الناس أن يتحملوا مسؤولية تصرفاتهم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أتذكّر عندما كان عمري اثنتي عشرة سنة، كنت في قاعة الطعام. حصل رُوبي على ساندويتش بسلطة الدجاج. كان يبدو ألذّ من ساندويتش اللحم المقدّد والجبن خاصّتي. طلبتُ منه أن نتبادل فضحك ساخراً مني.

ضلع مُهشّم، وعين مُسوّدة، وإصبعان مكسورتان لاحقاً، وحصلتُ على الساندويتش، وكان طعمه لذيذاً.

كان من الممكن ألا يحدث هذا لو قام بالمبادلة فقط، كان ليكون على ما يُرام. حاولتُ شرح هذا للأساتذة لكنهم لم يتمكّنوا من الفهم. كلّهم قدموا أعذاراً حول نقص شعوري بالندم.

لم أكن مضطرباً. لم أكن أبحث عن إثارة الانتباه. لم أكن أتصرف هكذا لأن جدّتي ماتت.

أردتُ الساندويتش فقط.

كان من العار أن يتوجب على المحققة الموت. سيُفتقد وجود عقلها المُتّقد وحيويّتها لكنها جلبت هذا لنفسها.

لم يكن هذا ذنبي.

يكمن ذنبي الوحيد في غلطة قمت بها قبل بضع سنوات، لكن كانت غلطة وحيدة ولم أعاود القيام بها من وقتها.

لكن حتى أعظم العقول تقوم بالأخطاء من حين لآخر.

وبينما كنت أراقبها تعبر السياج، أدركتُ أن المُحققة قامت بآخر خطوة لها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السابع والستون

حطّت قدم كيم على سطح المطبخ المصنوع من الفورميكا، وانسحق الزجاج مثل الحصى تحت حذائها. في صمت العتمة، بدا الصوت مُدويّاً.

دفعت بنفسها نحو الأرض، وحرّكت المصباح في أرجاء المطبخ. لم يتغيّر شيء في الأيام القليلة الماضية منذ اقتحامها المكان، ولم تكن هذه المنطقة التي سيطرت على اهتمامها.

تريثت للحظة، متخيّلة الفتيات يتسلّلن هنا حين لا يكون أحد في الجوار من أجل علبة مقرمشات، أو شراب. كم من مرة دخلت، وخرجت ميلاني من هنا قبل أن يقطع رأسها بوحشيّة؟

توجّهت كيم للأمام عبر الغرفة، وقفزت عندما استقر شيء ما فوق وجهها. حكّت كيم وجنتيها، وهي تُزيح النسيج الناعم، ورفعت الضوء نحو شبكة عنكبوت استقرت في حفرة أعلى المدخل. نفضت رأسها، ودعكت وجهها وشعرها. خيط واحد دغدغ أذنها.

لثانية، تساءلت كيم عن حساسية اختيارها الشخصي دخول المبنى وحدها، وفي الليل، لكنها لم تكن لتخاف من الحشرات والريح.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مشت على امتداد الرواق، حريصة على أن تطفئ المصباح عند مرورها من الأبواب المفتوحة للغرف التي كانت تقع في مقدمة المبنى.

وبالرغم من أن المبنى كان محاطاً بسياج، فإنها لم تكن تستطيع أن تجازف بإمكانية أن يُلمح الضوء من الطريق، أو من المنازل المُقابلة.

على يسارها كانت هناك غرفة للمُرفقات، وعلى يمينها توجد الغرفة المُشتركة. تخيّلت لويز في تلك الغرفة، وهي تحشد قوّاتها كقائدة للمجموعة، إلى أن حاول نذل حقير أن يشطرها بالمنشار إلى نصفين.

توجّهت كيم نحو الغرفة التي تقع في آخر الرواق. كانت تلك هي الغرفة التي انطلق منها الحريق. مكتب المدير.

عندما دخلت، أطفأت المصباح. عمود إنارة بجانب محطة الحافلات ألقى بنوره في الغرفة.

هل وقفتِ هنا وطلبت منه المساعدة؟ سألت كيم ترايسي بصمت. هل جئتِ إلى ريتشارد كروفت وبحثت عن نصيحته قبل أن تُدفني حيّة؟ شكّت كيم في أنها قد فعلت.

نفضت كيم عن رأسها الفكرة وتفحّصت الغرفة. كانت هناك خزانتا ملفات منتصبتين خلف الباب المفتوح. فتحت كل جارور بالدور. لم ينر الضوء المنبعث من مصباح الشارع كل تفاصيل الحجرة. بحثت بيدها داخل كل جارور.

لا شيء.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

تنقلت نحو خزانة الكتب في الجهة الأخرى. كانت خزانة خشبية ثقيلة، وتفصلها ستة إنشات فقط عن السقف. مررت يدها على كل رف فارغ، ووقفت على الرف الثاني كي تتمكن من فحص الرفوف العلوية. وعلى الرغم من أن يدها اسودّت بالسخام المُغبر فلم يكن هناك شيء لتجده. نفخت على الغبار المُسود، ومسحت ما بقي منه في يديها ببنطالها الجينز.

تنقلت نحو المكتب القريب من النافذة، وفتحت كل واحد من جواريره. في الأسفل وجدت خزنة حديدية صغيرة. حركتها برفق. كانت فارغة.

وقفت كيم وتفحّصت الغرفة من جديد. كان طقم الأسنان هنا. كانت تشعر بهذا. أين من الممكن أن يكون قد وُضع لضمان تحطمه؟

حامت عيناها في الغرفة، وحطّت على خزانة الكتب القريبة من الباب. كانت النار قد بدأت بالممر خارج باب المكتب، عند أبعد نقطة من غرف نوم الفتيات. بطريقة ما اختارت النار اتجاهها الخاص وتوجهت على امتداد الرواق مُخلفة مكتب كروفت سليماً.

وضعت المصباح في جيبها، ووقفت عند خزانة الكتب. هذه المرة فحصت كل رف، في الأعلى والأسفل، وعلى جانب الألواح. ركعت على الأرض باحثة عن أيّ فجوة خلف أسفل رف.

لا شيء.

عطسَت بسبب الغبار والسخام اللذين أثيرا من الأسطح التي لمسَتها.

وقفت مجدّداً أمام خزانة الكتب، وفتحت ذراعيها. كانت تستطيع أن تعانق الخزانة بأكملها في عناق كبير. سحبتها من جانب، ثم من الجانب الآخر، وهي تؤرجحها للأمام إنشاً في كل مرّة. وبعد بضع محاولات، انفصلت خزانة الكتب عن الحائط بنحو ثمانية إنشات. لم يكن هذا كثيراً، لكنه كاف لها كي تصل إلى ما وراء الخزانة.

بدأت كيم تُحرك يدها عبر الدعامة المصنوعة من الخشب الرقيق. دفعت يدها أقصى ما يمكنها وهي تكنس بيدها الأرض من جانب إلى آخر. كان وجهها مضغوطاً على جانب الدعامة عندما وصلت يدها إلى أبعد نقطة.

انزلقت أطراف أصابعها على سطح أملس يختلف عن خشونة دعامة الخشب الرقيق. دفعت بأصابعها إلى أقصى ما يمكنها، ضاغطة بكتفها. لمست السطح مُجدّداً. شريط. لقد وجدت أصابعها حافة طرف شريط ماركة سيلوتايب. وبفضل دفعة قويّة، حشرت نفسها في الركن.

فوراً، تذكّرت العائلة رقم ثلاثة التي تبنّتها، التي استعملت «ركن الشقاوة» كطريقة للعقاب. تستطيع كيم أن تقدّر أن نحو ثلث مدة الخمسة الأشهر التي قضتها مع تلك العائلة، قضتها في ذلك الركن. ولم تكن غلطتها طيلة الوقت. أحياناً كانت تبدو الأمور هكذا، وحسب.

تجمّدت كيم عندما انغلقت يدها على شكل شيء ما، كان سِنّاً بصفة لا لُبس فيها.

حلّقت كلمة عقاب حول رأسها، وأغلقت عينيها. نظرت إلى يدها

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

غير مُصدّقة. كيف لم ترَ هذا في وقت أبكر بحق الجحيم؟ لقد كانت هذه الخلاصة تحدّق فيها مباشرة من اللوح الأبيض في مكتبها. الذبح، الدفن، والقتل بالمنشار، كلها كانت أشكال لعقوبة الإعدام.

سحبت يدها من خلف خزانة الكتب. يستطيع طقم الأسنان الانتظار. لم يعد يحمل الأهمية نفسها التي كان يحملها سابقاً.

يجب عليها أن تتصل هاتفياً طلبا للدعم. أصبحت الآن تملك كل القطع اللازمة لحل هذه القضيّة. عليها أن تقوم بزيارة أخيرة، ويمكن لفتياتها الثلاث أن يرتحن بسلام.

فات الأوان، رأت كيم ظلاً في الممر عكسه ضوء العمود الكهربائي.

ثم لم تعد ترى شيئاً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثامن والستون

فتحت عينيها لتكتشف شريطاً قماشياً يسد فمها، مربوطاً في عقدة خلف رأسها.

كانت مستلقية على جنبها وقد ربطت يداها وقدماها معاً كمجموعة من الأعضاء، وثُبتت ركبتاها تحت ذقنها.

بدا الألم الذي غمر جسدَها باهتاً مقارنة بالهدير الذي يُدوّي في رأسها والذي بدأ من قمّة رأسها وتمدّد منغرساً مثل مخالب حول صدغيها، وأذنيها، وفكّها.

تسرّبت برودة جليدية من الأرضية الخراسانيّة عبر ملابسها نحو عظامها.

للحظة لم تستطع كيم أن تتذكر أين كانت، أو لماذا. تدريجياً، عادت إليها ومضات من النهار، لكن الأمر كان مثل الكولاج. تجلّت أمامها رؤيا لريتشارد كروفت ممدّداً على وجهه على البلاط تحيط به بركة دم. تذكّرت الاجتماع بصورة ضبابيّة، لكنها لم تستطع أن تتذكّر إن كان قد حدث في اليوم السابق. شعرت، أكثر من كونها تذكرت، بأنها قد عادت للموقع وتحدثت إلى كيريس.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بينما بدأت اللقطات بالانتظام زمنياً، تذكّرت كيم أنها عادت إلى كريستوُود كي تجد طقم الأسنان.

من خلال ضباب أفكارها، تذكّرت أنها وجدت طقم الأسنان قبل أن يسقط عليها الظلام.

لم تكن كيم تملك أدنى فكرة كم مضى من الوقت وهي فاقدة للوعي، لكنها كانت تعرف أنها كانت في مكتب المدير. وقد كان الغبار والسخام يكسوان بشرتها.

بدأت رؤيتها تتضح، وتعدلت عيناها على الضوء. كانت الغرفة على حالها، وألقى عمود الإنارة في الخارج بضوء سديمي إلى داخل الغرفة.

بدّد الصمت فقط صوت تساقط قطرات ماء من مكان قريب. منح هذا الضجيج حضوراً غريباً من خلال انتظامه المتواصل.

سحبت كيم الرباط الذي يُقيّدها. لكنه ظل ثابتاً وانغرس مُعلّماً لحمها. حاولت من جديد، متجاهلة الألم، لكن الحبل أحرق جلدها.

بحثت في ذاكرتها عن أي شيء سبق وأن رأته في الغرفة، يمكن أن يساعدها. لم تتذكّر شيئاً، لكنها كانت تعرف أنها لا تستطيع الاستلقاء هناك وتنتظر.

مرّ شيء بسرعة في عقلها، دفعها للتحرك. حاولت أن تتقدم للأمام، وهي تتلوّى مثل دودة عطشى. أضاف لها الجهد الذي قامت

به موجات ألم جديدة عبر جمجمتها ومرارة في حلقها. دعت الله ألا تتقيأ وتختنق.

فجأة سمعت ضجة، فتوقفت عن التلوي، نبّهتها فطنتها وحواسّها.

مدّت عنقها ناحية الباب. ظهر وجه ما. كان الشكل مألوفاً بالنسبة إليها.

رمشت كيم عينيها خلال العتمة بينما خطى مُهاجمها نحو الضوء الذي كان ينير الغرفة.

عبرت نظرتها القدمين، والساقين، والجذع، والكتفين وصولاً إلى عيني ويليام بايني مباشرة.

الفصل التاسع والستون

خطا ويليام بايني نحوها ببطء. لم تحمل عينيه أيّ تعبير، وبدأ رأسها يتحرك لا إراديّاً من جانب إلى آخر. لا، هذا لم يكن صحيحاً. عضلات معدتها ثارت للسيناريو الذي كان أمامها. لم يكن هذا الشخص الذي توقعته.

انحنى بجانبها وحاول فكّ العقدة التي ربطتها مثل قطعة غنم. عملت أصابعه بهدوء لكن برعونة.

حاولت كيم أن تتكلم لكن القماش في فمها جعل سؤالها غير مسموع.

حرك رأسه وهمس قائلاً «ليس لدينا الكثير من الوقت».

فتح فمه ليقول المزيد لكن صوت صفير أتى من أول الرواق.

وضع ويليام إصبعاً على شفتيه وتراجع للوراء في ظلال الغرفة. ولأنه لم يكن بإمكانها إصدار أيّ صوت بسبب الكمامة، فقد خمّنت أنه يقول لها ألا تكشف موقعه.

تواصلت الدندنة، وأصبحت أعلى. لم تكن مشية الزائر شبيهة بمشية ويليام بايني. كانت خطواته حازمة، ومطمئنة، وذات هدف.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مجدّداً، امتلأ المدخل بظل، لكن في هذه المرة لم تنتظر كيم أن يخطو الزائر نحو شعاع النور.

هذا هو الشخص الذي كانت تتوقعه.

الفصل السبعون

«براينت، يجب أن تجد، جُوف». صرخت ستايسي عبر الجهاز «إنه القسّ. إنه ويلكس. لقد قتل الفتيات، ولا أستطيع الحصول على جوف هاتفياً».

«على مهلك، ستايس». قال براينت. تراجع صوت التلفزيون في الخلفية. خمّنت أنه انتقل إلى غرفة أخرى. «ما الذي تتحدثين عنه؟».

«هناك إيميلات أرسلتها فقط لتحريك الأمور. كان هناك ضجة كبيرة في مدينة بريستول قبل اثنتي عشرة سنة عندما وجدت إحدى العائلات دبوساً معدنياً وسط رماد قريبهم. اتُهم فرن حرق الجثث بخلط الجنازات، لكن بعد هذه الحادثة غادر ويلكس بعُجالة».

«ستايس لكن هذا لا يعني أنه مذنب بـ»...

سيطرت ستايسي على نفسها. لم تكن تملك الوقت للنقاش. « لقد فحصت الأرشيف وأسبوعان قبلها كان هناك طفلة اسمها ريبيكا شُوو هربت من بيت كليفتون لرعاية الأطفال»...

«ولماذا ذُكر هذا الأمر في الصحف؟»، سألها براينت.

«ذُكرت في الأخبار عندما دُهست. وقد كانت متأذية بشدة في ركبتيها...

«وقد نتج هذا عن استعمال الدبابيس»، أكمل برراينت.

استطاعت ستايسي أن ترى تجمّع القطع مع بعضها بعضاً.

«هكذا كان يتخلص منهم من قبل». قالت ستايسي. «لكنه لم يكن يستطيع المُخاطرة بفعل هذا من جديد».

سمعت براينت يتنهّد بثقل «يا للمسيح، ستايس، كم من جثة سوف»...

«براينت، يجب عليك أن تجد جُوف. انطفأ هاتفها عندما تحدثت إليها في وقت أبكر، ولم تكن تبدو على ما يرام».

«ما الذي تقصدينه؟».

«لا أعرف، كانت شاردة، مُشوّشة. لا أظن أنها كانت ذاهبة إلى البيت. أنا قلقة من أن تكون»...

«ستايس، انشري خبراً بأنها مفقودة. سينتج عنه عقاب سأكون سعيداً بتلقيه إن كانت آمنة ومعافاة».

«سأفعل، لكن براينت»...

«أجل؟».

«جِدها، وحسب».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ظلت كلمة «حيّة» مُعلّقة بينهما.

«سأفعل، ستايس، أعدك».

وضعت ستايس السماعة. صدقته. سيجد براينت كيم. لكنها أملت فقط ألا يكون متأخراً جداً.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الحادي والسبعون

خطا داخل الغرفة ووضع، رفشاً عند الحائط. شاهدت كيم اقتراب قدميه باتجاهها. لم تستطع أن ترفع عنقها كي تنظر إلى الأعلى بالرغم من أنها رغبت في هذا بشدّة. أرادت أن تنظر مباشرة في عينيّ النذل الشيطان الذي حاول أن يقطع بالمنشار بنتاً إلى نصفين.

كان صوته منخفضاً ومرحاً كما لو أنه يُناقش خيارات المكان الذي سيتناول فيه الطعام ذلك المساء. «من اللطف أن يقوم زملاؤك بحفر بضع حفر لأجلي. كان من السهل أن أعيد حفر آخر حفرة. أظن أنك ستكونين سعيدة جداً هناك».

كافحت كيم مع وثاقها، وحاولت أن تبصق الكمامة. شعرت بالرباط حول رسغها الأيمن يرتخي لكن ليس بما يكفي.

ضحك فيكتور ويلكس عالياً. «من الأكيد أن هذا الأمر جديد بالنسبة إليك، أيتها المحققة. في العادة أنت من تسيطر، لكن ليس بعد الآن».

شعرت كيم بالهزيمة. فقط لو تُمسك به. كانت لتضرب هذه القمامة ضرباً مبرحاً. طريقته الوحيدة في السيطرة عليها كانت عبر ربطها مثل ديك روميّ لعين.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ركع بجانبها، وأخيراً، تمكنت من النظر في عينيه. كانت عيناه دافئتين بشعور الانتصار.

«لقد قمتُ ببحث عنك، وقرأتُ الكثير عنك، أيتها المُحققة. أتفهّم شغفك، أتفهّم حماسك. حتى أتفهّم التعاطف الذي من الممكن أن تشعري به نحو ضحاياك الصغيرات».

كان صوته مُنغماً كأنه كان يؤدي واجبه نحو مُتوفى ميّت فعلاً. «لقد كنت واحدة من تلك الفتيات، يا عزيزتي....لكنك خلافاً لهنّ، جعلت من نفسك شخصاً يليق بالاحترام».

جاهدت كيم للتملص من الحبل. لقد رغبت وبشدة في أن تلوي عنق ويلكس، وأن تكيل الضربات لوجهه كي تمحوُ عنه التعبير المعتدّ بنفسه.

تراجع إلى الخلف خطوة ثم ضحك. «أوه، كيم. كنت أعرف أنك مقاتلة. شعرت بروحك منذ أول مرة رأيتك فيها».

بقبقت كيم من خلف الكمامة.

نقر على رأسه، وقرأ الغضب في عينيها. «أنت تظنين أنني لن أفلت بهذا؟».

أومأت كيم برأسها، وقرقرت مُجدّداً.

«أوه، لكنني سأفعل، ياعزيزتي. ترين، هذه الأرض لن تُلمس أبداً من جديد. بالتأكيد ليس خلال فترة حياتي». ثم باستهزاء أضاف «وبالتأكيد ليس خلال حياتك».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هذه الأرض هي موقع الدفن الأصليّ لثلاث مراهقات مقتولات. لن يُسمح لأحد بإثارة الفوضى هنا مُجدداً. الآن، ذكّريني مجدّداً من يعلمُ بأنك هنا؟».

زحفت كيم باتجاهه. وكان ظل ويليام بايني الواقف خلف الباب المفتوح، واضحاً بالنسبة إليها. تحتاج أن يتحرك القس بحيث لا ينتبه لوجود شيء غريب في الضوء.

لم ينتج عن حركتها سوى تغيير فيكتور للساق التي كان يرتكزُ عليها. كان لا يزال بجانب المدخل.

«وقد نسيت أمراً حيوياً، عزيزتي. لقد سبق وأن قمتُ بهذا. على الأقل ثلاث مرات، بالتالي ستجدين أنني جيّد نسبيّاً في»...

تلاشت كلماته عندما خرج على يساره ظل من العتمة.

زمجرت كيم عندما سمعت الحركة السريعة للهواء. لقد عرفت أن ويليام قام بحركته مبكراً جداً. الخطوات الثلاث التي قام بها ليصل إلى فيكتور ويلكس قدمت للقسّ فرصة النهوض على قدميه.

أول ضربة من ويليام تم التصدي لها بسهولة. على الرغم من أن ويليام كان أصغر وأطول، إلا أن فيكتور ويلكس كان يخفي قوة خالصة خلف حجمه الضخم.

استغلّ فيكتور اندفاع ويليام الذي تعثر إلى الخلف، ثم انقضّ عليه خلال ثانية. رفع قبضته وضرب ويليام على جانب من رأسه. طار رأس ويليام على جنب.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

سدّد له فيكتور لكمة ثانية، مرسلاً رأسه للجهة الثانية. من خلال وقفة القس وتموضعه تأكدت كيم أنها كانت محقة بشأن قضائه فترة من عمره على حلبة الملاكمة. لم يكن ويليام يمتلك أيّ فرصة أمامه.

حاولت كيم أن تتلوى أكثر لتصل إلى وسط الغرفة، آملة وضع نفسها كمعرقل قد يؤدي إلى انزلاق فيكتور ويلكس، وجعل ويليام يمتلك اليد الأعلى.

لم يسبق لكيم من قبل أن شعرت بنفسها من دون فائدة.

«يجب أن تكون مُمتناً لما فعلتُه، أيها الحقير المثير للشفقة». قال فيكتور، بينما انزلق ويليام أسفل الحائط. «بعد ما فعلته تلك العاهرات الصغيرات بابنتك. يجب أن تشكرني».

كان ويليام الآن قد نهض في منتصف المسافة التي تفصل بينه وبين فيكتور، وقد رفع يده مستهدفاً الأعضاء التناسلية لفيكتور.

تراجع فيكتور للوراء كي يبعد نفسه عن نطاقه. ركلتها قدمه اليمنى على رأسها، متسببة بانفجار خلف عينيها.

تطلب منها بعض الثواني كي تبعد النجوم التي دارت من حولها، لكنها شاهدت فيكتور وهو يقبض على حنجرة ويليام، ثمّ يرفعه في وضعية وقوف. ثمّ ثبته على الحائط بواسطة يده اليسرى التي أمسكت بعنقه. شاهدت برعب كيف دارت عينا ويليام داخل رأسه.

صرخت كيم، بينما أمسك ويليام بايني صدره وسقط على البلاط.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الثاني والسبعون

سقط ويليام نتيجة لدفعة ويلكس، واستقرّ وجهه إنشات بعيداً عن وجهها. نظرت كيم بسرعة بحثاً عن علامات حياة، لكن بسبب الضوء المحدود لم تستطع أن تعرف.

تمدّد فيكتور ويلكس بينهما، ثم جرّ ويليام الذي كان خامداً بعيداً عنها، كأنه كان كيس بطاطا.

شاهدته يضع إصبعين على عنقه. «إنه حيّ. في الوقت الحالي».

تنهّدت كيم تنهيدة ارتياح.

جاء فيكتور وركع بجانبها. أخرج سكيناً من جيبه، ووضع النصل على عنقها.

«أنا متأكد أن أمنيتك الأخيرة أن تتحدثي إلي، أيتها المحققة، وسأحقق لك هذه الأمنية، لكن إن صرخت، سأقطع حنجرته. هل نحن واضحان؟».

لم تقم كيم بأي حركة، لكنها واصلت التحديق في عينيه اللتين كانتا من دون روح. لم يعد على الإطلاق القسّ الدمث الذي يتحدّث

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بنعومة إلى جماعة من الحزانى، المتعطشين للمُواساة. اختفى الانتصار المغرور، مخلفاً مكانه للقلب الأسود لقاتل.

سحب ويلكس الكمامة عن فمها. سقطت وظلت حول عنقها.

«ستدفع ثمن ما فعلته، أيها النذل الحقير»، وهي تبصق.

خرجت الكلمات خشنة من حنجرتها. كانت الكمامة قد جعلت حلقها جافاً. ابتلعت ريقها ثلاث مرات كي تُرطّب فمها الجاف.

ركع بجانب جسد ويليام، مثبتاً نصل السكين فوق شريانه السباتي[1].

«أوه، لا أظن هذا، عزيزتي. كنت أنت الوحيدة التي قاربت على الشك فيّ. لقد رأيتُ وجهك في ذلك اليوم. حتى لو لم تعلمي هذا وقتها. علمتُ بأنه لن يطول الوقت قبل أن تركّبي القطع كلها».

«لقد قتلت ثلاث فتيات بريئات؟».

«سيكون من الصعب وصفهن بالبراءة».

كانت كيم تعلم بأنه يتوجب عليها أن تلهيه أطول فترة ممكنة. لا أحد كان يعلم مكانها. كان محقاً حين قال إنه لا أحد سيأتي لمساعدتها. فرصتها الوحيدة للفرار كانت جسداً ممدداً من دون وعي، بعيداً عنها بستة إنشات.

يتوجب عليها أن تجعله يستمر في الحديث. وبينما هو كان يتكلم، كانت هي تتنفس.

---

(1) أحد الشرايين الرئيسية المنبثقة عن قوس الأبهر الذي يجري جانب الرقبة ليزود الرأس والدماغ بالدم

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لعنت نفسها لكونها لم تجمع كل الأجزاء معاً، وتكتشف الأمر في وقت أسرع. كان هناك أمرٌ قالته نيكولا لم يرنّ بطريقة صحيحة. لم تقل ترايسي مورغان إنها ذاهبة للحصول على المال من أب الطفل. لو كانت تقصد هذا فقد كانت لتقول «والد الطفل»، أو لتذكر اسم الرجل. لقد كانت تقصد أنها ذاهبة لتحصل على المال من الأب[1].

«لقد كان طفل ترايسي طفلك؟».

«بكل تأكيد كان طفلي. العاهرة الصغيرة الغبيّة ظنت أنه كان بإمكانها ابتزازي. حتى إنها رغبت في الاحتفاظ بالطفل وصنع حياة جديدة لنفسها».

«هل اغتصبتها؟».

«فلنقل إنها لعبت دور صعبة المنال».

تاقت كل خلية من خلاياها لأن تأخذ ذلك السكين وتغرسه عميقاً بين عينيه.

«أيها الشيطان الحقير. كيف أمكنك فعل ذلك بحق الجحيم؟».

«لأنها كانت نكرة، أيتها المحققة. مثل الكثيرين غيرها، لم تكن تملك أحداً. لم يكن هناك أيّ هدف من حياتها».

«لماذا لم تبلغ عنك؟».

كانت كيم تعرف مسبقاً الإجابة قبل حتى أن تخرج الجملة من فمه.

---

(1) ينادي الناس القس، أو الكاهن بالأب.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لأنه كان هذا ما شعرت بأنها تستحقه. عميقاً بداخلها كانت تعرف أيضاً أنها كانت نكِرة. لم تعنِ حياتها لأحد. وحضورها لم يُولد شيئاً. لا أحد بكى، لا أحد حزن. كانت بلا قيمة».

تفاقم غضب كيم الداخلي. إنها تفهم ذلك الإحساس. معرفة أن الأشخاص الوحيدين الموجودين في حياتك كانوا يتلقون مالاً لأجل ذلك، احساسٌ ينهشك من الداخل. الشعور بعدم القيمة، إذا ما استُوعب مرة، لا يتلاشى أبداً. ستتكفل الأحداثُ يومياً بتعزيز ذلك الاعتقاد لديك.

«إذاً، كانت ترايسي هي الأولى؟»، سألت كيم. كان يجب عليها أن تتركه مشغولاً، بينما تفكر في طريقة تحرر بها نفسها.

«أجل، كانت ترايسي الأولى. وكانت صديقاتها الحميمات ليكنّ بخير لو لم يكنّ لجوجات. واصلن الإصرار على أن ترايسي لم تهرب».

«لكنك دفنتها حيّة». قالت كيم مُتشكّكة.

حرّك ويلكس كتفيه باستهجان، لكن كيم لمحت شيئاً ما في عينيه.

«لم تستطع أن تقتلها بنفسك؟»، سألت متفاجئة.

«لم تكن تنوي أن تدفنها حيّة؟ كنت تنوي قتلها لكنك لم تستطع القيام بهذا. يا إلهي، لقد شعرت فعلياً بمشاعر نحو تلك الفتاة».

«لا تكوني سخيفة»، صرخ «لم أشعر بشيء نحوها. أعطيتها فودكا ببساطة كي يكون الأمر سهلاً. سبق وأن خططت لطريقة تنفيذي للأمر».

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

شعرت كيم بارتفاع المرارة في حلقها. تخيّلت ترايسي مورغان ثملة وطيّعة. كان هذا ليمثل إغراء كبيراً لهذا الشيطان الحقير.

«لقد اغتصبتها من جديد، أليس كذلك؟».

رأت ابتسامته. «ترين، أيتها المُحققة. لقد علمتُ بأنني كنتُ محقاً بشأنك. أنت بكل تأكيد تعرفين كيف تستعملين عقلك».

«لكنك رجل من رجال الله؟».

«وهو يعرفني أفضل من أيّ شخص، وحتى الآن منحني ثلاث فرص. لو كان قد شعر بأنني مخطئ بأيّ صفية كانت كان سيوقفني».

«لم تصدّق صديقتاها أنها هربت. الجميع سواهما صدّق هذا. كانت الشائعة التي انتشرت تقول إنها كانت حاملاً، لذلك صدّق الجميع أنها هربت مع والد الطفل، أو ذهبت لمكان ما كي تتخلص من الجنين».

«ما عدا صديقاتها؟».

«كلا، لقد تميزتا بالعناد تلك العاهرتان الصغيرتان، ولم تدعا الأمر وشأنه».

«هل تعمّدت تلفيق التهمة لويليام بايني؟».

«ليس مع ترايسي. لقد أردتها أن تذهب، وحسب. لكنني تحققتُ أن الفتيات الثلاث نفسهنّ اللاتي مثلن مشكلاً بالنسبة إلي، فمن بعمل خسيس لابنته، فقررتُ أن أستغل الموضوع كضمان صغير».

فهمت كيم. انطلاقاً من تلك النقطة خطرت له الفكرة الذكيّة

أن يزور بيت الرعاية في ليالي مناوبة ويليام، ويعرض عليه أن ينوبه كي يتمكن من الحصول على وقت إضافي مع ابنته. لو علم بقية الموظفين بالموضوع، فسيتغاضون عنه بسبب مرض لوسي. كان فيكتور يعلم أنه بقيامه بهذا فإن أول إصبع لوم ستوجه نحو ويليام بايني.

«من وجد طقم الأسنان؟».

«تيريزا وايت. كانت تعرف أن لويز لن تذهب إلى أيّ مكان بإرادتها من دون ذلك الطقم. كانت تخلعه فقط حين تنام. هكذا جمعت تيريزا اثنين مع اثنين وتحصّلت على العدد الصحيح. فحصت جدول الخدمة ووجدت أن الفتيات الثلاث اختفين خلال مناوبة ويليام. طبعاً، كان الجميع يعرف بالحادث الذي وقع بين الفتيات ولوسي. لم يكن صعباً أن يعتقدوا بأنه كان هو من قام بالجرائم».

«بالتالي قاموا بالتغطية عليه؟».

سخر فيكتور». أوه أجل، أيتها المحققة، بكل تأكيد فعلوا هذا».

«لحماية ويليام؟».

«لم يفكروا فيه ولو لدقيقة. أوه، في الظاهر كلهم تعاطفوا معه. لم تكن حياته حياة يُحسدُ عليها. كان يشاهد تدهور حالة طفلته أكثر كل يوم ولم يكن لديه شيء يستطيع القيام به حيال الأمر. من دونه، لن يكون للوسي أحد. لكنهم فعلوا هذا من أجل أنفسهم».

لم يعجب كيم كيف أصبح الآن يشير إلى ويليام بصيغة الماضي. وتساءلت إن كان القبر واسعاً بما يكفي من أجل اثنين.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أنا متأكد أنك سبق وعرفت أسرارهم. كان أيّ تحقيق ذي صبغة رسمية سيُحطمهم جميعاً. كان سيُكشف اختلاس ريتشارد. وكانت تيريزا ستواجه تهمة بالاعتداء الجسدي، وبالتحرش الجنسي من قبل ميلاني. وسيُكتشف أن طوم كان يعاشر لويز، ومن كان سيؤمن بأن الأمر حصل بالتراضي؟ وآرثر كان يكره ثلاثتهنّ بشدة، لقد جعلن حياته بائسة. وسبق وأن ماتت البنات، إذاً، لم يكن هناك أي شيء لكسبه من الإبلاغ».

سمعت كيم صفارة إنذار من مسافة قريبة لكنها خمّنت ربما لم تكن لأجلها. تساءلت في فكرها إن كان هناك طريقة تستغل بها صوت صفارة الإنذار كي تظلّ على قيد الحياة. أجبرت نفسها على أن تعود لمسار الحديث.

«إذاً، من كان قائد المجموعة؟».

« قرروا معاً أن ما من شيء ليكسبوه بإبلاغ الشرطة. يجب تفريق الفتيات المتبقيّات بأسرع ما يمكن، والأدلّة التجريمية ذات الصبغة الإجرامية يجب أن تحطّم».

«الحريق؟».

«أجل، الفوضى ومصاريف الفتيات كانت ستخلق كابوساً إدارياً».

«لم يتكلم أحد مع ويليام؟».

«لم يحتاجوا إلى هذا. كلمات قليلة من قبلي حول وضعه العقلي، والغضب الشديد الذي كان يشعر به تجاه الفتيات، وأتمّوا الصفقة».

«إذاً، تمّ اضرام الحريق؟».

«أجل، لم تكن الفتيات مُعرّضات للخطر على الإطلاق. انطلق الحريق من أبعد نقطة من الغرف. انطلقت صفّارات الإنذار فوراً، وكان آرثر كونوب مُستعداً ينتظر كي يُخرج الفتيات من المبنى».

«بالتالي، ثلاث فتيات فقدن حياتهن. خسر ويليام عمله، وبعض الموظفين فقدوا عقولهم. وأنت غادرت بعيداً من دون أيّ شيء؟».

«مثلما قلتُ لك، لديّ «هو» بجانبي».

«وهل كان «هو» بجانبك في مانشيستر، بريستول، وفي أيّ مكان آخر كنت موجوداً فيه؟».

«إنه معي دائماً». قال فيكتور مبتسماً.

«هل أنت متأكد حيال هذا؟»، سألت كيم.

رأت الشكّ يعبر وجه فيكتور، بينما تعالى صوت صفّارة الإنذار. كانت تعرف أنها لن تحصل على فرصة أخرى كي تعيش. سريعاً سيّدير تلك السكين نحوها ويدفنها في قبر قديم لإحدى ضحاياه.

كان يجب عليها أن تُربكه، وتدفعه ليقوم بحماقة ما.

اقتربت صفارة الإنذار أكثر، وخطرت لكيم فكرة.

«لكن هناك أمرٌ أساسي نسيته، فيكتور». وابتسمت ابتسامة واسعة «وسيكون هذا سببُ هلاكك».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

بينما مال فيكتور نحوها كي يتمكن من سماعها من خلال صوت صفارة الإنذار العالي، زمجر ويليام وتدحرج فوق ظهره.

رأت كيم عقد الطوارئ الخاص بلوسي حول عنقه. في نهاية الأمر لم يكن ويليام يضغط على صدره، وإنما على زر الطوارئ في العقد.

أصبح صوت صفارة الإنذار عالياً جداً. وكانت يداها وقدماها مربوطة لبعضها بعضاً.

«ما الذي نسيته بالضبط أيتها المحققة؟».

كان وجهه بجانب وجهها. كان واثقاً بأن صفارة الإنذار لم تكن من أجلهم، وكان يريد أن يعرف ما الشيء الذي خلّفه، وسيكشف أمره.

حتى وهي مُقيّدة، كانت كيم تعلم بأن لها اليد العليا.

«سبق وأن قلت إنني أعرف كيف أستعمل رأسي».

أرجعت كيم رأسها للوراء ثم أطلقته للأمام بقوة. التقى جبينها بقمة أنفه. التمعت الألعاب النارية في رأسها، ولثانية، لم تكن واثقة إن كان صوت تحطم العظم صدر منها، أم منه.

عواء الألم الذي صدر من فم ويلكس أخبرها أن الطقطقة صدرت منه بالتأكيد.

رفع يديه نحو وجهه غريزياً، بينما سقطت السكين على بعد نصف قدم من يديها المربوطتين. ترنّح واقفاً على قدميه وتلوّت بجسدها نحو السّكين.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أيتها العاهرة الحقيرة». صرخ، وهو يترنح في أرجاء الغرفة.

بينما ضغطت بيديها المربوطتين على مقبض السكين، بدا كأن فيكتور أدرك أنه لم يعد يمتلكها.

مواصلاً الامساك بوجهه، توجه صوب الرفش الذي تركه عند الباب.

منحها تحطيمها لأنفه دقيقة، لكن في وضعها مُقَيَّدة فإن ضربة واحدة من ذلك الرفش على رأسها ستقضي عليها.

كان صوت صفارة الإنذار يصمّ الآذان الآن.

أدارت السكين نحوها وقطعت طرف الحبل من الجهة التي جعلها ويليام مرتخية. قطعتها من جهة إلى أخرى. لكنها لم تستطع أن تحرر أيّ طرف من أطرافها، على الرغم من أن ما قامت به منحها إنشاً، أو إنشين من حرية الحركة.

عملت يد كيم بسرعة. خطوتان إضافيتان وسيصبحُ فوقها.

اندفعت يد ويليام وقبضت على كاحل فيكتور. تعثر، وسقط لكنه وقف على ساقيه بسرعة.

استعملت كيم إصبعها الوسطى كي تسحب واحداً من الخيوط المشدودة. كان مشدوداً حول أطرافها كلها. كان الخيط الرابط الذي شدّ يديها إلى قدميها.

عملت بجهد أكبر. أصبح تنفسها الآن قصيراً، وحادّاً، بينما وضعت كل أونصة من طاقتها في قطع عقدة الحبل تلك.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وقف فيكتور فوقها. كان الغضب يشتعل في عينيه، بينما سال الدم من أنفه. في ضوء عمود الإنارة شكّل الدم شارباً ولحية على وجهه.

رفع الرفش عالياً في الهواء، ثم هوى به نحو الأسفل. تدحرجت إلى اليسار. استقر الرفش على الأرض بعيداً بمسافة إنش عن رأسها. تفجّر صوت الخبطة في أذنها.

كانت تستطيع الشعور بارتخاء الحبل تحت نصل السكين. في عين عقلها كانت تستطيع أن تلتقط صورة للحبل وهو يتآكل تحت ضغط النصل.

لكنه لم يكن يتآكل بالسرعة الكافية.

مجدداً، كان الرفش مرفوعاً عالياً فوق رأسه. كان الغضب في عينيّ ويلكيس قاتلاً.

عرفت كيم أن الضربة القادمة لن تضيع.

توقفت صفارة الإنذار، والصمت المفاجئ كان منذراً بالشؤم.

عدّل فيكتور قبضة الرفش في يده، وقد التمع بريق الانتصار في عينيه.

رأت كيم رأس الرفش ينزل نحو رأسها.

ألقت بالسكين ووضعت كل أونصة من قوتها كي تفصل يديها، وهي تدعو بأنها قد أضعفت الحبل الصحيح.

انفصلت يداها وساقاها، واندفعت نحو ركبتيه، لكنها لم تتمكن

من إيقاف حركة انخفاض إسقاط الرفش. ضربتها الآلة عند الجزء السفلي من ظهرها، بقوّة.

صرخت بقوة من شدّة الألم بينما كانت تسحبه من ساقيه من الوراء. انقلب إلى الخلف على الأرض. وقد اصطدم مرفقه بقوة بالحائط، ووقع.

تجاهلت كيم الألم في ظهرها. كانت تعلم بأنه يتوجب عليها استغلال أقصى ما تتيحه لها هذه الفرصة. الإصابات التي سبّبتها له لن تبقيه هادئاً لوقت طويل.

انقضّت على ساقيه وتسلقت فوقه. حاول أن يرفع نفسه لكن كيم كانت سريعة جداً. استقامت جالسة فوقه. تدحرج، وتلوّى من تحتها لكن ركبتيها ثبتتاه.

سمعت كيم نشاطاً حركة في المطبخ، وأقدام تهشم تمشي، وتفتت الزجاج المكسور.

«هنا». صرخت.

نظرت كيم للعينين التي لاح فيهما فقط الخوف على نفسه.

ابتسمت له وقالت: «يبدو أنه حتى «هو» اكتفى من جرائمك أيضاً».

مجدداً، حاول ويلكس أن يستعمل ثقل جسمه ليلقي بها بعيداً.

كوّرت قبضتها ولكمته على أنفه عند النقطة التي سبق وأن ضربته برأسها عليه.

انتحب من الألم.

«لقد كنّ مجرد أطفال، أيّها النذل الحقير».

ضربته من جديد. «وهذه الضربة من طرف كيريس».

استقر ضوء مصباح جيب على وجهها مباشرة. كان هناك مسعف نشر الضوء في أرجاء الغرفة.

«امممم... الشرطة في طريقها إلى هنا». قال وهو يتحرك للأمام، وقد كان من الواضح أنه كان غير واثق مما حدث بالضبط.

«شكراً لله لهذا»، قالت كيم، وهي تخرج شارتها كمحققة.

حدّق في البطاقة. وقال:»حسناً، ما الذي حدث بحق الجحيم»...

أشارت إلى ويليام، الذي كان ممدداً يئنّ بجانبها. «افحصه أولاً، إصابات على مستوى الرأس، من الجانبين».

«هل تحتاجين.»...

«أنا بخير. افحصه».

حاول فيكتور أن يتملّص من تحتها. «أوه، اثبت مكانك». قالت وهي تخزه في ضلوعه بركبتها اليمنى. دخل المُسعف الثاني إلى الغرفة مثل الإعصار.

«رجال الشرطة قادمون». قال وهو ينظر إليها متسائلاً.

لماذا شكّ كلاهما مباشرة في أنها كانت الشخص السيئ؟

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«إنها من الشرطة، مايك». قال المُسعف الأول، مع مقدار ضئيل من عدم التصديق.

حرك مايك كتفيه بلامبالاة، ثم ركع على البلاط عند الجهة المقابلة لرأس ويليام. تعرفت إلى المسعف الثاني لقد كان حاضراً عند الأزمة الصحيّة الأخيرة التي تعرضت لها لوسي. لم تستطع منع نفسها من التساؤل كم مرة تم الاتصال بهم للقدوم لإسعاف الطفلة المسكينة.

«لُوسي»، قال ويليام.

«إنها بخير. لقد تدبّرت أمرها وأبلغتنا بمكان تواجدك».

يا لها من فتاة، فكّرت كيم.

«لن تثبتي ...أبداً»... بدأ فيكتور يهمهم.

«اخرس». قالت كيم، وهي تستعمل ركبتها مجدداً.

سمعت كيم صفارات إنذار أخرى من مسافة قريبة. كانوا قادمين بسرعة.

توقفت الصفارات، وخلال ثوان دوّت الخطوات على امتداد الرواق.

اندفع براينت وداوسون داخل الغرفة. وتجمدا في مكانيهما.

ابتسمت قائلة «مساء الخير، أيها الأولاد. شكراً لقدومكما، لكن لو قدمتما قبل عشر دقائق لكان هذا جيداً».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

قدم لها براينت يده كي يساعدها على النهوض بينما وضع داوسون ذراعي فيكتور فوق رأسه.

تجاهلت كيم اليد الممدودة نحوها، ودفعت نفسها لتقف على قدميها. لم تستطع أن تحدّد أيّ جزء من جسمها لم يكن يرسل رسائل ألم إلى عقلها، لكن الألم المبرح في ظهرها تغلب على البقيّة. كشرت وهي تقف مستقيمة.

«كيف عرفتم؟»، سألت.

«حصلت ترايسي على إيميل من قس في مدينة بريستول. سأخبرك بالمزيد من التفاصيل لاحقاً، لكن أشكّ في أننا سنجد المزيد من الضحايا. دفنهم أحياء لم تكن هذه طريقته المعتادة. قبل ذلك، كان يطبخهم».

لم تتفاجأ كيم. أغلقت عينيها وصلّت صلاة صامتة على أرواح الضحايا الذين لن يتم إيجادهم.

أخذت نفساً عميقا «ارفعه، كِيف».

قبض داوسون وبراينت كل واحد على ذراع ورفعاه.

الحقد الذي تجلى في نظرة فيكتور أحرق بشرتها. لو كان يعتقد أنه أرعبها فهو يحتاج لإعادة التفكير. لم يسبق له أن رأى وُودي في مزاج سيئ مطلقاً. الآن أصبح الأمر يتعلق بشيء آخر.

«فيكتور ويلكس، أنا أوقفك بتهمة قتل ترايسي مورغان والطفل الذي لم يُولد، وميلاني هاريس، ولويز دانستون. لا يجب عليك أن تقول

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أيّ شيء، وأيّ كلمة تقولها يمكن أن تستعمل كدليل، أيّها الشيطان القاتل، النذل، الحقير».

استمتعت بالطريقة التي نظر إليها بها، والكراهية المطلقة في عينيه.

«يا رفاق، أبعدوه عن مجال بصري».

تردّد براينت وقال «جوف»....

رفعت يدها في الهواء قائلة «أنا بخير، فقط خذاه بأمان إلى مركز الشرطة. سألحق بكما».

كانت تستطيع رؤية القلق في عيني زميلها. لو ظل يتجول في المكان لوقت أطول فسيحملها بالقوة إلى المستشفى. وحالياً لم يكن لديها الوقت وحسب.

كشرت كيم بينما تمدّدت بجانب ويليام.

أقرب مسعف لها أدار رأسه وقال. «يا آنسة، أنت تحتاجين لبعض العناية»...

«إنه مصاب بارتجاج شديد، حيث يظن أن لديّ ثماني أصابع في يد واحدة، بالتالي يجب أن يُنقل إلى المستشفى فوراً».

«لوسي». قال ويليام مجدداً.

لمست كيم يده بخفة. «سأحرص على أن تكون بخير».

شكرت المسعفين وتوجهت خارج المبنى. كل عظم من عظام جسدها صرخ عليها. خرجت في الوقت المناسب كي تشاهد فيكتور ويلكس وهو يؤخذ.

تساءلت كيم كم من حياة قضى عليها. كم من فتاة أخرى سريعة العطب ومُحطّمة قام بالاساءة إليها، وكيف كان يمكنهم ليعرفوا على الإطلاق.

«لكن لن يكون هناك المزيد، فيكتور». قالت بينما اختفت السيارة. «لن تحصل على المزيد».

الفصل الثالث والسبعون

اندفعت كيم بسرعة عبر الشارع وجرّبت مقبض الباب. لقد كان مفتوحاً.

أغلقت الباب خلفها ودخلت إلى قاعة الاستقبال.

«أوه، يا للجحيم، لا». هتفت كيم، مندفعة إلى داخل الغرفة.

كانت لوسي منبطحة على الأرض ووجهها للأسفل أمام الكرسي المُتحرك.

انحنت كيم فوقها ومزّقها ألم شديد في الجزء السفلي من ظهرها.

«لوسي، الأمور على مايرام». قالت وهي تداعب شعر الفتاة.

وقفت وقيّمت الطريقة الأسرع للملمَة الطفلة.

ركعت كيم مجدّداً وأدارت لوسي بلطف بحيث أصبحت ممدّدة على ظهرها. كانت العينان اليافعتان ممتلئتين بالهلع.

«الأمور على ما يرام، حبيبتي. هل يمكنك أن تمنحيني إشارة نعم؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أجابت لوسي برمشتين.

«سأحملك من تحت ذراعيك، هل هذا يناسبك؟».

رمشتان.

انحنت كيم إلى الأمام، ووضعت يداً تحت عنق لوسي، ورفعت القسم العلوي من جسمها إلى وضعية جلوس مدعومة من طرفها. كانت تعرف أن عضلات لوسي لا يمكنها تحمل ثقل وزنها لذلك قربتها نحوها أكثر، بحيث يرتكز جسد لوسي على جسدها لتحميها من السقوط للوراء.

وضعت يداً تحت كل إبط وسحبتها إلى وضعية الوقوف. كان الجسد رخواً، ولم يبدِ أيّ مقاومة. وعلى الرغم من أنه لم يكن الوزن المناسب لفتاة في الخامسة عشرة من العمر، فإن تأثير الجهد الذي بذلته على إصابة ظهرها كاد يجعلها تصرخ عالياً.

«سأخبرك أمراً، بخصوص هذه الرقصة، سأقودها أنا». قالت كيم، بينما أدارت لوسي وأجلستها بلطف على الكرسي المتحرك.

حركت كيم مقعداً ووضعته بحيث تجلس مواجهة للُوسي. أخذت اليد اليمنى للفتاة وأمسكتها.

«هل أنت بخير؟ هل أصبتِ بأذى؟».

لا ترميش. أدركت كيم بسرعة أنها طرحت عليها سؤالين في الوقت نفسه.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أنا آسفة، هل أنت بخير؟».

ترميشتان.

«هل كنت تحاولين الوصول إلى أبيك؟».

ترميشتان.

ضغطت كيم على يدها أكثر. يا إلهي، هذه الفتاة لديها قلب قوي.

«سيكون بخير. ضُرب على رأسه وتوجب عليه الذهاب للمستشفى كي يتمّ فحصه لكنه بخير».

امتلأت عينا الفتاة بنظرة ارتياح.

بعدها حرّكت لوسي رأسها ببطء نحو كيم.

«لوسي، أنا آسفة، لكنني لا أفهم».

رأت كيم الانزعاج على وجهها. كررت الحركة لكن بقوة أكبر.

«أووووووو» تمكنت من القول.

أحسّت كيم بالإحباط الذي تعانيه هذه الطفلة المسكينة. كان عقلها يعمل بطريقة مثالية من دون أيّ إمكانية للتعبير عن هذه الأفكار. كان هذا مثل سجن. سجنٍ أسوأ من قدرة كيم على تخيله.

كررت الإيماءة نفسها، والصوت نفسه معاً. القوة في العينين منحت كيم الإجابة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

التأثر أشعرها بغصّة في حلقها. «تريدين أن تعرفي إن كنتُ أنا بخير؟».

ترميشتان.

خفضت كيم رأسها ونظرت لليد الهشّة االتي كانت تُمسكُ بها. غامت نظرتها للحظة لكنها سعلت كي تغطي على تأثرها.

«أنا بخير، لوسي، وهذا بفضل والدك»، فكّرت كيم في تلك الثواني القليلة التي أنقذها خلالها حين قبض على كاحليّ فيكتور. « فعلاً لقد أنقذ والدك حياتي».

التمعت نظرة فخر في العينين المُعبّرتين.

«الآن، يجب عليّ الذهاب. هل من شخص أستطيع الاتصال به كي يعتني بك؟».

بدأت لوسي بترميش عينيها وطُرق الباب في الوقت نفسه. وسُمع صوت امرأة في الممر.

«حسناً، لا أعرف أيّ سيرك يدور هناك في الأعلى لكن»... وقفت امرأة بدينة في أواخر الخمسينات عند الباب وكتفت ذراعيها. «ومن تراكِ تكونين؟».

«المحققة ستون».

«امممممم....جميل».

وقفت أمام كيم بحيث تتمكن من الحصول على رؤية جيدة للوسي. «هل أنت بخير، لُوس؟».

من المؤكد أن لوسي قد أشارت بعينيها نعم لأن المرأة وقفت جانباً، لكنها ثبتت عينيها على كيم.

«أين ويليام؟».

«توجب عليه الذهاب للمستشفى». أجابت كيم بسرعة.

«ماذا فعلتِ له؟»، سألتها بصرامة. «هل هو بخير؟».

«إنه بخير، لكنه على الأرجح سيقضي الليلة في المستشفى».

«حسناً، عمل جيد، إنني جئت لأتفقدهما، أليس كذلك؟ حسناً، سأذهب وأضع الغلاية على النار ثم سنحصل على طعام توصيل رائع لنا. سأطلب بيتزا، المفضلة لديك».

انصرفت المرأة للمطبخ لكن حضورها ظلّ مسموعاً.

«أنا لا أعرف ما الذي تظنون أنكم تفعلونه هناك، شرطة، وسيارات إسعاف، وآلات، وخِيم. اعتقدتُ أن كل شيء قد انتهى لكن يجب عليكم ألاّ تبدؤوا كل شيء من جديد الليلة»...

أخفت كيم ابتسامتها إلى أن نظرت إلى لوسي، التي أدارت عينيها. فتفجرت الضحكة من فمها.

«يجب أن أذهب، لوسي، أوكي؟».

ترميشتان.

«هل هناك أيّ شيء تحتاجينه؟».

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

ترميشتان.

قيّمت كيم الوضع. كان الصوت الجهوري لا يزال مسموعاً من ناحية المطبخ.

فهمت كيم ووضعت يدها على أذنها اليمنى.

ترميشتان.

وقفت كيم والتقطت الآيبود الذي كان لا يزال عند النافذة. وضعت السماعات على أذنيّ لوسي، ووضعت جهاز التحكم على ذراع الكرسي المُتحرك قريباً من يد لوسي اليُمنى.

«حصلتِ عليه؟».

ترميشتان، ووميض استمتاع. لم تستطع كيم أن تمنع نفسها من الضحك.

أشارت كيم إلى الباب. «يجب أن»...

ترميشتان.

لمست كيم ذراع لوسي بخفة ثمّ توجهت نحو الباب.

في اللحظة نفسها التي غادرت فيها سيارة الإسعاف اقتربت سيارة شرطة ثانية.

مشت كيم عبر الشارع، وهي تعود إلى بيت الفتيات. كان هناك فجوة، مثل سن مفقودة، في المكان الذي اقتحم منه المُسعفون السياج.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«يا رفاق، في المكتب الذي يقع آخر الرواق توجد خزانة بالقرب من النافذة. ووراءها يوجد طقم أسنان. احصلوا عليه وضعوه في كيس، أغلقوه بإحكام ثم أرسلوه إلى المُختبر».

وافقوا وتوجهوا إلى داخل المبنى.

فجأة أصبح المكان صامتاً من جديد. لا يوجد أي شيء يدل على ما حصل للتوّ. لا علامة تدل على أن هذا هو المكان الذي كادت تفقد فيه حياتها. والسبب الذي منع هذا من الحصول، مساعدة قلادة للطوارئ. أداة بسيطة كانت تساعد لوسي خلال حياتها اليومية، كانت منقذتها.

تجمدت كيم عندما أدركت ما الذي فاتها. سيطر عليها شعور بالغثيان عندما تمكنت أخيراً من وضع قطعة البازل الأخيرة في مكانها.

«أوه، يا للمسيح»... همست للظلام.

«لقد حصلتُ على طقم الأسنان، سيدتي». قال لها أحد رجال الشرطة الذين قدموا من جانب المبنى.

أدركت كيم أن هناك مزيداً من العمل للقيام به، وهناك شخص واحد فقط، يمكنه أن يساعدها.

«أيها الشرطي، من فضلك هل يمكنك أن تكون لطيفاً وتعطيني هاتفك؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل الرابع والسبعون

أصدرت الدراجة النارية أزيزاً عند توقفها على قطعة أرض يغمرها الحصى. وشعرت كيم بأنها استعادت نفسها. تحمّمت، وغيّرت ملابسها، ولمّعت الدراجة «ترينمف». كانت في مرآبها، مثل قطعة آثار ثمينة.

لم يكن من مغزى كي تحاول إغلاق عينيها. كل خلية من خلاياها أرادت أن تختفي العتمة من السماء كي تتمكن من العودة إلى الموقع وتنهي هذه القضية.

تخيلت كيريس عند أسفل الحقل مباشرة خارج الفجوة التي اخترقها المسعفون كي يمروا عبرها قبل بضع ساعات.

لم تشرق الشمس، بعد لكنها كانت في طريقها لذلك.

«إذاً، لم تكذبي عندما اتصلت بي ليلة أمس. حقاً سنكون نحن الاثنتين فحسب؟». سألت كيريس.

«أجل». أجابت كيم. كانت على وشك القيام بحركة قد يكلفها ثمنها غالياً. رنّت كلمات وُودي في أذنيها. لن تأخذ كيم فريقها معها نحو القاع.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لقد رأيتُ دانيال عندما كنت أغادر الفندق. لقد أرسل لك تقريراً لكنه أكّد أن طقم الأسنان الذي سبق وأن وجدته يعود بكل تأكيد إلى لويز دانستون».

أومأت كيم بتفهمها.

بدأت كيم تضغط على أزرار الآلة وتُسجل أرقاماً في دفترها.

«حسناً، الآلة جاهزة الآن. فقط لديّ سؤال إلى أيّ درجة أنت متأكدة من أننا قد نجد شيئاً ما؟».

سحبت كيم نفساً، أغلقت عينيها وحلّلت حدسها.

«واثقة أكثر مما يجب عليّ أن أكون».

«هل تدركين أن أيّ شيء قد نجده هنا لن يمكن اعتماده في المحكمة؟».

أشارت كيم برأسها أن نعم. لو كانت مُحقة، فما ستجدانه لن يذهب أبداً للمحكمة.

خطت كيم إلى الأمام ومدّت يديها. «أعطني الجهاز وقولي لي ما الذي عليّ فعله. أعتقد أنني تسببتُ لك بما يكفي من المتاعب هذا الأسبوع».

«أنا طفلة كبيرة وأستطيع الاعتناء بنفسي». زمجرت كيريس. «ومن دون إهانة، لكن هذا الجهاز باهظ الثمن ولن أعهد به إليك».

تنهّدت كيم محبطة «كيريس، هلا أعطيتني وحسب»...

«اخرسي، كيم. أعطني حقيبة الظهر أولاً».

انحنت كيم ورفعت جراب الأدوات وأمسكتها، بينما مررت كيريس ذراعيها عبر الأشرطة.

ثبتت كيريس جهاز التحكم حول وسطها. والتقطت كيم الشريط وثبتت العصا المعدنية فوق كتف كيريس.

تراجعت كيم وقالت «عهدتك تفضلين ارتداء أزياء من علامة برادا».

تجاهلت كيريس الملاحظة، وقالت «حسناً، لقد ألقيتُ نظرة حول هذه المنطقة. يوجد الكثير من الفضلات التي يجب أن تخرج كلها من هنا».

«أفهم من هذ أن هذا سيكون عملي؟».

«هل ترين أحداً سواك؟

«حسناً، أين؟»

«سأفحص أولاً أسفل المبنى. تبدو الواجهة الأمامية للمبنى على ما يرام من ناحية الشارع والمنازل، بالتالي إذا كنا نبحث عمّا تظنين أننا نبحث عنه، فإن تلك المنطقة ستكون مكشوفة جداً».

«هل أستطيع تقديم المساعدة أيتها المحققة؟»

استدارت كيم لتجد ويليام بايني وقد لفّ من جانب السياج. كان يبدو شاحباً ومتعباً. خطت كيم نحوه.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«كيف تشعر؟».

ابتسم. «متألم، لكن لا يوجد أذى دائم. أرسلوني للبيت بعد بضع ساعات».

«ماذا عن لوسي؟».

«ألقي نظرة».

مشت كيم نحو حافة السياج. كانت الستائر مسحوبة وأطلت لوسي عبر النافذة.

لوّحت كيم بيدها، ثم أعادت توجيه انتباهها نحو ويليام. «لا أظن أن حالتك تسمح»...

«أيتها المُحققة، لا أعرف ما الذي تفعلونه هنا اليوم، لكنني أعلم بأنني أنا ولوسي أصبحنا جزءاً من هذا الأمر بشكل ما. أودّ حقاً المساعدة».

كانت كيم ممزقة.

«لقد كنّ مجرد أطفال، أيتها المحققة. خشنات، مهجورات، طفلات تم تجاهلهن. ما فعلنه للوسي كان عملاً غير صائب، أعلم هذا، وكنّ يعلمن هذا أيضاً. ثلاثتهن عدن في اليوم التالي من تلقاء أنفسهنّ، واعتذرن عما فعلنه».

«وهل قبلت اعتذارهن؟».

رفع كتفيه باستهجان. «هذا لا يهم. لوسي فعلت».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

حركت كيم رأسها متسائلة. «هل تعلم بأن ابنتك هي مُلهمة حقيقية؟».

«بلى»، قال وهو يبتسم باقتخار. «إنها السبب الذي يجعلني أخرج من سريري كل صباح».

نقرت كيم على رأسها. «وأنت لست سيئاً أيضاً. الليلة الماضية لو لم تقم بإرخاء الحبل، أو القبض على كاحلي فيكتور»...

«لم تكن هذه شجاعة على الإطلاق، أيتها المحققة. لقد رأيتك تتجهين نحو المبنى وجئتُ لأرى فقط إن كنت تحتاجين للمساعدة. ثم رأيت فيكتور يحفر حفرة»...

تلاشت كلماته بعيداً بينما احمرّ وجهه. فهمت كيم أنه كان بطلاً بالصدفة، لكنه في كل الحالات قد أنقذ حياتها.

«حتّى ولو»...

«هذا يكفي»، قال ويليام، وهو يرفع يديه. «الآن، من فضلك أخبرني ما الذي يمكنني القيام به لتقديم المساعدة؟».

ابتسمت كيم داخلياً. كان هذا رجلاً لا يحب لا الشكر، ولا المديح، ولا التعاطف.

«حسناً، هل ترى حاوية القمامة تلك تحت النافذة. يجب أن نملأها بكل ما نجده على الأرض قد يُعيق عمل الجهاز».

باشر ويليام العمل من الجهة اليُسرى، بينما انطلقت كيم من

الجهة اليُمنى. انطلقا من محيط السياج نحو الوسط ملتقطين أي شيء في طريقهما.

«يا رفاق، الجهاز يعمل أفضل بكثير إن كان هناك أعشاب أقل». قالت كيريس بصوت مرتفع.

نظرت كيم حولها. في بعض الأماكن كانت الأعشاب قد تجاوزت مستوى الركبة.

انحنت كيم كي تبدأ باقتلاع الأعشاب عندما أصدر الجهاز فجأة صوتاً.

استقامت كيم وركزت نظرها على كيريس.

سارت عائدة عشر خطوات، ومشت إلى الأمام ببطء. مجدداً أصدرت الآلة أزيزاً.

«نظرت كيريس ناحية كيم».

«يبدو أن حدسك على صواب».

الفصل الخامس والسبعون

نقّلت كيريس بصرها بين كيم ووليام. غطت كيم الأرض التي تفصلهما، وأخذت الأعشاب من يده. «ويليام، يتوجب عليّ أن أطلب منك مُغادرة المكان على الفور».

بدا عليه الألم، بينما ظلت نظرته ثابتة على جزء الأرض الذي لفت انتباه كيريس.

أخذت يده اليمنى. «ويليام، لا شيء من هذا خطأك، يجب عليك أن تعرف هذا. ما من واحدة ماتت بسببك. لقد تم التخطيط لهذا الأمر بحيث يبدو بهذه الطريقة، من قبل شيطان، وإنسان ماكر، ومن دون ضمير».

التقت نظراتهما. سيحتاج إلى بعض الوقت كي يصدّق هذا.

«سأتركك تتكفلين بالأمر، أيتها المحققة».

ضغطت على يده بقوة. «اسمي هو كيم، وأود شكرك على كل ما فعلته».

احمرّ وجه ويليام من الإحراج. أفلتت يده. «الآن اذهب وعد إلى ابنتك الرائعة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

ابتسم ابتسامة واسعة. «شكراً أيتها المحقـ...كيم. سأفعل».

انتظرت كيم إلى أن ذهب قبل أن تخطو إلى المنطقة، حيث كانت كيريس قد خفضت الجهاز على الأرض.

استدارت كيريس نحوها. «مهما كان الشيء الذي بالأسفل فهو ليس عميقاً جداً».

أومأت كيم برأسها وابتعلت ريقها.

مررت لها كيريس مفاتيح الشاحنة. «هناك رُفش في الخلف. اذهبي واجلبيها بينما أعلّم المنطقة».

ركضت كيم باتجاه الشاشة، التقطت رفشين وجرت عائدة نحو أسفل التل. مسكّنات الألم التي تناولتها في وقت سابق بدأت تفقد تأثيرها. عصف الألم بأسفل ظهرها.

علّمت كيريس المنطقة. رأتها كيم مباشرة لكنها لاحظت أنها كانت أصغر مقارنة بالبقية.

ألقت كيم نظرة أخرى على الكتابة التي صدرت عن جهاز القياس المغناطيسي وأشارت. «اعملي من تلك الناحية لكن لا تضربي بقوة كبيرة جداً».

ألقت كيم بالرفش على الأرض مباشرة العمل. انتشر ألم على عرض ظهرها لكنها تجاهلته، وركّزت على ما يتوجب عليها القيام به.

كلتاهما عملت بصمت طيلة نصف ساعة الذي تلا

«حسناً، كيم، توقفي واخرجي». قالت كيريس فجأة.

كان يبلغ طول الحفرة تقريباً نحو خمس أقدام، بينما لا يتجاوز عمقها أكثر من قدم.

عائلة من الجراء كانت ستُدفن أعمق من هذا.

مشت كيريس حول محيط الحفرة مرتين قبل أن تدخل بداخلها. استعملت أدواتها اليدوية كي تنفض قطع صغيرة من الوسخ وتضعها بجانب الحفرة.

لم تتكلم كيم. كانت عيناها مركزتين على كيريس.

واصلت كيريس الحفر. أصبحت كومة التراب أصغر. استعملت كيريس حافة المجرفة الصغيرة لتكشط جزءاً ظلّ عالقاً في منتصف الحفرة.

في المرة الثالثة الذي كشطت فيها كيريس التراب، بدأت أجزاء بيضاء بالظهور.

أخذت كيريس فرشاة ناعمة ومررتها على امتداد المساحة. انبثق المزيد من البياض.

شعرت كيم بالغثيان، وعرفت من دون أيّ ظل للشك أنها كانت تنظر إلى عظْم.

«كيم، هذا قطعة من ذراع».

واصلت كيريس الحفر وإزالة الغبار إلى أن كشفت ما بدا كأنه

مفصل كتف. حدّقت كيم بصمت، بينما كشفت كيريس عن المزيد من العظام.

«كيريس، ما هذا؟»، سألت كيم وهي تحدّق في شيء برز من مفصل الكتف.

نفضته كيريس من جديد واستطاعت كيم أن ترى أنه قماش.

بدأ قلب كيم يطرق في صدرها.

«كيريس انفضي عنه الغبار مجدداً».

فعلت كيريس، وشتمت كيم. استدارت كيريس والتقت أعينهما.

«هل هذا ما كنت تبحثين عنه؟».

أومأت كيم نعم برأسها، وقد سبق وأن بدأت قدماها تتحركان ببطء باتجاه الدراجة النارية.

«كيريس....يجب أن»...

«اذهبي»، قالت، وهي تخرج هاتفها. «سأجري الاتصال».

ركضت كيم صاعدة التل بأسرع ما يمكن لساقيها أن تتحركا.

الفصل السادس والسبعون

طرقت كيم على الباب وأخذت نفساً عميقاً.

انفتح الباب.

«صباح الخير، أيتها المحققة. أرجوك تفضلي بالدخول».

«صباح الخير، نيكولا،» قالت كيم، وهي تدخل إلى الشقة.

أغلقت نيكولا الباب ووقفت أمامه. «أنتِ وحدك اليوم؟»

قالت كيم «عليّ منح فريقي بعض الراحة».

«لكنك لا تمنحينها لنفسك؟»

«قريباً نيكولا. قريباً جداً».

«من فضلك، اجلسي».

جلست كيم. وبينما كانت تجلس استقرت عيناها على حافة الأريكة، وسجل عقلها الآن التفسير الكامل لما لمحته في زيارتها السابقة.

«كيف يمكنني مساعدتك؟» سألت نيكولا.

استغرقت كيم للحظة في تحليل التعبير على وجه نيكولا. كان

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

وجهها منشرحاً وصادقا. لاحظت كيم أنه لا يوجد فيه كذب، أو غش على الإطلاق. اللعنة.

«لقد كشفنا جسداً آخر».

رفعت نيكولا يدها نحو فمها وهي تشهق».أوه يا إلهي، كلا».

كانت الصدمة حقيقية.

«نيكولا، هل لديك أي فكرة من يمكنها أن تكون الضحيّة الرابعة؟» نهضت نيكولا ومشت جيئة وذهاباً وراء الأريكة. « أنا لا أستطيع حتى أن أبدأ بتخيّل من»...

«نيكولا، هل كانت هناك عضوة رابعة في المجموعة؟»

قطبت نيكولا حجبيها. حركة عينيها دلّت على أنها كانت تبحث في ذاكرتها.

«لا أيتها المحققة. أنا متأكدة أن المجموعة كانت من ثلاث فقط».

تنهّدت كيم ونهضت كأنها ستغادر»أوه، ربما تستطيع بيث أن تتذكر فتاة أخرى؟»، سألت كيم، آملة.

حركت نيكولا رأسها وقالت :»بيث حالياً في الخارج تتبضّع لكن حين ستعود»...

«هل أنت متأكدة؟» سألت كيم.

«بالتأكيد أنا متأكدة». قالت نيكولا وهي تبتسم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

أشارت كيم إلى حافة الأريكة». إذاً، لماذا لم تأخذ معها عكازها؟»

استقرّت نظرة نيكولا فوق العصا المُعلقة فوق ظهر الأريكة. بدا تعبير التشوش على وجهها صادقاً.

استغلت كيم اللحظة وخطت خطوات كبيرة نحو الغرفة. توجهت صوبا نحو أول غرفة وهي تتمنى أن تكون الغرفة الصحيحة.

«ربما لم تغادر بعد. ربما ستقوم»...

«أيتها المحققة، لا تدخلي هناك. لا تحب بيث»...

تلاشت كلماتها في الهواء بينما كانت كيم تدفع الباب.

كانت نيكولا بجانبها ومعاً فحصتا العرفة. فوق السرير المُفرد توجد حاشية من دون لحاف، أو غطاء. وهناك منضدة من جارورين بجانب السرير غير المُستعمل.

خطت كيم خطوات كبيرة نحو خزانة الملابس التي تقع في الزاوية وفتحتها. سبع علاقات فارغة حدقت فيها.

نظرت كيم نحو نيكولا التي وقفت في الباب مرعوبة.

انتظرت كيم اجابة لكن نيكولا واصلت التحديق في الغرفة الفارغة.

تدحرجت دمعة وحيدة على خدها. « لقد رحلت مجدداً ولم تقل لي حتى وداعاً».

قادت كيم نيكولا خارج الغرفة وأغلقت الباب وراءها. ثم قادتها نحو الأريكة وجلست بجانبها.

«هل سبق وأن فعلت بيث هذا؟» سألتها بلطف.

«إنها تفعل هذا منذ غادرنا كريستوود». بينما انسابت موجة جديدة من الدموع على وجنتيها. مسحتها بواسطة كمّ سترتها. «إنها غاضبة مني دائماً لكنها لا تودّ إخباري لماذا. هذا ما تفعله. تعود ثم تهجرني من جديد. هذا غير عادل. إنها تعرف أنني لا أملك أحداً سواها».

اتجهت كيم نحو المطبخ، وقطعت مناديل ورقية من لفافة الورق. عاودت الجلوس وقدمتها لنيكولا. لم تكن الدموع قد توقفت بعد.

«هل تستطيعين أن تتذكّري متى عادت آخر مرّة؟»

توقفت نيكولا عن البكاء وفكّرت. «كان هذا قبل سنتين، عندما أصبت بحمّى لها علاقة بالغُدّة الدرقية، وتم أخذي للمستشفى. استيقظتُ ووجدتها هناك جالسة بجانب السرير».

«والمرة التي سبقت هذا؟»

«تعرضت لحادث سيارة صغير، لم أكن مصابة اصابة خطرة لكن الأمر أرعبني كثيراً في ذلك الوقت. ولم أعاود القيادة لوقت طويل».

«إذاً، لقد كانت داخل وخارج حياتك منذ غادرت كريستوود. هل لديك أي فكرة لماذا قد تكون غاضبة منك؟».

حركت نيكولا رأسها بشدة «لن تخبرني بهذا».

انتبهت كيم لنبرة الإحباط في صوت نيكولا، وأدركت أن الأمر سيكون أصعب حتى مما تخيّلت.

أمسكت كيم بيد نيكولا. «أحتاج منك أن تعاودي التفكير في يوم الحريق. أظن أن هناك أمراً ما حدث في ذلك اليوم، ويُحتمل أنك قد نسيته. هل تعتقدين أنك تستطيعين القيام بهذا إذا ما كنت أنا معك هنا؟».

«لا يوجد أيّ شيء». قالت مرتبكة.

ضغطت كيم على يدها. « كل شيء على ما يرام. أنا هنا. أخبريني خطوة خطوة ما الذي تتذكّرينه من ذلك اليوم وسنرى ما الذي يمكننا جمعه معاً».

حدّقت نيكولا أمامها، وقد ركّزت عيناها على الحائط المقابل. «أعلم بأنه كان يوماً بارداً، وتخاصمنا أنا وبيث حول أمر ما. وقد عاقبتني بالصمت فذهبت للغرفة المُشتركة».

«من كان موجوداً في الغرفة المُشتركة؟» سألت كيم بلطف.

حرّكت نيكولا رأسها ثم قطّبت حاجبيها. «لا أحد. كان الجميع في الخارج، يصنعون رجل ثلج».

«إذاً، ما الذي فعلته؟»

«سمعتُ أصواتاً تصرخ. كانت صادرة عن مكتب السيد كروفت».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«ما الذي سمعته نيكولا؟».

كانت كيم ممسكة بيد نيكولا لكن إبهامها استقرّ على الرسغ النحيف. كان نبض نيكولا قد تسارع.

«كانوا يتحدثون حول ويليام، حول القيام بالتغطية على أمر ما. قالوا إنه سيقعُ في المشكلات، وقد يدخل السجن. وتحدثوا عن الذي قد يحصلُ للوسي في تلك الحالة».

«هل تذكرين من هم الأشخاص الذين سمعتهم في الداخل؟».

«كان السيد كروفت والآنسة وايت يتشاجران. الأب ويلكس كان يتحدثّ بهدوء وسمعتُ صوتيّ طوم كورتيس وآرثر كونوب في الخلفية».

خمستهم، فكّرت كيم. «ماذا عن ماري أندروز؟»

«لقد كانت في إجازة مرضيّة بسبب الإنفلوانزا».

«ما الذي حدث بعدها، نيكولا؟».

«فتح الأب ويلكس الباب ورآني. بدا غاضباً. هربتُ».

استطاعت كيم أن تشعر بكفّ نيكولا تصبح رطبة.

«إلى أين ذهبت؟».

«ذهبت للبحث عن بيت. كانت في غرفتنا. كنت متعبة من الناس الغاضبين مني».

كات صوت كيم هامساً: «إذاً، ما الذي فعلته؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«قلت لها...قلتُ لها»...

ضغطت كيم على يدها أكثر لكن رأس نيكولا سبق، وقد بدأ يتحرك بعنف من جانب إلى آخر. كانت عيناها ترمشان بقوة، بينما هي تبحث عن ذكراها، آملة أن تعيد ترتيب الماضي.

«لا. لا. لا. لا. لا».

حاولت كيم التمسّك باليد لكن نيكولا حررت يدها بسهولة.

خطت خطوات كبيرة حول الغرفة مثل حيوان سجين في قفص يبحث عن مكان للاختباء فيه.

كان الذعر يتصاعد بداخلها. كانت حركاتها سريعة ومُهتاجة.

«لا، لا يمكن أن...لا أستطيع أن «..

خبطت نيكولا على طاولة الطعام. استدارت وبدأت تضرب قبضتيها على أول حائط وتخبط رأسها.

ركضت كيم وقبضت على نيكولا من الخلف، مجبرة ذراعيها على الاستقرار على جنبيها كي تقيها من إيذاء نفسها أكثر.

«ما الذي قلته لبيث؟».

حاربت نيكولا كي تحرّر نفسها من كيم التي سبق وأن شبكت اصابعهن ولم تكن مستعدة لتركها تذهب.

«من فضلك توقفي، لا أستطيع»...

ارتفع صوت كيم. «نيكولا يجب عليك أن تتذكّري. ما الذي قلته لبيث؟».

ألقت نيكولا رأسها من جانب إلى آخر. رفعت كيم عنق نيكولا كي تقيه من الإصابة بأذى.

كانت كيم تصرخ في أذنها. «أخبريني نيكولا. ما الذي قلته لأختك؟».

«أخبرتها أنه يمكنها الحصول على سترة الكارديغان× اللعينة إن كان هذا الأمر سيسعدها». صرخت نيكولا.

حلّ الصمت بينهما. فجأة غادر الصراع جسد نيكولا، وسقطت على الأرض وسحبت كيم معها التي رفضت أن تتركها. جلست على الأرض وهي تمسك بنيكولا قريباً منها. عرفت كيم أن الأحداث التي وقعت منذ عشر سنوات أصبحت أخيراً لديها.

«وقد أخذت السترة، أليس كذلك؟».

أومأت نيكولا أنْ نعم، وشعرت كيم بالدموع المتساقطة على يديها.

«إذاً، اعتقد الجميع أنها كانت أنتِ بسبب السترة؟».

أومأت نيكولا من جديد.

«في دقيقة كنتُ أنظر إلى الخارج حيث كانت تلعب مع الأخريات، ثمّ لم أستطع أن أجدها. ظللت أسأل الناس وكلهم قالوا لي إنها في

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

مكان آخر. في النهاية ذهبتُ إلى غرفتي وانتظرتها هناك لكنها لم تعد أبداً».

«لاحقاً، مباشرة قبل الحريق، رأيتهم من نافذة المطبخ. جميعهم كانوا واقفين حول حفرة وعرفتُ. لم أعلم ماذا أفعل. كنت خائفة أن يعودوا لأجلي. لذلك حين انطلق الحريق شعرتُ بالارتياح لأنهم لم يعد بإمكانهم أن يحصلوا عليّ».

كانت كيم تعرف أن بيث لم تكن لتستطيع الهرب. ركبتاها لم تكونا لتساعداها في ذلك الطقس البارد.

«متى عادت بيث، نيكولا؟».

«منذ أسبوعين»، أجابت بصوت أجش.

«أنتِ تعلمين الآن بأنه أنتِ من جعلها تعود، هل تعلمين نيكولا؟».

«لاااااااااااا.»...

كان صوتها شبيهاً بعواء حيوان. روح مجروحة ومسكينة تتلوّى من الألم. واصلت كيم الإمساك بها بينما، حاولت نيكولا الفرار من الأحداث في رأسها.

إدراكها لما فعلته، وأن بيث لن تشاركها في هذا، هو ما كان ستصل إليه نيكولا أخيراً تحت رعاية طبيب نفسي جيد.

بينما جلست تُهدهد الفتاة الشابة والمُحطّمة التي سيطر عليها الشعور بالذنب، شكّت كيم في أن حالة نيكولا قد تُمكّنها من المثول أمام

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

القضاء بتهمة قتل تيريزا وايت، وطوم كورتيس، وآرثر كونوب.

بعد بضع دقائق نهضت كيم. لقد حان الوقت لإجراء اتصال هاتفي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل السابع والسبعون

أضاف ويليام بعض الحليب البارد للعصيدة. تذوّق الطعام بإصبعه. ممتاز. ابتسم. لقد كانت هذه الوجبة المفضلة للُوسي.

كانت ابنته قد حُمّمت، وغُيرت ملابسها، وهي الآن بانتظار إفطارها. بعد هذا سينظف الحمّام ويغيّر الأسرّة. وبعد الغداء سيقوم بتنظيف كاملٍ للفرن.

ابتسم من جديد. كان يعلم بأن الناس يشعرون بالأسف للحياة التي يعيشها، لكنه فكّر في أن هؤلاء الناس لم يعرفوا لوسي. لقد كانت روح ابنته تلهمه يومياً. كانت أكثر إنسان شجاع، وعميق التفكير عرفه على الإطلاق.

كان قد فهم أن أكبر إحباط كانت تعانيه لوسي، عجزها عن الكلام بوضوح، وفي بعض الأيام كان الجهد الذي تبذله للتعبير عن كلّ ما يشغل فكرها من خلال ترميش عينيها، يُتعبها.

لكن كان بينهما اتفاق. في الأيام الأكثر سوداويّة، سيسألها إن كانت قد اكتفت. سبق وأن أخبرها ويليام منذ بضع سنوات أنه سيحترم دائماً أمنياتها، وأنه لن يُمدّد حياتها عبر احتياجاته الأنانيّة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

في الأيام الأكثر سوداويّة سيطرحُ عليها السؤال، ويُمسك أنفاسه بينما ينتظر الإجابة. التردّد كان يصبح أطول، بينما النفَس في صدره يكبر، لكنه إلى حد بعيد كان يتلقى ترميشة واحدة.

كان يشعر بالرهبة، والخوف من اليوم الذي ستكون الأمور كثيرة عليها كي تتحمّلها، وسيتلقى ترميشتين. كان يأمل فقط بأن يمتلك القوّة الكافية للمحافظة على وعده، من أجلها.

أبعد ويليام هذه الأفكار. البارحة كان يوماً جيّداً. حظيت لوسي بزيارة من زائر.

في البداية لم يعرفها ويليام. قدّمت الفتاة اليافعة نفسها بباولا أندروز، وبعد أن تأمّلها جيداً بضع ثوان تذكّرها بأنها حفيدة ماري أندروز التي اعتادت أن تزورهما برفقة جدّتها كي تلعب مع لُوسي. لقد حزن حزناً صادقاً لموت ماري. لقد كانت صديقة رائعة خلال سنوات عمله في كريستوود. لقد تمّت عمليّة دفنها منذ بضعة أيّام، وعلى الرغم من أنه لم يتمكن من حضورها إلا أنه شاهد إجراءات الدفن من نافذته.

تعرّفت لوسي فوراً إلى باولا، وكانت سعيدة جداً بزيارتها. وخلال بضع دقائق شكّلتا طريقتهما الخاصة في التواصل التي تمّ إقصاء ويليام منها. لم يسبق له أن كان أكثر سعادة.

وما يُحسب لباولا، أنها لم تبدِ أيّ ردة فعل للتغير الجسدي الذي طرأ على صديقتها القديمة.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

توارى في المطبخ بضع لحظات، متوتراً حول عافية ابنته. لم يكن ويليام ليمنع أيّ أحد من زيارة طفلته، لكنه كان من دون قوّة حيال جعلهم يعاودون زيارتها. لكنه كان متقبّلاً لفكرة أنه لا يستطيع أن يحميها من كل خيبة قد تقدّمها لها الحياة.

بشكل ما، تمكّنت الفتاتان من إيجاد طريقة لتلعبا لعبة ورق. كان قد سمع باولا تهتف، «لُوسي بايني، لم تتغيّري ولو قليلاً. لطالما كنت غشاشة صغيرة».

سمع ويليام قرقرة لُوسي التي كان يعرف أنها كانت ضحكة ووثب قلبه.

غامر بالخروج نصف ساعة، انتزع فيها الأعشاب الضارة التي نمت بين الألواح، وهو مطمئن لمعرفته أن ابنته كانت بخير. فقط تلك الدقائق القليلة في هواء الصباح البارد نشطته لبقية اليوم.

بعد ساعتين من ذلك، طلبت باولا إذنه للسماح لها بمعاودة الزيارة. بسعادة وافق.

أخذ العصيدة إلى قاعة الجلوس، وجلس على المقعد. كانت بشرَة لُوسي وردية وملتمعة، وعيناها يقظتين. كان اليوم يوماً جيّداً. لقد كانت زيارة باولا جيّدة لكليهما.

«ألا تملّين قط من العصيدة؟».

ترميشة واحدة.

حول عينيه. قلّدته. فضحك بصوت مرتفع.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

رفع ملعقة من عصيدة الشوفان نحو فمها. أكلتها وعبرت ملامح وجهها عن إعجابها بالمذاق. كانت الملعقة الثانية في طريقها نحو فمها عندما رنّ جرس الباب.

وضع الصحن على إفريز النافذة. وفتح الباب واحمرّ من الارتباك على الفور.

في مواجهته وقف رجل وامرأة كلاهمها يرتدي بدلة سوداء. كان الرجل يحمل حقيبة سفر لكنها هي كانت تضع حقيبة على كتفها.

مباشرة فكّر في الخدمة الاجتماعية، لكنه لم يكن يتوقع زيارة منهم، وكانوا دائماً يعلمونه أولاً قبل القدوم. في الأيّام الأولى التي تلت رحيل زوجته، كان ويليام مُجبراً على محاربة السلطات للاحتفاظ بابنته. لقد قفز فوق العراقيل وقام بأداء شبيه بأداء حيوان سيرك كي يثبت لهم أنه قادرٌ على العناية بها. وعندما شعروا بعزيمته، بدأت الخدمات الاجتماعية بالتعاون معه على أن يظلا، هما الاثنان، معاً، وساهم عمله في كريستوود في إتمام الصفقة. لكن الخوف ظلّ في داخله من أن يفقدها ذات يوم.

«السيد بايني، السيد ويليام بايني؟».

أومأ موافقاً.

ابتسمت المرأة ابتسامة واسعة، وأخرجت بطاقة عمل من جيبها. «اسمي هانا إيفانز من «اونتريبريز ايلكترونيكس». نحن هنا لنلتقي بلوسي».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لكن...أنا لا....ماذا؟».

فركت يديها ونفخت فيهما. «سيد بايني، هل تسمح لنا بالدخول؟».

تنحى ويليام جانباً.

دخلت هانا ايفانز نحو قاعة الجلوس، ووقفت أمام ابنته. بينما جلس الرجل وفتح حقيبته.

«صباح الخير، لُوسي. اسمي هانا، وأنا سعيدة جداً للقائي بك».

كانت ابتسامتها واسعة ودافئة، وكانت نبرتها وديّة وهادئة، خلافا لنبرة الاستعلاء التي يستعملها أغلبية الراشدين.

«هل أنت بخير اليوم؟».

رمشت لُوسي.

«هذا يعني نعم». فسّر ويليام.

ظلت هانا واقفة مكانها وابتسمت له. «أعلم هذا، سيد بايني. إن لغة الترميش هي لغة شائعة بين الناس الذين يعانون قصوراً في التواصل».

حولت هانا نظرتها إلى ابنته التي قرقرت كإجابة.

«اممم اعذريني». قال برواينت حائراً. «لكنني لا أفهم من أنتما، وما الذي تفعلانه هنا».

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

«الأمر بسيط، سيّد بايني. نحن مُتخصصون في النظام التكنلوجي الأكثر تطوراً الذي يستطيع التعامل مع أقل كميّة من الجهد الجسدي. نحن كشركة، موجودون كي نجعل الحياة أكثر إثارة للأشخاص ذوي القدرات المحدودة».

كان عقل ويليام يدور. «ولكنني لا أفهم. أنا لم أتحدث لـ...أنا لا أملك مالاً من أجل»...

«حسب ما فهمته فقد تم الاعتناء بالتكلفة». رفعت يديها. «هذه ليست منطقة صلاحياتي ولديّ أوامر أتبعها».

شعر ويليام كأنه قد تم نقله إلى كون بديل. تدافعت الاحتمالات في ذهنه لكنه لم يجد إجابة واحدة.

أعادت هانا توجيه اهتمامها نحو ابنته.

«لُوسي، لديّ سؤال واحد فقط. هل تستطيعين السيطرة على إصبع واحد على الأقل؟»

ترميشتان.

ابتسمت هانا لويليام ابتسامة كبيرة. «إذاً، أعتقد أن لدينا الكثير لنقوم به هنا».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

الفصل لاثامن والسبعون

نظرت كيم إلى الصورة وقررت أن العمة بيسي كانت كاذبة لعينة.

وضعت كيم مكونات الصندوق بجانب محاولتها التي أخرجتها للتوّ من الفرن كي تقارن بينهما. ما من كمية ثلج، أو بريق زينة قد ينقذه. ألقت كيم بالصندوق في حاوية القمامة. شعرت بأنها خُدعت.

رفعت عينيها نحو السقف».أنا أحاول، ايريكا. أعدك أنا أحاول».

سمعت طرقاً على الباب الأمامي.

«إنه مفتوح». نادت بصوت عال.

دخل براينت حاملاً علبة بيتزا. كان يرتدي بنطال جينز وكنزة ثقيلة.

«افتقدتك اليوم في العمل»، قال وهو يضع العلبة على الطاولة.

أدارت عينيها. «هكذا أمرني وودي ولم أتجرأ على تجاهل أوامره مرة أخرى، حيث قال إن هذه هي فرصتي الأخيرة».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«هل قال هذا فعلاً؟».

أومأت كيم بالإيجاب وبدأت العدّ على أصابعها. «يبدو أنني حققت أعلى رقم في الشكاوى الرسميّة بخصوص سلوكي. لقد خالفتُ أوامر مباشرة في ثلاث مناسبات، وفشلت في اتباع البروتوكولات الصحيحة.». عدّت كيم بقيّة أصابعها «...حسناً، فعلتُ هذا على الأقل ثلاث مرات».

أمسك براينت رأسه بين يديه. «يا إلهي، كل هذا؟!».

فكّرت كيم للحظة «أجل، الكثير. كان لدى وُودي الكثير ليقوله».

لقد كان لدى وودي الكثير ليقوله لها، وتوجب عليها شكره. لم تكن تشك في أنه كان من الممكن أن تخسر عملها. وقد كان وُودي واضحاً حين قال لها إن نتائج التحقيق هي التي أنقذتها.

لو كان أحد تخميناتها غير صحيح، لكان مكتبها قد أصبح الآن ملكاً لشخص آخر.

كادت هذه القضية تتسبب بفقدانها لأكثر شيء مهم في حياتها، ومع ذلك كان الأمر يستحق العناء.

«كم منحك من الوقت من أجل المسألة الأخرى؟».

زمجرت كيم، بينما كانت تخرج كوبين من خزانة الأواني. «شهر».

«يا إلهي، كيف ستحلّين هذه المسألة؟».

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

هزّت كيم كتفيها بلا مبالاة. لديها أربعة أسابيع لتتحدث مع طبيب نفسي، أو عليها أن تواجه الإيقاف عن العمل.

«حسناً، ستكونين سعيدة بمعرفة أن ريتشارد كروفت كان يبدو في حال أفضل في وقت سابق اليوم».

«كان كذلك؟».

«حسناً، كان كذلك إلى أن قرأتُ عليه حقوقه».

كانت كيم تودّ لو كانت موجودة هناك من أجل هذا. «أوه، أخبرني أن السيّدة كروفت كانت موجودة؟».

«بكل تأكيد، كانت موجودة هناك». للحظات قليلة أصبحت تشبه جملاً يعاني الإمساك، لكنها تمالكت نفسها بسرعة كافية كي تأخذ الكمبيوتر المحمول خاصّتها وأوراقها، معلنة أن محاميها سيتصل».

«سيتصل بنا؟».

«بريتشارد. أشمّ رائحة طلاق سريع في المستقبل».

«وماذا قال هو؟».

«أوه، لقد أقرّ بأن فيكتور كان هو من قتل بيث. بقيّة المجموعة ساعدت في دفن الجسد وحسب. قال إن فكرة إضرام الحريق كانت فكرة تيريزا كي يحدثوا إرباكاً وفوضى في الأرشيف بخصوص فرار الفتيات والبنات اللاتي سبق وأن تمّ نقلهن».

«هل تصدّقه؟».

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«لا أعرف. هذا لا يهم فعلاً. سيحصل على محامٍ جيّد، لكنه، ومن دون شك سيُسجن بعض الوقت. والأهم، أن حياته مثلما عرفها انتهت. خسر زوجته، وبيته، ومسيرته المهنيّة، وعلى الأرجح أطفاله أيضاً».

لم تتكلّم كيم. لم يكن هناك شيء ليُقال. لم تشعر سوى بالاشمئزاز حيال ريتشارد كروفت. لقد نفذ بحياته.

بدا براينت ساهماً. «هل تعتبرين أن فيكتور ويلكس كان شخصاً سيّئاً بأكمله؟ أعني، أعلم كل ما فعله لكنه، كان يعمل رجل دين، بالتالي ربما كان يوجد بعض الأمور الجيّدة بداخله».

أحياناً كان براينت يبدو أصغر من عمره. كانت كيم تشعر فقط بالأسف، بأنها هي من يجب أن تخبره بأن بابا نويل ليس حقيقياً.

حركت رأسها بالنفي. «لا، براينت. لقد كان مُنجذباً إلى الأماكن الخالية من الأمل والمملوءة باليأس، حيث كان يستطيع أن يعرض نفسه كمنارة للأمل وسط البؤس. كان هذا هو الإشباع الحقيقي بالنسبة إليه وقوته الحقيقية. ممارسة الجنس مع فتيات يافعات خائفات وضعيفات، كان هذا أمراً أشبع حاجة لديه. لقد وضع نفسه في المحيط حيث اتهامات الاغتصاب تكون أبعد عن الإثبات، في مكان أي شخص يكون فيه مصدراً للمشكلات يتمّ التخلص منه.

«لقد قتلهن واستمتع بفعل هذا. فعل هذا لأنه يستطيع، ولأنه شعر بأنه كان لديه مُبرّر لإنهاء حياة أيّ شخص أزعجه. سيكون

هناك ضحايا لويلكس موجودات في هوليتيري، ومهما كان الأمر صعبَ الابتلاع لكن من المحتمل أننا لن نكتشفهم كلهم».

كان قد تمّ تسجيل ثماني عشرة حالة فرار منذ عاد فيكتور للمنطقة، أي منذ سنتين. نضيف إليهن الفتيات اللاتي اختفين ولم يبلّغ أفراد عائلاتهن عن هذا سواء لأنهم لم يلاحظوا الأمر، أو لم يهتمّوا، فإن هذا الرقم قابل لأن يكون الضعف.

«النذل الحقير». تمتم براينت.

وافقته كيم، لكنها هوّنت على نفسها بالتفكير في أن فيكتور ويلكس لن يكون حراً بعد الآن.

«هل وجدت السيّارة؟» سألت.

«داخل مرآب يقع خلف المباني مسجل باسم نيكولا أدامسون. سيارة أودي بيضاء مع انطعاجة أماميّة خفيفة».

حاولت كيفما استطاعت، لكنها لم تستطع أن تشعر بالتعاطف، سواء مع تيريزا وايت، أو طوم كورتيس، أو ريتشارد كروفت، أو آرثر كونوب. كلهم، إضافة إلى فيكتور ويلكس، أخفوا موت ثلاث فتيات يافعات، وأنكروه، وأخفوا هذه الحقيقة عن العدالة، وكل هذا ليخفوا أسرارهم الدنيئة. كل واحد منهم وجد طريقة للإساءة إليهن أكثر.

والأسوأ من هذا، كانوا الوسيلة المستعملة لموت بريئة أخرى، تمثلت جريمتها الوحيدة في ارتداء سترة الكاريغان الورديّة الخاصة بأختها.

«أنا فضولي، كيم، ما الذي جعلك تفكرين أنهما كانا قاتلين مختلفين؟».

«طرق الموت». أجابت. «عندما اكتشفنا جثث البنات كان من الواضح أنهن قُتلن بواسطة قوّة جسديّة، بينما لم تكن الجرائم الحالية كذلك. لم يكن هناك حاجة لجهد كبير للقيام بدفع تيريزا وايت تحت الماء. وتمّ قطع حنجرة طوم من الخلف. وصدمت سيارة آرثر، وطُعن ريتشارد من الخلف. استُعملت كل الطرق التي استوجبت الدهاء، والصّبر، والتسلّل، ولم تتطلب القوّة الجسديّة».

«ماذا عن الحريق الذي شبّ في منزل تيريزا؟ ما مغزاه؟».

«كان هناك طبقة رقيقة من الثلج على البلاط، براينت. كان من الممكن اكتشاف الكثير من الأدلة الجنائية مع آثار أقدام، وحتى آثار العكاز، لكن رجال المطافئ الثامنية وخرطوم ماء خرّبوا كل هذا».

«يا للذكاء».

«بالضبط، لذلك يجب أن تكون امرأة».

«أجل لكن تمّ القبض عليها».

«أجل، من قبل امرأة».

«كيف تظنين أن نيكولا ستتصرف عندما تدرك الحقيقة؟»، سأل براينت.

«لم تكن فعلاً نيكولا من فعل هذا. لقد كانت بيث». قالت كيم وهي ترفع كتفيها بلامبالاة.

بدا براينت مُتشككا. «هل تعتقدين هذا حقاً؟».

«أوه أجل، براينت».

«إن هذا الأمر شبيه بمسلسل x-files بالنسبة إلي».

تنهّدت كيم. « بيث تعود فقط عندما تحتاجها نيكولا، عندما تكون مريضة، أو خائفة. لاوعي نيكولا استعملها مثل غطاء أمان. لم تقبل نيكولا أبداً أن أختها ماتت. عقلها الباطنيّ كبح الذكريات كي تتمكّن من العيش. لقد حماها هذا من الشعور بالذنب.

«الآن تخيّل هذا، تماماً مثل بيث، ذكريات نيكولا موجودة. استطاعت النفاذ إلى المحادثة التي استرقت إليها السمع في الماضي، تستطيع النفاذ إلى معرفة ما حدث بالضبط، بالرغم من أن نيكولا لم تكن تستطيع النفاذ إلى ذكرياتها، فإن الأنا الأعلى خاصّتها استطاع».

كانت كيم تؤمن إيماناً كاملا بأن عقل نيكولا لم يكن يدرك أن عقلها الباطني قد أعاد جلب بيث. وبعد لقاءها ب»بيث»، لم يكن لديها أي شك في أنها لم تقم بأي فعل.

استدارت نحو براينت. «حاول، وتخيّل شخصاً مقسوماً نفسيّاً إلى نصفين. كانت نيكولا تسيطر على الأنشطة اليومية. كانت قادرة على التصرف بطريقة ملائمة، لكن شخصاً آخر كان يسيطر على عقلها الباطني».

حرّك رأسه «لا، ما زلت لا أتقبّل الأمر، وأشكّ في أن القاضي سيفعل أيضاً».

ارتابت كيم في أن براينت كان محقاً، لكنها شكّت في أن يتم اعتبار نيكولا مُؤهّلة لتُحاكم. بالنسبة إلى كيم، الصراع الداخليّ بين نيكولا وبيث كان واضحاً في مسرحَي جريمتَي كلّ من تيريزا، وطوم. تم استعجال قدوم الشرطة في الحالتين. كأن جزءاً من نفسية نيكولا المقسومة أراد أن يتم إيقافها.

نيكولا لم تكن شخصاً سيّئاً، أو شيطانيّاً، وسيكون عقابها إذا ما عادت ذكرياتها إليها.

كانت كيم تعرف جيداً أن الشعور بالذنب الذي يعانيه الناجون لديه القدرة على تشكيل العقل، ولهذا السبب كانت كيم تدعو إلى عدم فتح صناديقها.

«حسب ظنك كيف استطاع ويلكس أن يبقى حياً؟».

«أظن أنها كانت مسألة حظ أكثر من أيّ شيء آخر»، قالت كيم. «كان ليكون التالي، وكانت لتتمكّن من النيل منه».

«هناك أمرٌ لا أفهمه، كيف بحق الجحيم لم يفطنوا إلى أن هناك توأماً واحدة فقط؟».

«كان الأرشيف كومة فوضى، براينت. تذكر، أن المكان قد سبق وتم اخلاؤه. تسجيلات الهروب لم تكن مسجلة وفق التواريخ، وفي الليلة التي شبّ فيها الحريق كان الجميع يسجل لوائح. كان المسعفون يأخذون الفتيات للمستشفى لفحصهنّ. كان هناك فوضى عارمة، وكان هذا هو الهدف. ما من لائحتين من تلك الليلة تماثلتا».

«لكن لماذا لم تتكلم نيكولا؟».

«كانت الطفلة مرعوبة. كانت مُقتنعة بأنهم سيفطنون لخطئهم وسيأتون للبحث عنها».

«ماذا عن ماري أندروز؟ هل تظنين أن نيكولا، أو بيث من قتلها؟».

«لا يوجد أي دليل على أنها ماتت لأيّ سبب آخر عدا المرض. لقد كانت ماري الشخص الوحيد الذي لم يكن حاضراً، أو يُذكر في ذلك اليوم، بالتالي لم تكن نيكولا تملك أيّ سبب لتستهدفها». تنهّدت كيم بعمق «أعتقد أن ماري كانت الشخص الوحيد بينهم جميعاً الذي كان جديراً بالثقة. وباستثناء ويليام، الذي عمل خلال الليالي، كل واحد منهم وجد طريقة ما ليستغل هؤلاء الفتيات».

فتحت كيم فمها لتضيف شيئاً، لكنها عاودت إغلاقه. كان براينت يؤمن بأن هناك شيفرة معنوية مزروعة في الوعي منذ الولادة. كان يؤمن بها كأنه عامل وراثي، مثل لون العينين، أو طول الشخص. كانت كيم تعرف أن الأمر لم يكن كذلك. الوعي واستعماله كان سلوكاً يتم تعلّمه واكتسابه. يأتي من النماذج الجيدة، ومن الأدوار ذات التأثير القوي. الاختلاف المُتأصّل بين الخير والشر يُشذّب خلال الحياة، ولا يطبع مسبقاً على العقل.

كانت الخلفيّة الاجتماعيّة لكلّ من ترايسي وميلاني ولويز تفرض أن تكون شيفرة كل واحدة منهن مُشوّهة للأبد. تماماً مثل الأطفال الذين يتعرضون للاعتداء، وسوء المعاملة، يعتدون بدورهم على غيرهم.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

لن يقتنع براينت بهذا أبداً، لكن كيم تعرف هذا لأنه سبق لها وأن كانت هناك. وثلاث سنوات فاصلة أنقذت حياتها.

أخذ براينت رشفة من قهوته. «إذاً، ما الذي يحصل بينك وبين الدكتور دانيال؟ هناك بالتأكيد التقاء للعقول».

«براينت». حذّرته.

«»أوه كيم. أكثر من مرة كان هناك شرارات بينكما».

«وما الذي ينتج عن الشرارات؟».

«نار»، قال وهو يفتح عينيه على وسعها.

«وهل سبق لك أن عرفت ناراً من دون ضرر؟».

فتح براينت فمه، فكّر لثانية، ثمّ أغلقه من جديد. «حقيقة لا توجد إجابة لهذا».

«بالضبط».

«على الأرجح كان ليكون أمراً جيداً». قال براينت ساهماً. «الطبيب كان يشبهك كثيرا». ثم ابتسم بتكلف. «يا للمسيح، تخيّلي الأطفال الذين يمكنك أن تحصلي»...

«براينت، أظن أن عليك أنّ تهتم بشؤونك اللعينة»، زمجرت كيم. أحياناً كان براينت يعرفها جيداً أكثر من اللازم.

ومع ذلك، إذا ما التقت دانيال مُجدداً، من يعلم؟

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أجل، على الأرجح يتوجب عليّ الاهتمام بشؤوني، لكن على الأرجح أنني لن أفعل».

ابتسمت كيم. «كيف هي الحياة في منزل باتيريسا للكلاب؟[1]

«الجراء بخير. تمّ أخذها كلها. ابنة أختي أخذت «بيبلس». «بام باب» ذهب إلى أحد الجيران. وتم حجز «يوجي» من صديقة ابنتي المُفضلة و«بُوبُو» ستأخذه أخت ستايسي».

«لم تثقل هذه الجِراء المسكينة بهذه الأسماء طيلة الحياة، هل فعلت؟».

«لا، لم أسجلها، فقط أطلقنا عليها هذه الأسماء كي نميّز بينها».

«وماذا بخصوص الأم؟».

«ستبقى معي. عمرها أربع سنوات فقط، والطبيب البيطري قدّر أنها سبق وأن حملت على الأقل ثلاث مرات. عملها انتهى».

لثانية، لثانية عابرة، رغبت كيم في معانقة هذا الرجل الضخم مثل دب الذي يمتلك أكثر القلوب دفئاً. لقد كان زميلها الوحيد، وصديقها الحقيقيّ الوحيد.

لكنها تركت اللحظة تمرّ.

نهض قائلاً: «حسناً، سأكشف السبب الحقيقي لزيارتي. هل انتهت؟».

(1) مأوى للحيوانات ينقذ القطط والكلاب التي في حاجة للمساعدة، ويرعاها حتى يهتم أحدهم برعايتها.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

«أجل، براينت، لقد انتهت».

فرك يديه. «هل أستطيع، هل أستطيع، هل أستطيع؟».

ضحكت كيم لحماسه الطفوليّ.

اندفع نحو الباب المجاور للمرآب.

أخذت الكعك الذي أعدّته وألقت به في حاوية القمامة. وغمرت الطبق بالماء الساخن والصابون.

عاد براينت إلى المدخل. «امممم...كيم إنها ليست هناك».

«أوه حقاً، وماذا بخصوص هذا؟».

اتكأ على إطار الباب، وقد عقد يديه «لقد بعتها، هل فعلت هذا؟».

لم تقل كيم شيئاً.

كان براينت محبطاً ومُشوّشاً. « لكنك أحببت تلك الدراجة مثل طفل. لقد كنت تعملين على الانتهاء من تجميع قطع الشيء اللعين طيلة أشهر. أنا لا أفهم. لقد كانت تمثل العالم بالنسبة إليك».

«تعلم، براينت، هناك بعض الأمور التي تعني لي أكثر».

جففت الطبق ووضعته جانباً. كان التعبير على وجه براينت مرتبكاً. لم يفهم.

لكن كيم فهمت، وكان هذا كل ما يهم في الأمر.

مكتبة الرمحي أحمد telegram @ktabpdf

رسالة من أنجيلا

بداية، أودّ أن أشكركم بشدّة لاختياركم قراءة صرخة صامتة. أتمنى أن تكون قد أعجبتكم. أرجو أن تكونوا قد استمتعتم بأوّل حلقة من رحلة كيم، وآمل أن تشعروا بالطريقة التي أشعرُ بها نفسها. ورغم أنها ليست مثاليّة دائماً، لكنها شخص كنتم تودون أن يُقاتل من أجلكم.

لو استمتعتم بالكتاب، سأكون ممتنّة دائماً لو كتبتم مراجعة حوله. أودّ أن أسمع ما الذي تفكّرون فيه، ويستطيع هذا أيضاً أن يساعد قرّاءً آخرين ليكتشفوا أحد كتبي لأوّل مرة. أو ربما يمكنكم أن تنصحوا أصدقاءكم وأفراد عائلتكم بالكتاب...

إن قصّة ما تبدأ كبذرة فكرة، تنمو من خلال مشاهدة الآخرين، والاستماع إلى كل شخص حولكم. كل شخص فريد من نوعه، وكلنا لدينا قصة. أريد التقاط أكبر عدد ممكن من هذه الحكايات بقدر ما أستطيع، وآمل أن تنضموا إليّ، وإلى كيم ستون في رحلتنا، حيثما من الممكن أن تقودنا.

أرجو أن أسمع منكم، وأن تتواصلوا معي عبر صفحتي في الفيسبوك، أو صفحتي على الجودريدز، عبر تويتر، أو عبر موقعي الشخصي.

telegram @ktabpdf مكتبة الرمحي أحمد

شكراً جزيلاً لدعمكم، أنا أقدره كثيراً.

أنجيلا مارسونز.

www.angelamarsons-books.com

https://www.facebook.com/AngelaMarsonsAuthor/

https://twitter.com/writeangie

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

«سبق وأن أريتكم الكسر عند مستوى الفقرات العنقية، إذاً، فنحن نعرف أن الضحيّة قد ضُرب رأسها في مرحلة ما. كان هجوماً متوحشاً، واللطمة التي قسمت العظم لم تكن الأولى».

أخذ عدسة مكبرة. «إذا ما نظرتما إلى C1 و C2 فستفهمان ما أعنيه».

«هل تريان؟».

أومأت كيم، وقد انتبهت لرائحة النعناع في أنفاسه.

«هنا، أمسكي بهذا»، قال لها، وهو يمرر لها العدسة المكبرة.

أدار بلطف الجسد قليلاً، بحيث تكون عظام الرقبة على جنبها. «الآن انظري إلى C2».

ثبّت الجسد في مكانه بينما أخفضت كيم العدسة فوق المنطقة العلوية من عظام العنق الأقرب للجمجمة. مجدداً رأت نتوءاً واضحاً.

تراجعت كيم عندما شعرت بالغثيان بدأ يتكون في معدتها. «لكن الجرح الذي أريتني أياه بالأمس لم يكن على جانب العنق».

وافق الطبيب بإيماءة، ولثانية التقت نظراتهما في لحظة فهم.

«لم أفهم»، قال براينت، وهو يميل على الطاولة كي يرى عن قرب أكثر.

«لقد كانت حيّة»، تمتمت كيم. «كانت تتحرك عندما حاول أن يقتلع رأسها».

صرخة صامتة